www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

سلسلة

دروس وعبر من القرآن والسنة النبوية

الكتاب الأول

1

الآثار والتاريخ

تأليف
حازم عبد الرؤوف الشيخ

دار الكتب العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

الآثار و التاريخ

كاتب:

خالد فائق العبيدى

نشرت فى الطباعة:

دارلكتب العلمية

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الآثار و التاریخ ----- ۷
اشارة ----- ۷
الإهداء ----- ۷
مقدمة السلسلة ----- ۷
مقدمة کتاب الآثار و التاریخ ----- ۹
الفصل الأول سفینة نوح (علیه السّلام) ----- ۹
الفصل الثانی قوم لوط (علیه السّلام) ----- ۱۱
الفصل الثالث جثة فرعون مصر ----- ۱۲
الفصل الرابع قصة أصحاب الکهف ----- ۱۳
الفصل الخامس دلائل تأریخیة أخری ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
و قد تنبأ القرآن بحوادث وقعت فعلا: ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
۱. مناهل العرفان ----- ۱۷
۲. التبیان فی إعراب القرآن ----- ۱۷
۳. تفسیر البیضاوی ----- ۱۸
۴. تفسیر القرطبی ----- ۱۸
۵. تفسیر ابن کثیر ----- ۱۹
الملاحق ----- ۲۲
اشارة ----- ۲۲
قصة نوح علیه السلام ----- ۲۲
قصة لوط علیه السلام ----- ۳۰

قصة موسى الكليم عليه السلام ----- ۳۵
هلاک فرعون و جنوده ----- ۵۶
أمر بنى إسرائيل بعد هلاک فرعون ----- ۶۰
سؤال الرؤية ----- ۶۳
قصة عبادتهم العجل فى غيبة موسى ----- ۶۵
قصة بقرة بنى إسرائيل ----- ۶۹
قصة موسى و الخضر عليهما السلام ----- ۷۰
حديث الفتون المتضمن قصة موسى من أولها إلى آخرها ----- ۷۳
بناء قبة الزمان ----- ۷۸
قصة قارون مع موسى عليه السلام ----- ۷۹
باب فضائل موسى عليه السلام و شمائله و صفاته و وفائه ----- ۸۱
حجته عليه السلام إلى البيت العتيق ----- ۸۴
ذكر وفاته عليه السلام ----- ۸۵
نبوة يوشع و قيامه بأعباء بنى إسرائيل بعد موسى و هارون ----- ۸۶
أعمال المؤلف ----- ۹۰
مشاريع كتب للمؤلف ----- ۹۱
فهرس المحتويات ----- ۹۱
تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ----- ۹۱

الآثار و التاريخ

اشارة

نام كتاب: الآثار و التاريخ نويسنده: خالد فائق العبيدى موضوع: اعجاز غيبى تاريخ وفات مؤلف: معاصر زبان: عربى تعداد جلد: ۱ ناشر: دارالكتب العلمية

الإهداء

الإهداء بسم اللّه الرّحمن الرّحيم أهدى هذا الجهد المتواضع إلى روح من أرسله اللّه رحمة للعالمين، إلى خير معلم و أشرف رسول، إلى روح سيد الأولين و الآخرين رسول اللّه المصطفى سيدنا محمد صلّى اللّه عليه و سلم، و إلى أرواح إخوانه من الرسل و الأنبياء أجمعين، و الى أرواح آله الطيبين الطاهرين و صحابته المجاهدين و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ... و إلى أرواح شهداء الأمة على مر العصور الذين رووا بدمائهم الزكية الأرض لتكون كلمة اللّه هى العليا ... و إلى أمتى و وطنى و أهلى. إلى من هى نفحة من رحمة اللّه تعالى التى حملتنى من وهن و أعانتنى من ضعف، و إلى الوالد الذى كان لى السند فى كل الشدائد، عسى اللّه أن يجعل هذا العمل صدقة جارية لهما و أن يغفر لى تقصيرى فى حقهما ... و إلى كنز الحياة الدنيا الزوجة العزيزة التى كانت لى نعم العون بعد طول عناء ... و إلى أولادى الأحباء عسى اللّه أن يجعلهم من أهل الصلاح و الخير. راجيا من اللّه أن يتقبله عنده و أن يجعله كله خيرا و يكون ذا فائدة جمّة للناس أجمعين .. الآثار و التاريخ، ص: ۵

مقدمة السلسلة

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم مقدمة السلسلة الحمد للّه رب العالمين و الصلاة و السلام على أفضل و أشرف رسله و أنبيائه سيدنا محمد صلّى اللّه عليه و سلم، و على آله و صحبه أجمعين، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، و بعد. لن آتى بجديد إذا ما قلت إن السبق العلمى و الإعجاز العلمى و العددى فى القرآن الكريم و السنة المطهرة هو أوسع من أن يكون مجرد إشارات فى آيات مباركات تعطى حقائق علمية ظهرت فى عصر التكنولوجيا الحاضر، و كأن اللّه تعالى يتحدى الخلق كما تحدى أهل اللغة فى عصر الرسالة الأول أن يأتوا بسورة من مثله. و رغم أن آيات الإعجاز تصل من حيث العدد إلى حوالى خمس القرآن (أكثر من ألف آية)، إلا أن عملية تعداد آيات الإعجاز بمعناه الشمولى لهو من العسر بمكان لأنه لا تكاد آية قرآنية واحدة تخلو منه. هناك كتب كثيرة تحدثت بوجه العموم، كما و أن بعضها تخصصى أخذ جانبا واحدا من جوانب العلم كالطب و الهندسة الوراثية و الأحلام و الجيولوجيا و الفلك و الرياضيات و غيرها فضلا عن المؤتمرات و المجلات و المطبوعات و الصحف و الحلقات المرئية و المسموعة و البحوث و المقالات العديدة التى أجريت و كتبت فى مختلف أنحاء العالم. و كان جراء كل هذه البركات إسلام عدد كبير من علماء الغرب من كافة الاختصاصات، كان ۳۰ منهم فقط فى مؤتمر الإعجاز العلمى العالمى الخامس الذى عقد فى قاعة غورباتشوف بموسكو عام ۱۹۹۳ م، ليشكل صفعة كبيرة توجه لأعداء اللّه مصداقا لقول اللّه تعالى: هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ، بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ، عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (۳۳)، (التوبة: ۳۳). و قوله صلّى اللّه عليه و سلم فى الحديث الذى يرويه لنا سيدنا على رضى اللّه عنه: (ألا إنّها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول اللّه قال كتاب اللّه فيه نبأ ما كان قبلكم و خبر ما بعدكم و حكم ما بينكم و هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبّار قصمه اللّه و من ابتغى الهدى فى غيره أضلّه الآثار و التاريخ، ص: ۶ اللّه و هو حبل اللّه المتين و نوره المبين و هو الذّكر الحكيم و هو الصّراط المستقيم هو الّذى لا تزيغ به الأهواء و لا تلتبس به الألسنة و لا تتشعب منه الآراء و لا يشبع

منه العلماء و لا يملّه الأتقياء و لا يخلق على كثرة الرّدّ و لا تنقضى عجائبه و هو الّذى لم تنته الجنّ إذ سمعته حتّى قالوا «إنّا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرّشد فآمنّا به» من علّم علمه سبق و من قال به صدق و من عمل به أجر و من حكم به عدل و من دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم) «۱» ... يقول الدكتور موريس بوكاى: (لقد أثارت هذه الجوانب العلمية التى يختصر بها الإسلام دهشتى العميقة فى البداية ... لم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع، و مطابقة تماما للمعارف العلمية الحديثة فى نص كتاب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا ... فى البداية لم يكن لى إيمان بالإسلام، و قد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق و بموضوعية تامة، و إذا كان هناك تأثير ما قد مورس فهو بالتأكيد تأثير التعاليم التى تلقيتها فى شبابى، حين لم تكن الغالبية تتحدث عن المسلمين و إنما المحمديين لتأكيد الإشارة إلى أنه دين أسسه رجل، فهو دين عديم القيمة تماما إزاء اللّه. و ككثيرين كان يمكن أن أظل محتفظا بتلك الأفكار الخاطئة عن الإسلام، و هى على درجة من الانتشار بحيث إننى أدهش دائما حين ألتقى خارج المتخصصين بمحدثين مستنيرين فى هذه النقاط. أعترف بأننى كنت جاهلا قبل أن تعطى لى عن الإسلام صورة تختلف عن تلك التى تلقيناها فى الغرب) «۲». لقد حاولت جاهدا فى هذا المسلسل أن أذكر جزءا يسيرا من صور الإعجاز العديدة مركزا على الحالات التى ظهرت مؤخرا فى العقدين المنصرمين لأن ما تم إنجازه فى هذا الصدد كبير بل و كبير جدا (_____. ۱) أخرجه الترمذى و قال حديث غريب و أخرجه الدارمى. (۲) دراسة الكتب المقدسة، د. موريس بوكاى، ص ۱۴. و انظر موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى الشريف، عبد الرحيم ماردينى،- ص ۳۳- ۳۴. الآثار و التاريخ، ص: ۷ و لا- يعنى هذا بأى حال من الأحوال أن ما سيذكر فى المسلسل هو كل ما موجود من سبق قرآنى لعلوم العصر الراهن، لأن القول بهذا هو عدم الإدراك لمفهوم الإعجاز القرآنى الذى لا تنقضى عجائبه و لا يشبع منه العلماء. و لكن لنا أن نقول بأنه قبسات أو ومضات من نور هذا الكتاب الذى شرفت هذه الأمة به، لذلك ارتأيت تسمية هذه السلسلة بهذا الاسم (ومضات إعجازية من القرآن و السنة النبوية)، و هى تشمل ومضة هنا و أخرى هناك من علم القرآن الواسع فى علوم عصرنا الراهن الملىء بالمكتشفات و الحقائق المذهلة، و كأن اللّه تعالى قد أذن لنا بأن نصل لهذه المكتشفات ليقول للبشرية إن ما وصلتم إليه بإذنى قد أنزلته عليكم بكتابى فآمنوا به مصداقا لقوله تعالى سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ، عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (۵۳)، (فصلت: ۵۳). لم أقصد من كتابة هذا المسلسل التدخل فى اختصاصات ليست لى، و إنما أردت منه توجيه عناية القارئ الكريم إلى تطابق كون اللّه المنظور و كونه المقروء (القرآن الكريم) من جهة، و كذلك ليتعرف القارئ الكريم على عظمة علوم القرآن و سبقه المذهل و تطرقه للعلوم المختلفة على شكل أمثال و إشارات و قصص. و كان كل ذلك اعتمادا على بحوث و دراسات قام بها باحثون و اختصاصيون عديدون كل فى مجال عمله و تخصصه جزاهم اللّه تعالى كل الخير عن دينه و كتابه و سنة حبيبه صلّى اللّه عليه و سلم. تم اختيار حقول علمية مختلفة كالآثار و التاريخ، المادة و الطاقة، علوم الفلك، علوم الأرض، البحار و المياه، السحب و الرياح، النبات، الحشرات و الحيوانات، علوم الطب، الهندسة الوراثية و الاستنساخ و علم الأجنة، الصيدلة و الأمراض، علم النفس، الأحلام و الباراسايكولوجى، الاقتصاد و الاجتماع، و أيضا السبق القرآنى و النبوى فى ما سيكون من أمر آخر الزمان و أهوال القيامة ... و كل ذلك مكتوب بشكل علمى رصين و أسلوب ميسر و مشوق معزز بصور فوتوغرافية و خرائط، و لكنه يظل غيضا من فيض و نقطة فى بحر محيط ليس له نهاية من إعجاز هذا القرآن الذى لا تنقضى عجائبه حتى قيام الساعة. يأتى هذا المسلسل بعد كتابى (المنظار الهندسى فى القرآن الكريم- ۸۵۰ صفحة) الآثار و التاريخ، ص: ۸ طبع و نشر دار المسيرة فى عمان و المتخصص بالسبق الهندسى بكل اختصاصاته و العددى و الرقمى فى القرآن الكريم، ثم كتاب (القرآن منهل العلوم- ۳۳۰ صفحة) طبع الجامعة الإسلامية ببغداد و المتخصص بتأصيل الإعجاز و شروطه و فقهه، فضلا عن كتب أخرى تم الاتفاق على طبعها من قبل الإخوة فى دار الكتب العلمية ببيروت مع هذا المسلسل فجزاهم اللّه ألف خير و من أخيهم، العبد الفقير إلى اللّه تعالى، المؤلف ألف شكر ... كذلك بعد الحلقات المرئية المسلسلة (آيات و حوار- ۳۰ حلقة-

) التى سجلتها مع الإخوة الأستاذ الدكتور أنيس الراوى و الأستاذ رعد الخزرجى و الشيخ الدكتور أحمد عبد الغفور السامرائى و الشيخ الدكتور محمد صالح السامرائى لمحطة راديو و تلفزيون العرب (TRA)- قناة الأوائل و قناة اقرأ الفضائيتين. و قد لاقت صدى و نجاحا طيبا فى جميع الدول العربية و الأجنبية التى عرضت فيها إذ أعيد عرضها لعدة مرات و ترجمت بعض حلقاته إلى لغات أجنبية و الحمد للّه رب العالمين. و كذلك حلقات (العلم فى القرآن- ۳۰ حلقة-) مع الأستاذ الدكتور أنيس الراوى لحساب قناة العراق الفضائية، و حلقات (سر الحديد- ۳۰ حلقة-) لحساب شركة كوديا للإنتاج الفنى. أسأل اللّه تعالى أن يكون عملى كله خير و أن يكون خالصا لوجهه الكريم ... و آخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف خلقه و صفوة أنبيائه سيدنا محمد النبى الأمين صلّى اللّه عليه و سلم و آله الطيبين الطاهرين و صحابته المجاهدين و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. المؤلف بغداد- العراق ۱۴۲۴ ه/ ۲۰۰۳ م

مقدمة كتاب الآثار و التاريخ

مقدمة كتاب الآثار و التاريخ قد يقول البعض إن الخوض فى قصص تتعلق بأقوام سبقوا من أقوام الأنبياء و غيرهم تطرقت إليها الكتب السماوية السابقة، فما وجه الإعجاز القرآنى فى هذا الموضوع. فنقول و باللّه التوفيق: ۱- إن القرآن الكريم فصل فى هذه القصص بشكل لم يسبق إليه أى كتاب سبق، و أوضحت السنة المطهرة ما كان غامضا فى شرح الآيات. بل إن هناك حالات و دقائق لأمور لم تشر إليها الكتب السابقة و أشار إليها القرآن الكريم و فصلها، و هو الكتاب الذى لم و لن يحرف لأنه فى حفظ البارى عز و جل. ۲- هناك تناقضات واضحة و منافية للعقل و المنطق و لمنزلة الأنبياء الكرام عليهم السلام وردت، بل و حتى سوء أدب مع بعضهم فى النسخ التى وصلتنا من هذه الكتب، و هذا أكبر دليل على تحريف هذه الكتب من قبل أقوام لم يفهموا حقيقة التوحيد الذى أرسل به جميع الأنبياء عليهم السلام، فأتبعوا الدين لأهوائهم و شهواتهم، فحرفوا قصص الأنبياء بما لا يليق بهم أو بالمرسل تبارك و تعالى. و إنك لا- تجد تشابها بين قصة و أخرى، و بين كتاب و آخر. بينما فى الكتاب العزيز أثبتت التنقيبات الآثارية و الرقم التاريخية دقة المعلومة القرآنية كما سنرى فى هذا الكتاب و فى هذه السلسلة عموما.

الفصل الأول سفينة نوح (عليه السّلام)

الفصل الأول سفينة نوح (عليه السّلام) ذكرت قصة سيدنا نوح عليه السلام فى التوراة و الإنجيل و القرآن. و لقد فصل القرآن الكريم هذه القصة فى سورة خاصة اسمها سورة نوح «۱»، و كذلك فى آيات مباركات عديدات أخرى- ذكر كلمة نوح فى الكتاب العزيز فى ۳۳ آية- بدءا من بعثته عليه السلام إلى قومه و تكذيبهم إياه، و من ثم استمراره و صبره الطويل عليهم طيلة عمره الذى وصل إلى ۹۵۰ عاما كما صرح القرآن الكريم: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ (۱۴)، (العنكبوت: ۱۴). و قد أثبت علميا أن الإنسان الأول كان أطول قامة و أطول عمرا من إنساننا الحالى لأسباب يطول شرحها. و قد حاول عليه السلام طيلة هذه الفترة الطويلة أن يقنع قومه- و كانوا من أهل العراق القديم- أن اللّه تعالى هو خالقهم و هو الأولى بالعبادة، و لكنهم صدوه و حاربوه و استهزءوا به و بأصحابه، فحذرهم من عاقبة أمرهم هذا: قالُوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۳۲) (هود: ۳۲). و استمر صابرا عليهم حتى أوحى إليه أنه لا أمل من قومه: وَ أُوحِيَ إِلى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ (۳۶) (هود: ۳۶). فدعا عليه السلام ربه أن ينصره على هؤلاء القوم الكافرين: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنا وَ قالُوا مَجْنُونٌ وَ ازْدُجِرَ (۹) فَدَعا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (۱۰) (القمر) .. قالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ

(۱) انظر القصة كاملة فى الملحق (۱). الآثار و التاريخ، ص: ۱۲ وَ وَلَدُهُ إِلَّا خَساراً (۲۱) (نوح: ۲۱) .. وَ قالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى

الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً (۲۶) (نوح: ۲۶). فأمره اللّه تعالى بصناعة السفينة، و كلما مر عليه نفر من قومه استهزءوا به، و لكنه توعدهم بأنهم سيندمون على هذا الأمر أى ندم: وَ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَ وَحْيِنا وَ لا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (۳۷) وَ يَصْنَعُ الْفُلْكَ وَ كُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ (۳۸) (هود). و أوحى له اللّه تعالى أن الماء سيغمر المكان و أن عليه أن يحمل أهله- إلا امرأته و ابنه- و أصحابه و من كل المخلوقات زوجين اثنين، فإذا استقر عليها حمد اللّه و شكره على فضله بنجاتهم من غضبه على القوم الكافرين: فَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَ وَحْيِنا فَإِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَ لا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (۲۷) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۲۸) (المؤمنون). و حصل الطوفان الهائل الذى غطى منطقة ما بين النهرين بأسرها و غرق القوم و هم يستنجدون بعد أن أيقنوا بصدق ما جاءهم به نوح عليه السلام و لكن بعد فوات الأوان. و قد أثبتت البحوث الآثارية و الجيولوجية فى المنطقة و التى قامت بها عدة فرق علمية استكشافية من مختلف دول العالم من أن الغرين و الطمى فى المنطقة يدلل من غير أى شك على حصول طوفان عظيم فى الحقبة السومرية من تأريخ العراق القديم. و بعد انتهاء الأمر جاء أمر اللّه تعالى بتوقف تدفق الماء من السماء و من الأرض، فاستوت السفينة على جبل الجودى و هبط منها سيدنا نوح عليه السلام و من معه لتبدأ البشرية رحلة جديدة و بنفس القانون الإلهى الذى لا يتغير، هذا ما نص عليه القرآن الكريم: وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْماءُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۴۴) (هود: ۴۴) ... قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا الآثار و التاريخ، ص: ۱۳ وَ بَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَ عَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَ أُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ (۴۸) (هود: ۴۸). هذه التفاصيل ذكرت بعضها فى الكتب السماوية الأخرى و لكن ليس بهذا الأسلوب الرائع و هذه الدقة، فمثلا ذكر العهد القديم أن السفينة استقرت على جبل آرارات الواقع شرق الأناضول و الذى يقطنه أغلبية من الأرمن من سكان تركيا الحالية، بينما صرح القرآن الكريم أن الجبل هو الجودى و الذى يقع فى جنوب شرق الأناضول و كما سنوضح بالخرائط و الصور. هنا يبرز سؤالين مهمين: ۱. أيهما أدق؟. ۲. هل هناك اختلاف و الكتابين من عند اللّه تعالى؟. قامت عدة فرق بحثية علمية من مختلف الجنسيات العالمية تدين الديانة النصرانية بتتبع هذه المسألة حتى حصل الاكتشاف الذى حيرهم. إذ اكتشفوا أن سفينة نوح عليه السلام وجدت لها آثار فوق جبل فى تركيا و لكنه ليس جبل آرارات بل إنه جبل آخر اسمه جبل (الجودى)، فتحيروا و زادت حيرتهم و غضبهم معا عند ما علموا أن القرآن قد صرّح بهذا قبل مئات السنين، بل و أكد القرآن الكريم على أن السفينة بقيت و ستبقى كآية و دليل على صدق القرآن الكريم و على قدرة اللّه تعالى فى تعذيب الأقوام المكذبة و الجاحدة، فهل من معتبر؟. كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنا وَ قالُوا مَجْنُونٌ وَ ازْدُجِرَ (۹) فَدَعا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (۱۰) فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ (۱۱) وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (۱۲) وَ حَمَلْناهُ عَلى ذاتِ أَلْواحٍ وَ دُسُرٍ (۱۳) تَجْرِي بِأَعْيُنِنا جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ (۱۴) وَ لَقَدْ تَرَكْناها آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (۱۵) (القمر: ۹- ۱۵). فسأل سائل منهم قال (ما هذا القرآن؟)، فأجابه أحد القسيسين أنه كتاب اكتتبه رجل ادعى النبوة فى جزيرة العرب أخذ كلامه من الإنجيل، فزاد عجب الرجل، إذ كيف يأخذه من الإنجيل و ما موجود فى الإنجيل فيما يتعلق بهذه المسألة لا يطابق الواقع الذى توصلوا إليه بالبحث المضنى، بينما كان القرآن دقيقا فى تحديد الواقعة و المكان. كيف الآثار و التاريخ، ص: ۱۴ يمكن لرجل من أهل الصحراء أن يعلم كل هذا إذن؟. فكان هذا الرد البسيط من هذا الرجل أبلغ رد على من لا يعرف حقيقة التوحيد و عظمة الرسول صلّى اللّه عليه و سلم و يدعى أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قد اختط القرآن بيده- حاشاه- ناسخا من أحبار اليهود و قساوسة و رهبانة النصارى. إنه وحى اللّه تعالى و علمه الأزلى بالأشياء، إنه كتاب اللّه المعجز الذى لا يعتريه التحريف لأنه فى عهدة منزله سبحانه، أنظر إلى رد القرآن على أمثال هؤلاء المساكين: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً (۸۲) (النساء: ۸۲) .. وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (۱۰۳) (النحل: ۱۰۳) .. وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ (۴۸) (العنكبوت: ۴۸). الخرائط و

المخططات المبينة أدناه توضح المنطقة التى رست فيها سفينة نوح عليه السلام- جبل الجودى- و الواقعة بين العراق و تركيا، و الفرق بينها و بين منطقة آرارات التى ذكرت فى العهد القديم و الواقعة شرق الأناضول قرب أرمينيا و غرب إيران، و المنظر مأخوذ من ثلاث ارتفاعات وصولا- للبعد الذى يحدد المنطقة جغرافيا بالضبط. أما الصور التى تليها توضح الفريق البحثى الذى اكتشف المنطقة و حددها بالضبط. الآثار و التاريخ، ص: ۱۵ ارتفاع ۳۵۰۰ كم عن سطح الأرض ارتفاع ۱۵۰۰ كم عن سطح الأرض جبل آرارات منطقة المثلث العراقى- الإيرانى- التركى التى تحوى جبل الجودى جبل آرارات و جبل الجودى الآثار و التاريخ، ص: ۱۶ منطقة جبل الجودى جنوب شرق تركيا قرب الحدود مع العراق (المنطقة المحددة بالدائرة- ارتفاع ۱۰۰۰ كم عن سطح الأرض) منطقة جبل آرارات شرق الأناضول (منطقة إكدير قرب الحدود مع إيران و أرمينيا) كما حددتها موسوعة إنكارتا ۲۰۰۳ م (ارتفاع ۱۵۰ كم) الآثار و التاريخ، ص: ۱۷ لاحظ شكل السفينة على التراب من وسط إلى أسفل الصورة رجال من الفريق البحثى يقفون أمام إحدى الصخور التى كانت مرسى للسفينة بجنوب تركيا الآثار و التاريخ، ص: ۱۸ أشكال توضح آثار السفينة مع الفريق الآثارى الغربى الذى اكتشف موقع السفينة على جبل الجودى فى تركيا و كما صرح القرآن الكريم. و أما لما ذا هذا الاختلاف بين القرآن و الإنجيل و هما من عند اللّه تعالى؟، فهذا هو السبب الرئيسى لتعهد اللّه تعالى بحفظ القرآن الكريم من أن يعتريه ما اعترى الكتب الآثار و التاريخ، ص: ۱۹ السابقة من تدخل البشر و تحريفهم لها، فهذه هى طبيعة البشر و ديدنهم فى تحوير القوانين حتى السماوية منها وفق أهواءهم و شهواتهم رغم تحذير الأنبياء عليهم السلام لهم من مغبة ذلك، فالأنبياء عليهم السلام يبلغون رسالات ربهم للناس، و لكن الناس هم الذين يحرفون كلام اللّه و تعاليمه و يزيدون و ينقصون فى كتبه المنزلة عليهم حسب أهواءهم، و هذا بالضبط ما حصل للتوراة و الإنجيل. و قد صرح القرآن الكريم بهذه الحقيقة موبخا أصحابها و متوعدا إياهم بالويل و الثبور: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (۷۹)، (البقرة: ۷۹). أما القرآن الكريم فلا يمكن أن يتبدل و يحرف رغم كل محاولات اليهود القديمة و الحديثة بذلك، كيف لا و قد تعهد بحفظه الرحمن الرحيم الذى أنزله على رسوله: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (۹) (الحجر: ۹).

الفصل الثانى قوم لوط (عليه السّلام)

الفصل الثانى قوم لوط (عليه السّلام) لعل فى قصة قوم لوط التى ذكرت فى القرآن الكريم «۱» فى سور عدة ما يدفع إلى العجب، و قد يشكك الإنسان لوهلة مما ورد فى هذه القصة من آيات و أحاديث و هى مذكورة فى كتب التفاسير و كتب قصص الأنبياء. و ما يهمنا هنا هو ما حصل من عقاب إلهى لقوم هذه القرية و هى قرية سدوم فى منطقة تسمى عمق السديم بأرض الأردن قرب البحر الميت و الذى يسمى ببحر لوط أيضا بسبب ما فعلوه من أعمال قبيحة خبيثة تأباها النفس البشرية، و قد حذرهم منها سيدنا لوط عليه السلام إلا أنهم لم يأبهوا بتحذيره بل و تحدوه أن يأتيهم بالعذاب الذى يعدهم به، بل و هددوه بالقتل رجما بالحجارة إن هو لم يكف عن دعوته. عند ذلك دعا لوط ربه أن ينجيه و أهله مما يعملون فأنجاه اللّه و أهله إلا امرأته كانت من الغابرين فهلكت مع قومها الذين أهلكهم اللّه بالصيحة كما قال تعالى فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (۷۳) فَجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (۷۴) (الحجر) «۲». فقد أرسل اللّه تعالى الملائكة بهيئة بشر و قالوا له أن العذاب سيأتى على قومه فى الصباح فحمل سيدنا جبريل عليه السلام الأرض و هم نائمون (أى أرض سدوم) و قلبها جاعلا عاليها سافلها بينما أهل لوط أمروا بالخروج من المدينة و عدم الالتفات إذا سمعوا الصيحة، إلا أن امرأته التفتت فأصابها ما أصاب قومها جزاء لها بعدم طاعتها لنبى اللّه لوط عليه السلام. فيا ترى هل يعقل أن تقتطع جزء من الأرض و تقلب على عكسها كما جاء فى القصة؟. هذا ما أثبتته الأبحاث الآثارية و الجيولوجية فعلا، فقد أثبتت أن طبقات الأرض (

---

۱) لاحظ القصة كاملة فى الملحق (۲). (۲) المستفاد من قصص القرآن، د. عبد الكريم زيدان، ج/ ۱، ص ۲۳۱.

الفصل الثالث جثة فرعون مصر

الفصل الثالث جثة فرعون مصر «۱» ثم تأتى قصة فرعون المعروفة و تحديه لسيدنا موسى عليه السلام حتى أغرقه اللّه فى البحر الأحمر بعد أن جيش جيشا لاحق به سيدنا موسى عليه السلام و من آمن معه لكى ينالوا منهم و عند ما وصل القوم إلى البحر الأحمر و الجيش وراءهم ظنوا أنهم هالكون إلا أن سيدنا موسى دعا اللّه أن ينجيهم، ففتح اللّه البحر لهم نصفين من الماء كل نصف كالجبل الكبير و عبر موسى عليه السلام و من معه فى ممر يابس غير مبلل أو رطب: وَ لَقَدْ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخافُ دَرَكاً وَ لا تَخْشى (۷۷)، (سورة طه: ۷۷)، فحاول فرعون و من معه اللحاق بهم حتى اذا عبر قوم موسى كلهم أطبق البحر على جيش فرعون و غرقوا كلهم و طافت جثة فرعون على البحر ثم أخذت و حنطت و هذا ما ذكره القرآن الكريم فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ (۹۲)، (يونس: ۹۲). و قد كان هذا الفرعون المقصود بالآية مجهولا حتى اكتشف مؤخرا أن الفرعون المحنط فى متاحف القاهرة فى أنفه حبات رمل عند ما أخذت و فحصت وجد أنها من حبات رمل البحر الأحمر و هو البحر الذى عبر به موسى مع قومه من مصر إلى الشام.

(_____ ۱) راجع قصة سيدنا موسى عليه السّلام كاملة فى الملحق (۳). الآثار و التاريخ، ص: ۲۳ صورة لتابوت الفرعون مع صورة بالأشعة السينية لها. الآثار و التاريخ، ص: ۲۴ جثة فرعون موسى التى تركها اللّه تعالى آية لكل معتبر فقد كشفت مجلة بارى ماتش الفرنسية الصادرة مؤخرا أن فريقا طبيا فرنسيا يتكون من ۱۱۲ طبيبا أعلنوا أن فرعون مصر فى زمن موسى عليه السلام مات غرقا كما أخبر الآثار و التاريخ، ص: ۲۵ بذلك القرآن الكريم قبل أكثر من ۱۴۰۰ سنة .. أعلنت ذلك الدكتورة كريستسن نيلكوت رئيسة الفريق الطبى الفرنسى، و أضافت أن الفحوص التى أجريت على جثة فرعون المعروضة الآن فى المتحف المصرى أثبتت وجود حبيبات رملية بحرية و صحراوية على جسده و شعره و وجود فطريات على جلده سببت تآكلا- تم علاجه بالأشعة ليبقى بدنه فى ذمة الخلود كما أخبر اللّه تعالى عنه. و قوله تعالى: فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً. قال ابن عباس و غير واحد: شك بعض بنى إسرائيل فى موت فرعون، حتى قال بعضهم: إنّه لا- يموت، فأمر اللّه البحر فرفعه على مرتفع، قيل: على وجه الماء، و قيل: على نجوة من الأرض، و عليه درعه التى يعرفونها من ملابسه ليتحققوا بذلك هلاكه و يعلموا قدرة اللّه عليه، و لهذا قال: فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ أى مصاحبا درعك المعروفة بك لِتَكُونَ أى أنت آية لِمَنْ خَلْفَكَ أى من بنى إسرائيل، دليلا على قدرة اللّه الذى أهلكه. و لهذا قرأ بعض السلف: لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً، و يحتمل أن يكون المراد ننجيك مصاحبا لتكون درعك علامة لمن وراءك من بنى إسرائيل على معرفتك و أنك هلكت، و اللّه أعلم، و قد كان هلاكه و جنوده فى يوم عاشوراء، كما قال الإمام البخارى فى صحيحه: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن أبى بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قدم النبى صلّى اللّه عليه و سلم المدينة و اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: (ما هذا اليوم الذى تصومونه؟)، فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون، قال النبى صلّى اللّه عليه و سلم: (أنتم أحق بموسى منهم فصوموا). و أصل الحديث فى الصحيحين و غيرهما، و اللّه أعلم «۱». و جدير بالذكر أن فرعون الذى لاحق بقواته موسى عليه السلام و اتباعه حتى ساحل البحر الأحمر فانفلق البحر ليمر من خلاله المؤمنون ثم انطبق مغرقا فرعون و أتباعه يدعى (منفتاخ بن رمسيس الثانى) الذى اكتشفت جثته فى حفريات الأقصر عام_____

(۱) لاحظ الملحق (۳). الآثار و التاريخ، ص: ۲۶ ۱۹۰۰ من قبل علماء الآثار فى قبر لم يكن مهيئا لمثله أبدا، و فسر العلماء ذلك أن المصريين لم يهيئوا له قبر لأنهم لم يكونوا يتوقعون موته نتيجة لادعائه الألوهية و تصديقهم له بالمقابل. و جاءت كشوف الفريق الطبى مؤخرا بناء على طلب علمى فرنسى لإجراء العناية اللازمة بالأشعة و الأجهزة المتطورة لتلافى بعض الضرر الحاصل على جثة فرعون من جراء هذا الزمن الطويل الذى يزيد على أربعة آلاف سنة منذ حادث الغرق، و كل ذلك مصداق للقرآن الكريم الذى ذكر

أن جثة فرعون ستبقى فى ذمة الخلود بعيدا عن التلف، كآية من آيات اللّه تعالى فى خلقه.

الفصل الرابع قصة أصحاب الكهف

الفصل الرابع قصة أصحاب الكهف ذكر محمد بن إسحاق سبب نزول هذه السورة فقال: (حدثنى شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع و أربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال ":بعثت قريش النضر بن الحارث، و عقبة بن أبى معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، و أخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، و عندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ... فخرجا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و وصفوا لهم أمره و بعض قوله، و قالا: إنكم أهل التوراة، و قد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا. قال: فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن. فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل، و إلا فرجل متقول تروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول. ما كان من أمرهم؟ فإنهم كان لهم حديث عجيب. و سلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض و مغاربها. ما كان نبؤه؟، و سلوه عن الروح ما هو؟، فإن أخبركم بذلك فهو نبى فاتبعوه، و إن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم ... فأقبل النضر و عقبة حتى قدما على قريش، فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم و بين محمد. قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور ... فأخبروهم بها. فجاءوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فقالوا: يا محمد أخبرنا ... فسألوه عما أمروهم به. فقال لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: (أخبركم غدا عما سألتم عنه)،- و لم يستثن- فانصرفوا عنه. و مكث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم خمس عشرة ليلة لا- يحدث اللّه له فى ذلك وحيا، و لا- يأتيه جبريل عليه السلام، حتى أرجف أهل مكة؛ و قالوا: وعدنا محمد غدا، و اليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه. و حتى أحزن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مكث الوحى عنه؛ و شق عليه ما يتكلم به أهل مكة. ثم جاءه جبريل عليه السلام من اللّه عز و جل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، و خبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، و الرجل الطواف، و قول اللّه عز و جل (و يسألونك عن الروح ...) الآية. الآثار و التاريخ، ص: ۲۸ هذه رواية ... و قد وردت عن ابن عباس- رضى اللّه عنهما- رواية أخرى فى سبب نزول آية الروح خاصة، ذكرها العوفى. و ذلك أن اليهود قالوا للنبى صلّى اللّه عليه و سلم: أخبرنا عن الروح، و كيف تعذب الروح التى فى الجسد و إنما الروح من اللّه؟ و لم يكن نزل عليه شيء، فلم يحر إليهم شيئا، فأتاه جبريل عليه السلام بالوحى الكريم من قوله تعالى: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (۸۵)، (الإسراء: ۸۵) .. إلى آخر الرواية. فى قصة أصحاب الكهف ما يبعث على العجب كما وصفهم اللّه تعالى: أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً (۹)، (الكهف: ۹). فهم كما هو معروف فتية ذكرهم القرآن جاعلا- من عددهم محل جدل كبير اختلف فيه كثيرا حتى أثبت مؤخرا تطابقه مع ما جاء فى القرآن الكريم. مدخل باب الكهف الآثار و التاريخ، ص: ۲۹ أما مكانهم فظل مجهولا حتى اكتشف مؤخرا، حيث تقول الآيات الكريمات فى سورة الكهف أنهم مجموعة من الشباب هربوا من قومهم لما رأوهم على الباطل و دخلوا كهفا يعبدون اللّه تعالى فيه و معهم كلبهم، فأنامهم اللّه ثلاثمائة و تسع سنين ثم بعثهم اللّه من نومهم ليجعلهم لأهل زمانهم آية على قدرة اللّه على البعث بعد الموت، و بنوا عليهم مسجدا ليجعلوه آية للناس. و قد اختلف فى عددهم و مدة لبثهم فى الكهف، فلما عجز المفسرون عن ذلك قالوا أن اللّه أعلم بهم و بمدتهم و عددهم و مكانهم، حيث قال اللّه تعالى عن قصة هؤلاء الشبيبة: وَ تَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ وَ نُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَ ذاتَ الشِّمالِ وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً وَ لَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً (۱۸) وَ كَذلِكَ بَعَثْناهُمْ لِيَتَسائَلُوا بَيْنَهُمْ قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكى طَعاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَ لْيَتَلَطَّفْ وَ لا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً (۱۹) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَ لَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً (۲۰) وَ كَذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ أَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيها إِذْ يَتَنازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْياناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً (۲۱)

سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَ يَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ما يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلا تُمارِ فِيهِمْ إِلَّا مِراءً ظاهِراً وَ لا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً (۲۲)، (الكهف). و قد ظل الجدال قائما بين المفسرين حول عددهم و مكانهم و صدق اللّه القائل ... ما يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ...، فقد توصل فريق بحثى آثارى فى الأردن عام ۱۹۶۳ م إلى اكتشاف الكهف الخاص لأصحاب الرقيم فى مدينة الرقيم الأردنية التى تبعد ۷ كم عن عمان الحالية (فيلادلفيا قديما)، و كذلك المسجد الذى بنى عليهم و وجد فيه ثمانية قبور الآثار و التاريخ، ص: ۳۰ مع صورة تمثل شكل كلب على جدران الكهف «۱»، و إذا ما لاحظت الآية الكريمة فإنها تذكر ... سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ ..، أى أن كلامهم غير مبنى على أسس علمية أو يقين ثابت، لكنه عند ما ذكر ... وَ يَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ...، فالواو هنا واو الابتداء و عند العرب الأرقام بعد الرقم ۷ تضاف الواو لها فتسمى واو الثمانية كما فى قوله تعالى من سورة الحاقة: سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَ ثَمانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعى كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ (۷). ثم اتبع القرآن الكريم سرد القصة بقوله تعالى: ... قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ما يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ...، قال سيدنا ابن عباس رضى اللّه عنه (أنا من هؤلاء القليل). يقول السيوطى فى الإتقان (ج ۲/ ص ۳۸۹): (أصحاب الكهف تمليخا و هو رئيسهم و القائل فابعثوا أحدكم بورقكم و القائل فأووا إلى الكهف و القائل ربكم أعلم بما لبثتم، و تكسلمينا و هو القائل كم لبثتم، و مرطوش و براشق و أيونس و أريسطانس و شلطيوس) ... و يقول رحمه اللّه تعالى أيضا فى مكان آخر (ج ۲/ ص ۴۷۰): (و المنقول إما عن المعصوم صلّى اللّه عليه و سلم أو غيره، و منه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره، و منه ما لا يمكن ذلك. و هذا القسم الذى لا- يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامته مما لا فائدة فيه و لا حاجة بنا إلى معرفته و ذلك كاختلافهم فى لون كلب أصحاب الكهف و اسمه و فى البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة و فى قدر سفينة نوح و خشبها و فى اسم الغلام الذى قتله الخضر و نحوه) ... و فى التبيان فى تفسير غريب القرآن نقرأ (ج ۱/ ص ۲۷۱): (الرقيم لوح كتب فيه خبر أصحاب الكهف و نصب على باب الكهف، و يقال إنه اسم الوادى الذى فيه الكهف).

(_____ ۱) تذكر الموسوعة البريطانية أن أهل الكهف موجودون فى تركيا. الآثار و التاريخ، ص: ۳۱ شكل يوضح بعض قبور أهل الكهف و الرقيم الذى قصة لنا القرآن الكريم اكتشف فى الأردن لقد حصل اكتشاف الكهف عام ۱۹۶۳ م، و هو غيب لم يعرف إلا- بعد أكثر من ۱۴۰۰ عام من نزول القرآن الكريم. و من اللطائف أن صاحب كتاب خوارق الإبداع (شقيقه قره‌كله) ذكر أن أفلاطون شاهد السجن الرهيب الذى كان (رئيس) الطاغية الآثار و التاريخ، ص: ۳۲ يسجن أعداءه عند ما زار (سيراكوسا)، و قد اكتشف ذلك عيانا بيانا و كما أسلفنا. و فى قصة أصحاب الكهف أيضا سبق قرآنى من نوع آخر، و هو السبق العددى المتعلق بفرق السنين الشمسية عن القمرية، فقوله تعالى بعد ما حدد مدة النوم ب ۳۰۰ عام .. وَ ازْدَادُوا تِسْعاً ..، يبين لأهل الحساب و الفلك بما لا يدع مجالا للشك الفرق الزمنى بين التقويمين، فالسنة القمرية تقل عن الشمسية بحوالى ۱۱ يوما، و عند حساب مدة ۳۰۰ عام تجد أن الفرق بين التقويمين لهذه المدة هو بالضبط ۹ سنوات، فسبحان اللّه الذى أحصى كل شىء عددا، و ما أعظم شأن هذا الكتاب الذى لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها و عدّها عدّا.

الفصل الخامس دلائل تأريخية أخرى

اشارة

الفصل الخامس دلائل تأريخية أخرى أكد القرآن الكريم على حقائق تاريخية لم تكن معروفة فى زمن الرسالة بل اكتشفت فى وقت متأخر مثل: أ- إن أهل مصر كانوا يسمون حاكمهم فرعون عند ما يكون مصريا و يسمونه ملكا عند ما يكون من غير مصر، كما كان

فى زمن سيدنا يوسف عليه السّلام حيث كان حاكم مصر هكسوسيا. ب- أن الزوج فى مصر القديمة كان يسمى سيد و أن الوزير كان يسمى العزيز و هذا واضح فى سورة يوسف و أيدته الأبحاث الحديثة. ج- أن عادا و ثمود ليستا أساطير بل أنهما مذكورتان فى تاريخ بطليموس. د- فى قصة ملكة سبأ (بلقيس) مع النبى سليمان عليه السلام التى أوردها القرآن الكريم جاءت القصة لتشمل تفاصيل لم ترد فى الكتب السماوية السابقة كقصة تفقد سيدنا سليمان للجيش العرمرم الذى كان يملكه من الحيوان و الجن فضلا عن جنود الإنس، و منها قصة الهدهد و قصة الصافنات الجياد و غيرها: وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَ قالَ يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (۱۶) وَ حُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (۱۷) حَتَّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (۱۸) فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها وَ قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلى والِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصَّالِحِينَ (۱۹) وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ (۲۰)، (النمل) ... إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِناتُ الْجِيادُ (۲۱)، (ص: ۳۱). الآثار و التاريخ، ص: ۳۴ و قد أثبت فريق بحثى عالمى مكون من عالم الآثار وينـدول فيليبس و من بعده اخته ميدلين فيليبس مع فريق بحثى متخصص من جامعة كليغارى الكندية من إثبات تفاصيل القصة و تطابق التحريات الآثارية مع مجريات عديدة منها.

و قد تنبأ القرآن بحوادث وقعت فعلا:

اشارة

و قد تنبأ القرآن بحوادث وقعت فعلا: أ- انتصار الروم على الفرس بعد أن هزموا أمامهم و حدد لذلك بضع سنين و تحقق النصر مثل ما ذكر فى القرآن فى سورة الروم بالتحديد بقوله تعالى: الم (۱) غُلِبَتِ الرُّومُ (۲) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (۳) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (۴) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۵) وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (۶)، (الروم) ... نقرأ بعض ما قاله أهل التفسير رحمهم اللّه تعالى فى هذه الآية المباركة: ۱. فى إعجاز القرآن (ج ۱/ ص ۴۸) ما نصه: (فأما الفصل الذى بدأنا بذكره من الإخبار عن الغيوب و الصدق و الإصابة فى ذلك كله فهو كقوله تعالى قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرابِ سَتُدْعَوْنَ إِلى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا كَما تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً (۱۶) (الفتح: ۱۶)، فأغزاهم أبو بكر و عمر رضى اللّه عنهما إلى قتال العرب و الفرس و الروم. و كقوله تعالى الم (۱) غُلِبَتِ الرُّومُ (۲) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (۳) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (۴)، و راهن أبو بكر الصديق رضى اللّه عنه فى ذلك و صدق اللّه وعده. و كقوله فى قصة أهل بدر وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَ يَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ (۷) (الأنفال: ۷) .. و كقوله تعالى سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ (۴۵)، (القمر: ۴۵) .. و كقوله تعالى لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ الآثار و التاريخ، ص: ۳۵ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحاً قَرِيباً (۲۷)، (الفتح: ۲۷) ... و كقوله تعالى وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ (۵۵) (النور: ۵۵)، و صدق اللّه تعالى وعده فى ذلك كله .. و قال فى قصة المخلفين عنه فى غزوته فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَ لَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخالِفِينَ (۸۳)، (التوبة: ۸۳)، فحق ذلك كله و صدق و لم يخرج من المنافقين الذين خوطبوا

بـذلك معه أحد). ۲. فى مناهـل العرفـان (ج ۲/ ص ۲۶۸) مـا نصه: (و أمـا غيب المسـتقبل فنمثل له بأمثلـة عشـرة، المثال الأول إخبار القرآن عن الروم بأنهم سينتصرون فى بضع سنين من إعلان هذا النبأ الذى يقول اللّه فيه الم (۱) غُلِبَتِ الرُّومُ (۲) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (۳) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (۴) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۵) وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (۶)، (الروم) .. و بيـان ذلك أن دولـة الرومان و هى مسيحية كانت قـد انهزمت أمام دولـة الفرس و هى وثنية فى حروب طاحنة بينهما سـنة ۶۱۴ م فاغتم المسـلمون بسبب أنها هزيمة لدولة متدينة أمام دولـة وثنية و فرح المشـركون و قالوا للمسـلمين فى شـماتة العدو إن الروم يشـهدون أنهم أهل كتاب و قد غلبهم المجوس و أنتم تزعمون أنكم ستغلبون بالكتاب الذى أنزل عليكم فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم فنزلت الآيات الكريمة يبشر اللّه فيها المسلمين بأن هزيمـة الروم هـذه سيعقبها انتصار فى بضع سنين أى فى مـدة تتراوح بين ثلاثة سـنوات و تسع و لم يك مظنونا وقت هذه البشارة أن الروم تنتصـر على الفرس فى مثل هـذه المـدة الوجيزة بل كانت المقـدمات و الأسـباب تأبى ذلك عليها لأن الحروب الطاحنة أنهكتها حتى غزيت فى عقر الآثار و التاريخ، ص: ۳۶ دارها كما يـدل عليه النص الكريم فى أدنى الأرض و لأن دولة الفرس كانت قوية منيعة و زادها الظفر الأخير قوة و منعـة حتى إنه بسـبب اسـتحالة أن ينتصـر الروم عادة أو تقوم لهم قائمة راهن بعض المشـركين أبا بكر على تحقق هذه النبوءة و لكن اللّه تعالى أنجز وعده و تحققت نبوءة القرآن سنة ۶۲۲ م الموافقة للسنة الثانية من الهجرة المحمدية و مما هو جدير بالذكر أن هذه الآية نفسها حملت نبوءة أخرى و هى البشارة بأن المسلمين سيفرحون بنصر عزيز فى هذه الوقت الذى ينتصر فيه الروم و يومئـذ يفرح المؤمنون بنصـر اللّه و لقـد صـدق اللّه وعـده فى هـذه كما صـدقه فى تلك و كان ظفر المسـلمين فى غزوة بـدر الكبرى واقعا فى الظرف الـذى صـدر فيه الرومان). و فى هـذه الآية المباركة إعجاز من نوع آخر، و هو جيولوجى و طبوغرافى، إذ أن منطقـة الأحـداث الـتى وقعت فيهـا المعركـة و هو قريبـة من البحر الميت تعتبر أخفض منطقـة فى العـالم عن مسـتوى سـطح البحر كما اكتشف حـديثا الأمر الـذى أخبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ..، أى أخفضـها، فسـبحان اللّه. ب- منذ سـنة ۳۰۰ م إلى أن دخـل الإسـلام فى اليمن- أى بعـد هـذا التأريـخ بمـا يزيـد على الثلاثـة قرون و نصف- عرفت الدولـة فى هـذا العهـد بالـدولة الحميريـة الثانيـة، و فى هـذا العهـد توالت عليهـا الاضـطرابات و الحوادث، و تتابعت الانقلابات و الحروب الأهليـة التى جعلتها عرضـة للأجانب كالرومان الـذين دخلوا عدن، و بمعونتهم دخل الأحباش لأول مرة إلى البلاد عام ۳۴۰ م، مستغلين التنافس بين قبيلتى همدان و حمير، و اسـتمر احتلالهم حتى عام ۳۷۸ م، ثم نالت اليمن اسـتقلالها. لكن سد مأرب بدأ بالتصدع حتى وقع السيل العظيم الذى دمر المنطقة بأسـرها و شرد أهلها عام ۴۵۰ م أو ۴۵۱ م، و هـذه الحادثة ذكرها القرآن العظيم فى سورة سـبأ بقوله تعالى: فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَ بَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَ أَثْلٍ وَ شَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (۱۶)، (سبأ: ۱۶). و فى سنة ۵۲۳ م قاد ذو نواس اليهودى حملة على النصارى من أهل نجران، و حاول صـرفهم عن النصـرانية قسـرا، و لما أبوا شق لهم الأخدود العظيم و أضـرم النيران فيه و ألقاهم الآثار و التاريـخ، ص: ۳۷ فيها ظلما و عـدوانا، و هذه القصة فصـلها القرآن الكريم فى سورة خاصة لأهميتها و هى سورة البروج بقوله تعالى: قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ (۴) النَّارِ ذاتِ الْوَقُودِ (۵) إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ (۶) وَ هُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (۷) وَ مـا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (۸) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (۹). و إثر ذلـك نقم الرومان على ملك اليمن اليهودى و ساعـدوا الأحباش على غزوها ثانيـة فكان لهم ذلك بقيادة أرياط عام ۵۲۵ م، و استمر حكمه عليها حتى اغتاله أحد قواده أبرهة بن الأشرم عام ۵۴۹ م، و حكم بدله اليمن بعد أن استرضى ملك الحبشة، و هذا الأشرم نفسه الذى أراد هدم الكعبة لصرف العرب عن قدسيتها، فجيش الجيوش و على رأسها فيل عظيم و سار بالجيش حتى وصل مشارفها، فسلط اللّه تعالى عليه الطير الأبابيل التى قضت عليه و على جيشه الباغى، و هذا العام سمى عام الفيل و هو العام الذى ولد فيه المصطفى صلّى اللّه عليه و سلم. هـذه الحادثـة ثبتهـا القرآن الكريم بسورة خاصـة لأهميتهـا أيضا هى سورة الفيل بقوله تعالى «۱»: أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ (۱) أَ لَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (۲) وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ (۳) تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (۴) فَجَعَلَهُمْ

كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (۵). و هكذا يثبت القرآن الكريم هذه الأحداث التاريخية المتفاوتة و الممتدة من مبعث سيدنا عيسى عليه السلام و حتى الولادة المباركة لسيدنا محمد صلّى اللّه عليه و سلم. ج- إن الرسول صلّى اللّه عليه و سلم سيدخل مكة منتصرا، و أن اللّه سيظهر دينه كله فى آفاق الأرض، و أن الدين سيكتمل و ينتشر «۲» ... و هذا ما نجده مشخصا بجلاء فى الآية المباركة وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ

(_____ ۱) الرحيق المختوم للمباركفورى، ص ۲۴- ۲۵ بتصرف. (۲) انظر كتابنا (القوانين القرآنية للحضارات)، ففيه تفاصيل واسعة و مهمة فى هذا الموضوع. الآثار و التاريخ، ص: ۳۸ الْفاسِقُونَ (۵۵)، (النور: ۵۵) ... أى أن اللّه تعالى وعد بأمر لا يخلف و هو أنه يمكن الأمة لتستخلف الأرض و ما فيها من أمم و قرى و ينقلهم من الخوف و الذل إلى الأمن و العز بالنصر، و لكن لمن؟ للذى يطبق شروط النصر و إقامة الدين بكل حيثياته التى ذكرنا، ثم قال و من كفر أى لم يطبق ذلك فإن النتيجة ستكون الهزيمة لكل فاسق أدار ظهره لأوامر ربه. و قوله تعالى كما استخلف الذين من قبلهم مستمرة إلى يوم القيامة فلا يظنن أحد أن الآية تقتصر على من سبقنا من الأمم حسب، بل أن الأمر يتعدى إلى كونه قانونا آخر يتعلق بالأجيال المتلاحقة من هذه الأمة. و كأن اللّه تعالى يقول لنا قد تعهدت لكم بالنصر و تركت لكم مفتاح ذلك، فإن طبقتم الشرع جاءكم النصر و لو بتغيير النواميس الكونية، و إن أبيتم ذلك فلا تلومن إلا أنفسكم. لندخل فى تفاصيل تفسير هذا القانون القرآنى المهم فى هذه الآية الكريمة التى تحمل البشارات لهذه الأمة:

۱. مناهل العرفان

۱. مناهل العرفان: (ج ۲/ ص (۲۷۱- ۲۷۲) المثال الخامس تنبأ القرآن بأن المستقبل السعيد ينتظر المسلمين فى وقت لم تكن عوامل هذا المستقبل السعيد مواتية ثم إذا تأويل هذا النبأ يأتى على نحو ما أخبر القرآن فى أقصر ما يكون من الزمان أجل إننا لنقرأ فى سورة الصافات المكية وَ إِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ (۱۷۳)، و فى سورة غافر المكية أيضا إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ (۵۱)، و كذلك نقرأ فى سورة النور المدينة وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً، على حين أن سجلات التاريخ لا تزال تحفظ بين طياتها ما يشيب الوليد من ألوان الاضطهاد و الأذى الذى أصاب الرسول صلّى اللّه عليه و سلم و أتباعه فى مكة و المدينة على عهد نزول هذه الوعود المؤكدة الكريمة حتى لقد كان أكبر أمانى المسلمين بعد هجرتهم و تنفسهم الصعداء قليلا أن يسلم لهم دينهم و يعيشوا آمنين فى مهاجرهم كما يدل على ذلك ما صححه الحاكم عن أبى بن كعب قال لما قدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و أصحابه المدينة و آوتهم الأنصار الآثار و التاريخ، ص: ۳۹ رمتهم العرب عن قوس واحدة و كانوا لا يبيتون إلا بالسلاح و لا يصبحون إلا فيه فقالوا أ ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا اللّه فنزلت الآية و كذلك روى ابن أبى حاتم. و قال البراء نزلت هذه الآية و نحن فى خوف شديد أى قوله تعالى وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ ..، هكذا كان حال الصحابة أيام أن وعدهم اللّه ما وعد و ما أعجل تحقق هذا الوعد الإلهى رغم هذه الحال المنافية فى العادة لما وعد فدالت الدولة لهم و استخلفهم فى أقطار الأرض و أورثهم ملك كسرى و قيصر و مكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم و أبدلهم من بعد خوفهم أمنا، يا لها نبوءة تأبى عادة أن يتحدث بها إلا- من يملك تحقيقها و من يخرق إن شاء عادات الكون و نواميسه من أجلها إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ (۷)، وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ.

۲. التبيان فى إعراب القرآن

۲. التبيان فى إعراب القرآن (ج ۲/ ص ۱۵۹ قوله تعالى .. كَمَا اسْتَخْلَفَ ..، نعت لمصدر محذوف أى استخلافا كما استخلف قوله تعالى يعبدوننى فى موضع الحال من ضمير الفاعل فى .. لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ..، أو من الضمير فى ليبدلنهم لا يشركون يجوز أن يكون حالا بدلا من الحال الأولى و أن يكون حالا من الفاعل فى يعبدوننى أى يعبدوننى موحدين.

۳. تفسير البيضاوى

۳. تفسير البيضاوى (ج ۴/ ص ۱۹۷- ۱۹۸) وعد اللّه الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات خطاب للرسول صلّى اللّه عليه و سلم و للأمة أوله و لمن معه و من للبيان ... لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ...، أى ليجعلنهم خلفاء متصرفين فى الأرض تصرف الملوك فى مماليكهم و هو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم اللّه و أقسم ليستخلفنّهم أو الوعد فى تحقيقه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم يعنى بنى إسرائيل استخلفهم فى مصر و الشام ببعد الجبابرة و قرأ أبو بكر بضم التاء و كسر اللام و إذا ابتدأ ضم الألف و الباقون بفتحهما و إذا ابتدءوا كسروا الألف و ليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم و هو الإسلام بالتقوية و التثبيت ... وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ ..، الآثار و التاريخ، ص: ۴۰ العداد و قرأ ابن كثير و أبو بكر بالتخفيف .. أَمْناً .. .. و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و أصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا إلى المدينة و كانوا يصبحون فى السلاح و يمسون فيه حتى أنجز اللّه وعده فأظهرهم على العرب كلهم و فتح لهم بلاد الشرق و الغرب، و فيه دليل على صحة النبوة للإخبار عن الغيب على ما هو به و خلافة الخلفاء الراشدين إذ لم يجتمع الوعود و الوعود عليه لغيرهم بالإجماع، و قيل الخوف من العذاب و الأمن منه فى الآخرة، يعبدوننى حال من الذين لتقيد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف ببيان المقتضى للاستخلاف و الأمن، لا يشركون بى شيئا حال من الواو أى يعبدوننى غير مشركين من كفر و من ارتد أو كفر هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد أو حصول الخلافة فأولئك هم الفاسقون الكاملون فى فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح حصول هذه الآيات، أو كفروا تلك النعمة العظيمة. وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ ..، فى سائر ما أمركم به و لا- يبعد عطف ذلك على .. أَطِيعُوا اللَّهَ ..، فإن الفاصل وعد على المأمور به فيكون تكرير الأمر بطاعة الرسول صلّى اللّه عليه و سلم لتأكيد و تعليق الرحمة بها أو بالمندرجة هى فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى.

۴. تفسير القرطبى

۴. تفسير القرطبى (ج ۱۲/ ص ۲۹۹- ۳۰۰) ... لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ...، و قوله ... كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ...، يعنى بنى إسرائيل و إذ أهلك اللّه الجبابرة بمصر و أورثهم أرضهم و ديارهم فقال و أورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض و مغاربها، و هكذا كان الصحابة مستضعفين خائفين ثم إنّ اللّه تعالى أمنهم و مكنهم و ملكهم فصح أن الآية عامة لأمة محمد صلّى اللّه عليه و سلم غير مخصوصة، إذ التخصيص لا- يكون إلا بخبر ممن يجب له التسليم و من الأصل المعلوم التمسك بالعموم. و جاء فى معنى تبديل خوفهم بالأمن أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لما قال أصحابه أما يأتى علينا يوم نأمن فيه و نضع السلاح فقال عليه السلام (لا- تلبثون إلا- قليلا- حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم محتبيا ليس عليه حديدة)، و قال صلّى اللّه عليه و سلم (و اللّه ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا اللّه الآثار و التاريخ، ص: ۴۱ و الذئب على غنمه و لكنكم تستعجلون)، أخرجه مسلم فى صحيحه، فكان كما أخبر صلّى اللّه عليه و سلم فالآية معجزة النبوة لأنها إخبار عما سيكون .. فكان قوله تعالى ... لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ...، فيه قولان أحدهما يعنى أرض مكة لأن المهاجرين سألوا اللّه تعالى ذلك فوعدوا كما و عدت بنو إسرائيل، قال معناه النقاش، الثانى بلاد العرب و العجم قال ابن العربى و هو الصحيح، لأن أرض مكة محرمة على المهاجرين كما قال النبى صلّى اللّه عليه و سلم، لكن البائس سعيد بن خولة يرثى له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أن مات بمكة و قال فى الصحيح أيضا (يمكث المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثا) و اللام فى ليستخلفنهم جواب قسم مضمر لأن الوعد قول مجازها، قال اللّه للذين

آمنوا و عملوا الصالحات و اللّه ليستخلفنهم فى الأرض فيجعلهم ملوكا و سكانها كما استخلف الذين من قبلهم يعنى بنى إسرائيل أهل الجبابرة بمصر و الشأم و أورثهم أرضهم و ديارهم .. و قراءة العامة كما استخلف بفتح التاء و اللام لقوله وعد و قوله ليستخلفنهم، و قرأ عيسى بن عمرو و أبو بكر و المفضل عن عاصم استخلف بضم التاء و كسر اللام على الفعل المجهول .. وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضى لَهُمْ ..، و هو الإسلام كما قال تعالى .. وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً .. .. و روى سليم بن عامر عن المقداد ابن الأسود قال سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يقول (ما على ظهر الأرض بيت حجر و لا مدر إلا أدخله اللّه كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل أما بعزهم فيجعلهم من أهلها و أما بذلهم فيدينون بها)، ذكره الماوردى حجة لمن قال إن المراد بالأرض بلاد العرب و العجم و هو القول الثانى على ما تقدم آنفا و ليبدلنهم .. قرأ ابن محيصن و ابن كثير و يعقوب و أبو بكر بالتخفيف من أبدل و هى قراءة الحسن و اختيار أبى حاتم الباقون بالتشديد من بدل و هى اختيار أبى عبيد لأنها أكثر ما فى القرآن الكريم.

۵. تفسير ابن كثير

۵. تفسير ابن كثير (ج ۳/ ص ۲۰۲- ۲۰۳) يقول تعالى مخبرا عما حتمه و قضاه لعباده الصالحين من السعادة فى الدنيا و الآخرة و وراثة الأرض فى الدنيا و الآخرة كقوله تعالى إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، و قال إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الآثار و التاريخ، ص: ۴۲ الدُّنْيا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ (۵۱)، و قال وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضى لَهُمْ ..، و أخبر تعالى أن هذا مسطور فى الكتب الشرعية و القدرية و هو كائن لا محالة و لهذا قال تعالى و لقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر. قال الأعمش سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالى وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ..، فقال الزبور التوراة و الإنجيل و القرآن، و قال مجاهد الزبور الكتاب، و قال ابن عباس و الشعبى و الحسن و قتادة و غير واحد الزبور الذى أنزل على داود و الذكر التوراة، و عن ابن عباس الزبور القرآن، و قال سعيد بن جبير الذكر الذى فى السماء، و قال مجاهد الزبور الكتب بعد الذكر و الذكر أم الكتاب عند اللّه، و اختار ذلك ابن جرير رحمه اللّه، و كذا قال زيد بن أسلم هو الكتاب الأول، و قال الثورى هو اللوح المحفوظ، و قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الزبور الكتب التى أنزلت على الأنبياء و الذكر أم الكتاب الذى يكتب فيه الأشياء قبل ذلك، و قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أخبر اللّه سبحانه و تعالى فى التوراة و الزبور و سابق علمه قبل أن تكون السماوات و الأرض أن يورث أمة محمد صلّى اللّه عليه و سلم الأرض و يدخلهم الجنة و هم الصالحون، و قال مجاهد عن ابن عباس أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ، قال أرض الجنة و كذا قال أبو العالية و مجاهد و سعيد بن جبير و الشعبى و قتادة و السدى و أبو صالح و الربيع بن أنس و الثورى، و قال أبو الدرداء نحن الصالحون، و قال السدى هم المؤمنون و قوله إِنَّ فِي هذا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِينَ (۱۰۶)، أى إن فى هذا القرآن الذى أنزلناه على عبدنا محمد صلّى اللّه عليه و سلم لبلاغا لنفعه و كفاية لقوم عابدين و هم الذين عبدوا اللّه بما شرعه و أحبه و رضيه و آثروا طاعة اللّه على طاعة الشيطان و شهوات أنفسهم .. و قوله وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ (۱۰۷)، يخبر تعالى أن اللّه جعل محمدا صلّى اللّه عليه و سلم رحمة للعالمين أى أرسله رحمة لهم كلهم فمن قبل هذه الرحمة و شكر هذه النعمة سعد فى الدنيا و الآخرة و من ردها و جحدها خسر الدنيا و الآخرة كما قال تعالى أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الآثار و التاريخ، ص: ۴۳ الْبَوارِ (۲۸) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَ بِئْسَ الْقَرارُ (۲۹)، و قال تعالى فى صفة القرآن قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَ شِفاءٌ وَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ وَ هُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ، و قال مسلم فى صحيحه ۲۵۹۹ عن أبى هريرة قال قيل يا رسول اللّه ادع على المشركين قال صلّى اللّه عليه و سلم (إنى لم أبعث لعانا و إنما بعثت رحمة)، انفرد بإخراجه مسلم، و فى الحديث الآخر (إنما أنا رحمة مهداة)، رواه عبد اللّه بن أبى عرابة و غيره عن وكيع عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعا، و كذا قال البخارى، قال الحافظ ابن عساكر و قد رواه مالك بن سعير بن الخمس عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعا ثم ساقه من طريق أبى بكر ابن المقرئ و أبى أحمد

الحاكم كلاهما عن بكر بن محمد بن إبراهيم الصوفى .. و عن ابن عمر قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم (إن اللّه بعثنى رحمة مهداة بعثت برفع قوم و خفض آخرين). قال أبو القاسم الطبرانى عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال قال أبو جهل حين قدم مكة منصرفه عن خمره يا معشر قريش إن محمدا نزل يثرب و أرسل طلائعه و إنما يريد أن يصيب منكم شيئا فاحذروا أن تمروا طريقه و تقاربوه فإنه كالأسد الضارى إنه حنق عليكم لأنكم نفيتموه نفى القردان عن المناسم و اللّه إن له لسحرة ما رأيته قط و لا أحدا من أصحابه إلا رأيت معهم الشياطين و إنكم قد عرفتم عداوة ابنى قيلة يعنى الأوس و الخزرج فهو عدو استعان بعدو، فقال له مطعم بن عدى يا أبا الحكم و اللّه ما رأيت أحدا أصدق لسانا و لا أصدق موعدا من أخيكم الذى طردتم و إذ فعلتم الذى فعلتم فكونوا أكف الناس عنه، قال أبو سفيان بن الحارث كونوا أشد ما كنتم عليه إن ابنى قيلة إن ظفروا بكم لم يرقبوا فيكم إلّا و لا ذمة و إن أطعتمونى ألجأتموهم خير كنانة أو تخرجوا محمدا من بين ظهرانيهم فيكون وحيدا مطرودا و أما ابنا قيلة، فو اللّه ما هما و أهل دهلك فى المذلة إلا سواء و أكفيكم حدهم و قال سأمنح جانبا منى غليظا على ما كان من قرب و بعد رجال الخزرجية أهل ذل إذا ما كان هزل بعد جد، فبلغ ذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فقال (و الذى نفسى بيده لأقتلنهم و لأصلبنهم و لأهدينهم و هم كارهون إنى رحمة بعثنى اللّه و لا يتوفانى حتى يظهر اللّه دينه لى خمسة أسماء أنا محمد و أحمد و أنا الماحى الذى الآثار و التاريخ، ص: ۴۴ يمحو اللّه بى الكفر و أنا الحاشر الذى يحشر الناس على قومى و أنا العاقب). قال أحمد بن صالح أرجو أن يكون الحديث صحيحا، و قال الإمام أحمد عن عمر بن أبى قرة الكندى قال كان حذيفة بالمدائن فكان يذكر أشياء قالها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فجاء حذيفة إلى سلمان فقال سلمان يا حذيفة إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم خطب فقال (أيما رجل سببته فى غضبى أو لعنته لعنة فإنما أنا رجل من ولد آدم أغضب كما تغضبون و إنما بعثنى اللّه رحمة للعالمين فاجعلها صلاة عليه يوم القيامة)، و رواه أبو داود ۴۶۵۹ عن أحمد بن يونس عن زائدة فإن قيل فأى رحمة حصلت لمن كفر به فالجواب ما رواه أبو جعفر بن جرير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ (۱۰۷)، قال من آمن باللّه و اليوم الآخر كتب له الرحمة فى الدنيا و الآخرة، و من لم يؤمن باللّه و رسوله عوفى مما أصاب الأمم من الخسف و القذف. و هكذا رواه ابن أبى حاتم من حديث المسعودى عن أبى سعد و هو سعيد بن المرزبان البقال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره بنحوه و اللّه أعلم. و قد رواه أبو القاسم الطبرانى عن عبدان بن أحمد عن عيسى بن يونس الرملى عن أيوب بن سويد عن المسعودى عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ (۱۰۷)، قال من تبعه كان له رحمة فى الدنيا و الآخرة و من لم يتبعه عوفى مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف و المسخ و القذف. إن هذه الآية العظيمة لوحدها تنبأ عن الأحداث بعد بعثة النبى صلّى اللّه عليه و سلم إلى قيام الساعة، إذ أن اللّه جازى بنى إسرائيل عند ما كانوا مؤمنين على إيمانهم و صبرهم بأن أعطاهم أرض فلسطين و أورثهم إياها و عند ما كفروا أرسل عليهم من يسومهم سوء العذاب و انتزع منهم شرف حمل الرسالة و أعطاها لبنى إسماعيل، جد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و هم العرب فوعدهم اللّه فى هذه الآية أن يستخلفهم الأرض فيملكوها من مشارقها إلى مغاربها ما أن تمسكوا بدين اللّه و كتابه و سنة رسوله صلّى اللّه عليه و سلم، و هذا ما حصل فعلا ففى سنين قليلة ملك المسلمون العالم القديم كله من شرقه إلى غربه و العالم القديم هو القارات الرئيسية الثلاث «أوربا و آسيا و إفريقيا»، ثم بعد ذلك عند ما ترك المسلمون كتاب اللّه وراء الآثار و التاريخ، ص: ۴۵ ظهورهم نزع عنهم هذا الشرف و تمكن الأعداء منهم فاحتلوا أرضهم و أذلوهم و سلبوا ديارهم و شرفهم. إذن، ما من حل لكل ما نمر به إلا بالعودة إلى اللّه لأن الوعد فى الآية الكريمة مستمر غير منقطع لقوله تعالى .. يَعْبُدُونَنِى لا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً .. أى ما أن قاموا بهذا العمل و أخلصوا به فإن الوعد سيتحقق و هل من وعد أصدق من وعد اللّه؟، فهل نحن عائدون إلى اللّه لنحظى بنصره و إنجاز وعده؟، أم إننا استحببنا العمى على الهدى و عبدنا أهواءنا و ملذاتنا و شهواتنا و تركنا اللّه و كتابه و سنة رسوله وراء ظهورنا و بذلك فقد أخلينا بالشرط الذى أشترطه اللّه علينا فكيف نرجو منه سبحانه أن يفى بوعده لنا و نحن من أخلف العهد معه؟. و يعضد هذا الوعد ما جاء فى آيات عديدة أخرى تأتى فى نفس السياق، منها قول اللّه تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ

يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ (۳۲) هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ (۳۳)، (التوبة) .. و یقول أیضا هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً (۲۸)، (الفتح: ۲۸) ... و یؤکدها سبحانه ثالثة هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ (۹)، (الصف: ۹) .. و کلمة (لیظهره) اللام سببیة، أی ما جاء الإسلام إلا لیظهر و یغلب، و کلمة یظهره أی یجعله ظاهرا فوق الآخرین. أما کلمة الدین فتعنی اصطلاحا القانون، أی لیجعل دین و قانون الإسلام ظاهرا علی کل القوانین الأخری، و الدلیل من الکتاب قوله تعالی علی لسان یوسف علیه السلام ... ما کانَ لِیَأْخُذَ أَخاهُ فِی دِینِ الْمَلِکِ إِلَّا أَنْ یَشاءَ اللَّهُ ...، (یوسف: من الآیة ۷۶)، فالدین هنا یعنی قانون الملک. و یؤکد هذا الوعد قوله تعالی وَ لَقَدْ کَتَبْنا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّکْرِ أَنَّ الْأَرْضَ یَرِثُها عِبادِیَ الصَّالِحُونَ (۱۰۵)، (الأنبیاء: ۱۰۵) .. وَ لَقَدْ سَبَقَتْ کَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِینَ (۱۷۱) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (۱۷۲) وَ إِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ (۱۷۳)، الصافات. الآثار و التاریخ، ص: ۴۶ کما و نجد ذلک واضحا فی أحادیث و مواقف کثیرة للنبی صلّی اللّه علیه و سلم منها ما کان إبان حفر الخندق و ما کانت علیه الحالة النفسیة للصحابة الأجلاء، و کیف وعدهم النّبی صلّی اللّه علیه و سلم بملک کسری و قیصر، و قد حصل لاحقا ... و فی الحدیث نجد تأکیدا و تفصیلا لهذا القانون المهم، إذ ینقل الإمام أحمد فی مسنده (مسند الکوفیین ۱۷۶۸۰) عن النّعمان بن بشیر قال کنّا قعودا فی المسجد مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و کان بشیر رجلا یکفّ حدیثه فجاء أبو ثعلبة الخشنیّ فقال یا بشیر بن سعد أتحفظ حدیث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم فی الأمراء فقال حذیفة أنا أحفظ خطبته فجلس أبو ثعلبة فقال حذیفة قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم (تکون النّبوّة فیکم ما شاء اللّه أن تکون ثمّ یرفعها إذا شاء أن یرفعها ثمّ تکون خلافة علی منهاج النّبوّة فتکون ما شاء اللّه أن تکون ثمّ یرفعها إذا شاء اللّه أن یرفعها ثمّ تکون ملکا عاضّا فیکون ما شاء اللّه أن یکون ثمّ یرفعها إذا شاء أن یرفعها ثمّ تکون ملکا جبریّة فتکون ما شاء اللّه أن تکون ثمّ یرفعها إذا شاء أن یرفعها ثمّ تکون خلافة علی منهاج النّبوّة)، ثمّ سکت ... و قد حصلت جمیع تلک المراحل باستثناء الأخیرة، فالنبوة، ثم خلافة علی منهجها فی عهد الخلفاء الراشدین، ثم ملکا عاضا أی کالثمرة التی عضت فهی ناقصة کما حصل فی عهد الخلافة الأمویة و العباسیة و العثمانیة فهی کانت ترمز للدولة الإسلامیة التی تطبق الشرع لکن بخلل جوهری و هو الخلافة الوراثیة التی یرفضها الشرع الحنیف الآمر بمبدإ الشوری، ثم جاء الملک الجبری و هو ما تبع سقوط الدولة العثمانیة من نظام ملکی و جمهوری دکتاتوری جبری قمعی فی الدول الإسلامیة و هو ما شهدناه و نشهده الیوم، فلم یبق إذن سوی العودة إلی الخلافة علی منهج النبوة و هو الذی سیکون بإذنه تعالی. أخرج الطبرانی و أبو نعیم فی الحلیة و کذا فی کنز العمال (۱/ ۷۷) و الحاکم عن أبی ثعلبة الخشنی قال: قدم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم من غزاة له، فدخل المسجد فصلی فیه رکعتین و کان یعجبه إذا قدم من سفر أن یدخل المسجد فیصلی فیه رکعتین یثنّی بفاطمة ثم أزواجه. فقدم من سفره مرة فأتی فاطمة رضی اللّه عنها، فبدأ بها قبل أزواجه، فاستقبلته علی باب البیت فجعلت تقبل وجهه و عینیه و تبکی، فقال لها رسول اللّه الآثار و التاریخ، ص: ۴۷ صلّی اللّه علیه و سلم: (ما یبکیک؟)، قالت أراک یا رسول اللّه، قد شحب لونک، و اخلولقت ثیابک، فقال لها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم (یا فاطمة لا- تبک فإن اللّه بعث أباک بالحق بأمر لا یبقی علی ظهر الأرض بیت وبر و لا مدر و لا شعر إلا أدخله اللّه به عزا أو ذلا حتی یبلغ حیث یبلغ اللیل) .. و کذا ما ذکرناه فی موضع سابق من حدیث المقداد بن الأسود فی قوله صلّی اللّه علیه و سلم (ما علی ظهر الأرض بیت حجر و لا مدر إلا أدخله اللّه کلمة الإسلام بعز عزیز أو ذل ذلیل أما بعزهم فیجعلهم من أهلها و أما بذلهم فیدینون بها). و یعضده الحدیث الذی أخرجه الإمام أحمد فی مسند الشامیین عن تمیم الداری (۱۶۳۴۴) قال سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یقول (لیبلغنّ هذا الأمر ما بلغ اللّیل و النّهار و لا یترک اللّه بیت مدر و لا وبر إلّا أدخله اللّه هذا الدّین بعزّ عزیز أو بذلّ ذلیل عزّا یعزّ اللّه به الإسلام و ذلّا یذلّ اللّه به الکفر)، و کان تمیم الدّاریّ یقول قد عرفت ذلک فی أهل بیتی لقد أصاب من أسلم منهم الخیر و الشّرف و العزّ و لقد أصاب من کان منهم کافرا الذّلّ و الصّغار و الجزیة ... د- تحدی القرآن الکریم و منذ بدایة الدعوة أن یکون لأبی لهب أمل فی الهدایة، بل أعطاه استحقاقه مع زوجته و هو الخلود فی النار. و قد کانا یستطیعان إثبات عکس ذلک و لو من باب

الجدال و التحدى فقط، و ليثبتا للناس بطلان هذا الادعاء، و لكن أى شىء من هذا القبيل لم يحدث و صدق اللّه و رسوله: تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ (۱) ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَ ما كَسَبَ (۲) سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ (۳) وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (۴) فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (۵)، (المسد). الدكتور مليز، هذا القس الذى أراد قراءة القرآن كى يؤلف كتابا يستهزئ به، فإذا به لا يصدق ما يقرأ فتعلق قلبه بهذا الكتاب، فأعلن إسلامه، و ألف كتبا عن عظمة هذا الكتاب و هذا الدين و نشرها عبر الشبكة العالمية الإنترنت. كانت من بين الأمور التى جلبت انتباهه هذا الموضوع الذى يقول عنه: (عجبت لأمر أبى لهب هذا و غباءه، كان بإمكانه أن ينسف الإسلام فى مهده، فيعلن إسلامه و لو كذبا ليبين للناس كذب محمد- الآثار و التاريخ، ص: ۴۸ حاشاه صلّى اللّه عليه و سلم- و لكنه لم يفعل رغم أن الآية نزلت فى بداية الدعوة الإسلامية و مات هو بعد موت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم). إلى اللقاء مع الكتاب القادم و السلام عليكم و رحمة اللّه تعالى و بركاته. الآثار و التاريخ، ص: ۴۹

الملاحق

اشارة

الملحق (۱): قصة نوح عليه السّلام الملحق (۲): قصة لوط عليه السّلام الملحق (۳): قصة موسى عليه السّلام

قصة نوح عليه السلام

الملحق (۱) قصة نوح عليه السلام «۱» هو: نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ، و هو إدريس، بن يرد بن مهلائيل بن قينن ابن أنوش بن شيث بن آدم أبى البشر عليه السلام، كان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة و ست و عشرين سنة، فيما ذكره ابن جرير و غيره، و على تاريخ أهل الكتاب المتقدم يكون بين مولد نوح و موت آدم مائة و ست و أربعون سنة، و كان بينهما عشرة قرون، كما قال الحافظ أبو حاتم بن حبان فى صحيحه حدثنا محمد بن عمر بن يوسف، حدثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام، سمعت أبا سلام سمعت أبا أمامة، أن رجلا قال: يا رسول اللّه، أ نبى كان آدم؟ قال: (نعم مكلم)، قال: فكم كان بينه و بين نوح؟ قال: (عشرة قرون). قلت: و هذا على شرط مسلم و لم يخرجه. و فى صحيح البخارى عن ابن عباس قال: كان بين آدم و نوح عشرة قرون كلهم على الإسلام. فإن كان المراد بالقرن مائة سنة كما هو المتبادر عند كثير من الناس فبينهما ألف سنة لا- محالة، لكن لا- ينفى أن يكون أكثر، باعتبار ما قيد به ابن عباس بالإسلام، إذ قد يكون بينهما قرون أخرى متأخرة لم يكونوا على الإسلام، لكن حديث أبى أمامة يدل على الحصر فى عشرة قرون، و زادنا ابن عباس: أنهم كلهم كانوا على الإسلام، و هذا يرد قول من زعم من أهل التواريخ و غيرهم من أهل الكتاب أن قابيل و بنيه عبدوا النار، و اللّه أعلم. و إن كان المراد بالقرن الجيل من الناس كما فى قوله تعالى: وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَ كَفى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (۱۷)، (الإسراء: ۱۷ (_____)، ۱) موسوعة الدكتور طارق السويدان، قصص الأنبياء، قرص مدمج. الآثار و التاريخ، ص: ۵۲ و قوله: ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ (۴۲)، و قال تعالى: وَ قُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً، و قال: وَ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ، و كقوله عليه السلام: (خير القرون قرنى) الحديث. فقد كان الجيل قبل نوح يعمرون الدهور الطويلة. فعلى هذا يكون بين آدم و نوح ألوف من السنين، و اللّه أعلم. و بالجملة: فنوح عليه السّلام إنما بعثه اللّه تعالى لما عبدت الأصنام و الطواغيت، و شرع الناس فى الضلالة و الكفر، فبعثه اللّه رحمة للعباد، فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض كما يقول له أهل الموقف يوم القيامة، و كان قومه يقال لهم: بنو راسب، فيما ذكره ابن جبير و غيره. و اختلفوا فى مقدار سنه يوم بعث، فقيل: كان ابن خمسين سنة، و قيل: ابن ثلاثمائة و خمسين سنة، و قيل: ابن أربعمائة و ثمانين سنة، حكاها ابن جرير، و عزا

الثالثة منها إلى ابن عباس. و قد ذكر اللّه قصته، و ما كان من قومه، و ما أنزل بمن كفر به من العذاب بالطوفان، و كيف أنجاه و أصحاب السفينة، فى غير ما موضع من كتابه العزيز، ففى الأعراف و يونس و هود و الأنبياء و المؤمنون و الشعراء و العنكبوت و الصافات و اقتربت و أنزل فيه سورة كاملة، فقال فى سورة الأعراف: لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنِّى أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۵۹) قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِى ضَلالٍ مُبِينٍ (۶۰) قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلالَةٌ وَ لكِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (۶۱) أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّى وَ أَنْصَحُ لَكُمْ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (۶۲) أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَ لِتَتَّقُوا وَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۶۳) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْناهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ فِى الْفُلْكِ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً عَمِينَ (۶۴). و قال تعالى فى سورة يونس: وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقامِى وَ تَذْكِيرِى بِآياتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ الآثار و التاريخ، ص: ۵۳ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَىَّ وَ لا تُنْظِرُونِ (۷۱) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (۷۲) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِى الْفُلْكِ وَ جَعَلْناهُمْ خَلائِفَ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (۷۳). و قال تعالى فى سورة هود: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (۲۵) أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّى أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (۲۶) فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما نَراكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنا وَ ما نَراكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِيَ الرَّأْيِ وَ ما نَرى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ (۲۷) قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَ آتانِى رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَ نُلْزِمُكُمُوها وَ أَنْتُمْ لَها كارِهُونَ (۲۸) وَ يا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مالًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَ ما أَنَا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ لكِنِّى أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ (۲۹) وَ يا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِى مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (۳۰) وَ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزائِنُ اللَّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَ لا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِى أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِما فِى أَنْفُسِهِمْ إِنِّى إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ (۳۱) قالُوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۳۲) قالَ إِنَّما يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شاءَ وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (۳۳) وَ لا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِى إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۳۴) أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىَّ إِجْرامِى وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (۳۵) وَ أُوحِيَ إِلى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ (۳۶) وَ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَ وَحْيِنا وَ لا تُخاطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (۳۷) وَ يَصْنَعُ الْفُلْكَ وَ كُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ (۳۸) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ (۳۹) حَتَّى إِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَ مَنْ آمَنَ وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (۴۰) وَ قالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها الآثار و التاريخ، ص: ۵۴ وَ مُرْساها إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (۴۱) وَ هِيَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَالْجِبالِ وَ نادى نُوحٌ ابْنَهُ وَ كانَ فِى مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَ لا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ (۴۲) قالَ سَآوِى إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ الْماءِ قالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَ حالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (۴۳) وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِى ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِى وَ غِيضَ الْماءُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۴۴) وَ نادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى وَ إِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَ أَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ (۴۵) قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّى أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ (۴۶) قالَ رَبِّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْئَلَكَ ما لَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ وَ إِلَّا تَغْفِرْ لِى وَ تَرْحَمْنِى أَكُنْ مِنَ الْخاسِرِينَ (۴۷) قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَ بَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَ عَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَ أُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ (۴۸) تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (۴۹). و أما مضمون ما جرى له مع قومه، مأخوذا من الكتاب و السنة و الآثار، فقد قدمنا عن ابن عباس أنه كان بين آدم و نوح عشرة قرون كلهم على الإسلام رواه البخارى. و ذكرنا أن المراد بالقرن الجيل، أو المدة، على ما سلف. ثم بعد تلك القرون الصالحة حدثت أمور اقتضت أن آل الحال بأهل ذلك الزمان إلى عبادة الأصنام، و كان سبب ذلك ما رواه البخارى من حديث ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالى: وَ قالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَ لا تَذَرُنَّ

وَدًّا وَ لا سُواعاً وَ لا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْراً (۲۳). قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا، و سموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك و نسخ العلم عبدت. قال ابن عباس: و صارت هذه الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد، و هكذا قال عكرمة و الضحاك و قتادة و محمد بن إسحاق. و قال ابن جرير فى تفسيره: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن الآثار و التاريخ، ص: ۵۵ موسى، عن محمد بن قيس، قال: كانوا قوما صالحين بين آدم و نوح، و كان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا، قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا و جاء آخرون دب إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، و بهم يسقون المطر فعبدوهم. و روى ابن أبى حاتم، عن عروة بن الزبير، أنه قال: ود و يغوث و يعوق و سواع و نسر أولاد آدم، و كان ود أكبرهم و أبرهم به. و قال ابن أبى حاتم: حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا يعقوب، عن أبى المطهر، قال: ذكروا عند أبى جعفر، و هو الباقر، و هو قائم يصلى بزيد ابن المهلب، قال: فلما انفتل من صلاته، قال: ذكرتم يزيد بن المهلب، أما إنه قتل فى أول أرض عبد فيها غير اللّه. قال: ذكر ودا رجلا صالحا و كان محببا فى قومه، فلما مات عكفوا حول قبره فى أرض بابل، و جزعوا عليه، فلما رأى إبليس جزعهم عليه تشبه فى صورة إنسان، ثم قال: إنى أرى جزعكم على هذا الرجل، فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون فى ناديكم فتذكرونه؟ قالوا: نعم، فصور لهم مثله، قال: و وضعوه فى ناديهم و جعلوا يذكرونه، فلما رأى ما بهم من ذكره، قال: هل لكم أن أجعل فى منزل كل واحد منكم تمثالا مثله ليكون له فى بيته فتذكرونه؟ قالوا: نعم، قال: فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به، قال: و أدرك أبناؤهم، فجعلوا يرون ما يصنعون به، قال: و تناسلوا و درس أثر ذكرهم إياه، حتى اتخذوه إلها يعبدونه من دون اللّه أولاد أولادهم، فكان أول ما عبد غير اللّه ودا، الصنم الذى سموه ودا. و مقتضى هذا السياق: أن كل صنم من هذه عبده طائفة من الناس، و قد ذكر أنه لما تطاولت العهود و الأزمان جعلوا تلك الصور تماثيل مجسدة، ليكون أثبت لهم، ثم عبدت بعد ذلك من دون اللّه عزّ و جلّ، و لهم فى عبادتها مسالك كثيرة جدا. و قد ثبت فى الصحيحين عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: أنه لما ذكرت عنده أم سلمة و أم حبيبة تلك الكنيسة التى رأينها بأرض الحبشة، يقال لها: ماريه، فذكرتا من حسنها و تصاوير فيها، قال: (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا، ثم صوروا فيه تلك الصورة، أولئك شرار الخلق عند اللّه عز و جل). الآثار و التاريخ، ص: ۵۶ أن الفساد لما انتشر فى الأرض و عم البلاء بعبادة الأصنام فيها، بعث اللّه عبده و رسوله نوحا عليه السلام، يدعو إلى عبادة اللّه وحده لا شريك له، و ينهى عن عبادة ما سواه، فكان أول رسول بعثه اللّه إلى أهل الأرض، كما ثبت فى الصحيحين من حديث أبى حيان، عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبى هريرة، عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم فى حديث الشفاعة، قال: (فيأتون آدم فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك اللّه بيده، و نفخ فيك من روحه، و أمر الملائكة فسجدوا لك، و أسكنك الجنة، أ لا تشفع لنا إلى ربك، أ لا ترى ما نحن فيه و ما بلغنا؟ فيقول: ربى قد غضب غضبا شديدا لم يغضب قبله مثله، و لا يغضب بعده مثله، و نهانى عن الشجرة فعصيت، نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، و سماك اللّه عبدا شكورا، أ لا ترى إلى ما نحن فيه، أ لا ترى إلى ما بلغنا، أ لا تشفع لنا إلى ربك عز و جل؟ فيقول: ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، و لا يغضب بعده مثله، نفسى نفسى)، و ذكر تمام الحديث بطوله كما أورده البخارى فى قصة نوح. فلما بعث اللّه نوحا عليه السلام دعاهم إلى إفراد العبادة للّه وحده لا شريك له، و أن لا يعبدوا معه صنما و لا تمثالا و لا طاغوتا، و أن يعترفوا بوحدانيته، و أنه لا إله غيره و لا رب سواه، كما أمر اللّه تعالى من بعده من الرسل الذين هم كلهم من ذريته، كما قال تعالى: وَ جَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ (۷۷)، و قال فيه و فى إبراهيم: وَ جَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتابَ أى كل نبى من بعد نوح فمن ذريته، و كذلك إبراهيم قال اللّه تعالى: وَ لَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ، و قال تعالى: وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا أَ جَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (۴۵). و قال تعالى: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (۲۵)، و لهذا قال نوح لقومه: اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

(۵۹)، و قال: أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّی أَخافُ عَلَیْکُمْ عَذابَ یَوْمٍ أَلِیمٍ (۲۶)، و قال: یا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ الآثار و التاریخ، ص: ۵۷ (۶۵)، و قال تعالی فی سورة نوح: قالَ یا قَوْمِ إِنِّی لَکُمْ نَذِیرٌ مُبِینٌ (۲) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِیعُونِ (۳) یَغْفِرْ لَکُمْ مِنْ ذُنُوبِکُمْ وَ یُؤَخِّرْکُمْ إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذا جاءَ لا یُؤَخَّرُ لَوْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۴) قالَ رَبِّ إِنِّی دَعَوْتُ قَوْمِی لَیْلًا وَ نَهاراً (۵) فَلَمْ یَزِدْهُمْ دُعائِی إِلَّا فِراراً (۶) وَ إِنِّی کُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِی آذانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوْا ثِیابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَکْبَرُوا اسْتِکْباراً (۷) ثُمَّ إِنِّی دَعَوْتُهُمْ جِهاراً (۸) ثُمَّ إِنِّی أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً (۹) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّکُمْ إِنَّهُ کانَ غَفَّاراً (۱۰) یُرْسِلِ السَّماءَ عَلَیْکُمْ مِدْراراً (۱۱) وَ یُمْدِدْکُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِینَ وَ یَجْعَلْ لَکُمْ جَنَّاتٍ وَ یَجْعَلْ لَکُمْ أَنْهاراً (۱۲) ما لَکُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً (۱۳) وَ قَدْ خَلَقَکُمْ أَطْواراً (۱۴) .. فذکر أنه دعاهم إلی اللّه بأنواع الدعوة فی اللیل و النهار و السر و الإجهار، بالترغیب تارة و الترهیب أخری، و کل هذا فلم ینجح فیهم، بل استمر أکثرهم علی الضلالة و الطغیان و عبادة الأصنام و الأوثان، و نصبوا له العداوة فی کل وقت و أوان، و تنقصوه، و تنقصوا من آمن به، و توعدوهم بالرجم و الاخراج و نالوا منهم و بالغوا فی أمرهم: قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ، أی السادة الکبراء منهم، إِنَّا لَنَراکَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ (۶۰) قالَ یا قَوْمِ لَیْسَ بِی ضَلالَةٌ وَ لکِنِّی رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ (۶۱)، أی لست کما تزعمون من إنی ضال، بل علی الهدی المستقیم، رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ، أی الذی یقول للشیء کن فیکون، أُبَلِّغُکُمْ رِسالاتِ رَبِّی وَ أَنْصَحُ لَکُمْ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (۶۲)، و هذا شأن الرسول أن یکون بلیغا أی فصیحا ناصحا أعلم الناس باللّه عز و جل، و قالوا له فیما قالوا: ما نَراکَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنا وَ ما نَراکَ اتَّبَعَکَ إِلَّا الَّذِینَ هُمْ أَراذِلُنا بادِیَ الرَّأْیِ وَ ما نَری لَکُمْ عَلَیْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّکُمْ کاذِبِینَ (۲۷)، تعجبوا أن یکون بشرا رسولا- و تنقصوا بمن اتبعه و رأوهم أراذلهم. و قد قیل: أنهم کانوا من أقیاد الناس و هم ضعفاؤهم، کما قال هرقل، و هم أتباع الرسل، و ما ذاک إلا- لأنه لا مانع لهم من اتباع الحق، و قولهم: بادِیَ الرَّأْیِ، أی بمجرد ما دعوتهم استجابوا لک من غیر نظر و لا رویة، و هذا الذی رموهم به هو عین ما الآثار و التاریخ، ص: ۵۸ یمدحون بسببه، رضی اللّه عنهم، فإن الحق الظاهر لا یحتاج إلی رویة و لا فکر و لا نظر، بل یجب اتباعه و الانقیاد له متی ظهر، و لهذا قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم مادحا للصدیق: (ما دعوت أحدا إلی الإسلام إلا- کانت له کبوة، غیر أبی بکر فإنه لم یتلعثم)، و لهذا کانت بیعته یوم السقیفة أیضا سریعة من غیر نظر و لا رویة، لأن أفضلیته علی من عداه ظاهرة جلیة عند الصحابة، رضی اللّه عنهم، و لهذا قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم لما أراد أن یکتب الکتاب الذی أراد أن ینص فیه علی خلافته، فترکه و قال: (یأبی اللّه و المؤمنون إلا أبا بکر (رضی اللّه عنه). و قول کفرة قوم نوح له و لمن آمن به: وَ ما نَری لَکُمْ عَلَیْنا مِنْ فَضْلٍ، أی لم یظهر لکم أمر بعد اتصافکم بالإیمان و لا مزیة علینا فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما نَراکَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنا وَ ما نَراکَ اتَّبَعَکَ إِلَّا الَّذِینَ هُمْ أَراذِلُنا بادِیَ الرَّأْیِ وَ ما نَری لَکُمْ عَلَیْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّکُمْ کاذِبِینَ (۲۷)، (هود: ۲۷)، قالَ یا قَوْمِ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ کُنْتُ عَلی بَیِّنَةٍ مِنْ رَبِّی وَ آتانِی رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّیَتْ عَلَیْکُمْ أَ نُلْزِمُکُمُوها وَ أَنْتُمْ لَها کارِهُونَ (۲۸)، و هذا تلطف فی الخطاب معهم، و ترفق بهم فی الدعوة إلی الحق، کما قال تعالی: فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَیِّناً لَعَلَّهُ یَتَذَکَّرُ أَوْ یَخْشی (۴۴). و قال تعالی: ادْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ، و هذا منه یقول لهم: أَ رَأَیْتُمْ إِنْ کُنْتُ عَلی بَیِّنَةٍ مِنْ رَبِّی وَ آتانِی رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ أی النبوة و الرسالة، فَعُمِّیَتْ عَلَیْکُمْ، أی فلم تفهموها و لم تهتدوا إلیها، أَ نُلْزِمُکُمُوها أی أ نغصبکم بها و نجبرکم علیها وَ أَنْتُمْ لَها کارِهُونَ، أی لیس لی فیکم حیلة و الحالة هذه وَ یا قَوْمِ لا- أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مالًا إِنْ أَجْرِیَ إِلَّا عَلَی اللَّهِ أی لست أرید منکم أجرة علی إبلاغی إیاکم ما ینفعکم فی دنیاکم و أخراکم إن أطلب ذلک إلا- من اللّه الذی ثوابه خیر لی و ابقی مما تعطوننی أنتم، و قوله: وَ ما أَنَا بِطارِدِ الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ لکِنِّی أَراکُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ (۲۹)، کأنهم طلبوا منه أن یبعد هؤلاء عنه، و وعدوه أن یجتمعوا به إذا هو فعل ذلک، فأبی علیهم ذلک، و قال: إِنَّهُمْ الآثار و التاریخ، ص: ۵۹ مُلاقُوا رَبِّهِمْ أی فأخاف إن طردتهم أن یشکونی إلی اللّه عز و جل، و لهذا قال: وَ یا قَوْمِ مَنْ یَنْصُرُنِی مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَ فَلا تَذَکَّرُونَ (۳۰) و لهذا لما سأل کفار قریش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: أن یطرد عنه ضعفاء المؤمنین کعمار و صهیب و بلال و خباب و أشباههم نهاه اللّه عن ذلک، کما بیناه فی سورتی الأنعام و الکهف: وَ لا أَقُولُ لَکُمْ عِنْدِی خَزائِنُ

اللَّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ، أى بل أنا عبد رسول لا أعلم من علم اللّه إلا ما أعلمنى به، و لا أقدر إلا على ما أقدرنى عليه، و لا أملك لنفسى نفعا و لا ضرا إلا ما شاء اللّه وَ لا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ يعنى من أتباعه لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِما فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ (۳۱)، أى لا أشهد عليهم بأنهم لا خير لهم عند اللّه يوم القيامة، اللّه أعلم بهم، و سيجازيهم على ما فى نفوسهم، إن خيرا فخير و إن شرا فشر، كما قالوا فى الموضع الآخر: قالُوا أَ نُؤْمِنُ لَكَ وَ اتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (۱۱۱) قالَ وَ ما عِلْمِي بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۱۲) إِنْ حِسابُهُمْ إِلَّا عَلى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (۱۱۳) وَ ما أَنَا بِطارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (۱۱۴) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (۱۱۵). و قد تطاول الزمان و المجادلة بينه و بينهم، كما قال تعالى: فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ (۱۴)، أى و مع هذه المدة الطويلة فما آمن به إلا القليل منهم و كان كل ما انقرض جيل وصوا من بعدهم بعدم الإيمان به و محاربته و مخالفته، و كان الوالد إذا بلغ ولده و عقل عنه كلامه وصاه فيما بينه و بينه أن لا يؤمن بنوح أبدا ما عاش، و دائما ما بقى، و كانت سجاياهم تأبى الإيمان و اتباع الحق، و لهذا قال: وَ لا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً (۲۷)، و لهذا قالوا: قالُوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۳۲) قالَ إِنَّما يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شاءَ وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (۳۳)، أى إنما يقدر على ذلك اللّه عز و جل، فإنه الذى لا يعجزه شىء، و لا يكترثه أمر، بل هو الذى يقول للشىء كن فيكون وَ لا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۳۴)، أى من يرد اللّه فتنته فلن يملك أحد هدايته، هو الذى يهدى من الآثار و التاريخ، ص: ۶۰ يشاء، و يضل من يشاء، و هو الفعال لما يريد، و هو العزيز الحكيم العليم بمن يستحق الهداية و من يستحق الغواية، و له الحكمة البالغة و الحجة الدامغة وَ أُوحِيَ إِلى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ، تسلية له عما كان منهم إليه فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ، و هذه تعزية لنوح عليه السلام فى قومه أنه لن يؤمن منهم إلا- من قد آمن، أى لا يسوءنك ما جرى، فإن النصر قريب و النبأ عجيب وَ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَ وَحْيِنا وَ لا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (۳۷)، و ذلك أن نوحا عليه السلام لما يئس من صلاحهم و فلاحهم و رأى أنهم لا خير فيهم، و توصلوا إلى أذيته و مخالفته و تكذيبه بكل طريق من فعال و مقال، دعا عليهم دعوة غضب، فلبى اللّه دعوته، و أجاب طلبته. قال اللّه تعالى: وَ لَقَدْ نادانا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (۷۵) وَ نَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (۷۶)، و قال تعالى: وَ نُوحاً إِذْ نادى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَنَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (۷۶)، و قال تعالى: قالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (۱۱۷) فَافْتَحْ بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ فَتْحاً وَ نَجِّنِي وَ مَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۱۱۸)، و قال تعالى: فَدَعا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (۱۰)، و قال تعالى: قالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِما كَذَّبُونِ (۲۶)، و قال تعالى: مِمَّا خَطِيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصاراً (۲۵) وَ قالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً (۲۶) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَ لا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً (۲۷)، فاجتمع عليهم خطاياهم من كفرهم و فجورهم و دعوة نبيهم عليهم، فعند ذلك أمره اللّه تعالى أن يصنع الفلك، و هى السفينة العظيمة التى لم يكن لها نظير قبلها، و لا يكون بعدها مثلها، و قدم اللّه تعالى إليه أنه إذا جاء أمره، و حل بهم بأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين أنه لا يعاوده فيهم و لا يراجعه، فإنه لعله قد تدركه رقة على قومه عند معاينة العذاب النازل بهم، فإنه ليس الخبر كالمعاينة، و لهذا قال: وَ لا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (۳۷) وَ يَصْنَعُ الْفُلْكَ وَ كُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ..، (هود). أى يستهزءون به استبعادا الآثار و التاريخ، ص: ۶۱ لوقوع ما توعدهم به، قال: إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ (۳۸)، أى نحن الذين نسخر منكم، و نتعجب منكم، فى استمراركم على كفركم و عنادكم، الذى يقتضى وقوع العذاب بكم، و حلوله عليكم فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ (۳۹)، و قد كانت سجاياهم الكفر الغليظ و العناد البالغ فى الدنيا. و هكذا فى الآخرة فإنهم يجحدون أيضا أن يكون جاءهم رسول، كما قال البخارى: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى سعيد، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: (يجيء نوح عليه السلام و أمته، فيقول اللّه عزّ و جلّ: هل بلغت؟ فيقول: نعم أى رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبى، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد و أمته فتشهد أنه قد بلغ). و هو قوله: وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً، و الوسط العدل. فهذه الأمة تشهد

على شهادة نبيها الصادق المصدوق بأن اللّه قد بعث نوحا بالحق، و أنزل عليه الحق، و أمره به، و أنه بلغه إلى أمته على أكمل الوجوه و أتمها، و لم يدع شيئا مما ينفعهم فى دينهم إلا و قد أمرهم به، و لا شيئا مما قد يضرهم، إلا و قد نهاهم عنه و حذرهم منه، و هكذا شأن جميع الرسل، حتى أنه حذر قومه المسيح الدجال، و إن كان لا يتوقع خروجه فى زمانهم حذرا عليهم و شفقة و رحمة بهم. كما قال البخارى: حدثنا عبدان، حدثنا عبد اللّه، عن يونس، عن الزهرى، قال سالم: قال ابن عمر: قام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى الناس فأثنى على اللّه بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: (إنى لأنذركموه، و ما من نبى إلا و قد أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه، و لكنى أقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه: تعلمون أنه أعور و أن اللّه ليس بأعور). و هذا الحديث فى الصحيحين أيضا من حديث شيبان بن عبد الرحمن، عن يحيى ابن أبى كثير، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أبى هريرة، عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: (أ لا أحدثكم عن الدجال حديثا ما حدث به نبى قومه إنه أعور، و إنه يجىء معه بمثال الآثار و التاريخ، ص: ۶۲ الجنة و النار، و التى يقول عليها الجنة هى النار، و إنى أنذركم كما أنذر به نوح قومه)، لفظ البخارى. و قد قال بعض علماء السلف: لما استجاب اللّه له أمره أن يغرس شجرا ليعمل منه السفينة، فغرسه و انتظره مائة سنة، ثم نجره فى مائة أخرى، و قيل: فى أربعين سنة، فاللّه أعلم. قال محمد بن إسحاق عن الثورى: و كان من خشب الساج، و قيل: من الصنوبر، و هو نص التوراة. قال الثورى: و أمره أن يجعل طولها ثمانين ذراعا، و عرضها خمسين ذراعا، و أن يطلى ظاهرها و باطنها بالقار، و أن يجعل لها جؤجؤا أزور يشق الماء، و قال قتادة: كان طولها ثلاثمائة ذراع فى عرض خمسين ذراعا، و هذا الذى فى التوراة على ما رأيته. و قال الحسن البصرى: ستمائة فى عرض ثلاثمائة ذراع. و عن ابن عباس: ألف و مائتا ذراع فى عرض ستمائة ذراع، و قيل: كان طولها ألفى ذراع و عرضها مائة ذراع، قالوا كلهم: و كان ارتفاعها ثلاثين ذراعا، و كانت ثلاث طبقات، كل واحدة عشر أذرع، فالسفلى للدواب و الوحوش، و الوسطى للناس، و العليا للطيور، و كان بابها فى عرضها، و لها غطاء من فوقها مطبق عليها، قال اللّه تعالى فى سورة المؤمنون: قالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِما كَذَّبُونِ (۲۶) فَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَ وَحْيِنا ...، أى بأمرنا لك، و بمرأى منا لصنعتك لها، و مشاهدتنا لذلك لنرشدك إلى الصواب فى صنعتها فَإِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَ لا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (۲۷)، فتقدم إليه بأمره العظيم العالى، أنه إذا جاء أمره و حل بأسه أن يحمل فى هذه السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات، و سائر ما فيه روح، و من المأكولات و غيرها لبقاء نسلها، و أن يحمل معه أهله، أى أهل بيته إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ، أى إلا من كان كافرا فإنه قد نفذت فيه الدعوة التى لا ترد و وجب عليه حلول البأس الذى لا يرد، و أمر أنه لا يراجعه فيهم إذا حل بهم ما يعاينه من العذاب العظيم الذى قد حتمه عليهم الفعال لما يريد، كما قدمنا بيانه من قبل. الآثار و التاريخ، ص: ۶۳ و المراد بالتنور عند الجمهور: وجه الأرض، أى نبعت الأرض من سائر أرجائها حتى نبعت التنانير التى هى محال النار. و عن ابن عباس: التنور عين فى الهند، و عن الشعبى بالكوفة، و عن قتادة بالجزيرة. و قال على بن أبى طالب: المراد بالتنور: فلق الصبح، و تنوير الفجر، أى إشراقه و ضياؤه. أى عند ذلك فاحمل فيها من كل زوجين اثنين. و هذا قول غريب. و قوله تعالى: حَتَّى إِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَ مَنْ آمَنَ وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (۴۰)، هذا أمر بأن عند حلول النقمة بهم أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، و فى كتاب أهل الكتاب أنه أمر أن يحمل من كل ما يؤكل سبعة أزواج، و مما لا يؤكل زوجين ذكرا و أنثى، و هذا مغاير لمفهوم قوله تعالى فى كتابنا الحق: اثْنَيْنِ، إن جعلنا ذلك مفعولا به، و أما إن جعلناه توكيدا لزوجين و المفعول به محذوف فلا ينافى، و اللّه أعلم. و ذكر بعضهم و يروى عن ابن عباس: أن أول ما دخل من الطيور الدرة، و آخر ما دخل من الحيوانات الحمار، و دخل إبليس متعلقا بذنب الحمار. و قال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا عبد اللّه بن صالح، حدثنى الليث، حدثنى هشام بن سعد، عن زيد ابن أسلم، عن أبيه، أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: (لما حمل نوح فى السفينة من كل زوجين اثنين، قال أصحابه: و كيف نطمئن، أو كيف تطمئن المواشى و معنا الأسد، فسلط اللّه عليه الحمى، فكانت أول حمى نزلت فى الأرض، ثم شكوا الفأرة، فقالوا: الفويسقة تفسد علينا طعامنا و متاعنا، فأوحى اللّه إلى الأسد فعطس، فخرجت الهرة منه، فتخبأت

الفأرة منها)، هذا مرسل. و قوله: وَ أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ، أى من استجيبت فيهم الدعوة النافذة ممن كفر، فكان منهم ابنه يام الذى غرق، كما سيأتى بيانه، وَ مَنْ آمَنَ أى و احمل فيها من آمن بك من أمتك، قال اللّه تعالى: وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ، هذا مع طول المدة و المقام بين أظهرهم، و دعوتهم الأكيدة ليلا- و نهارا بضروب المقال و فنون التلطفات و التهديد و الوعيد تارة و الترغيب و الوعد أخرى. الآثار و التاريخ، ص: ۶۴ و قد اختلف العلماء فى عدة من كان معه فى السفينة: فعن ابن عباس: كانوا ثمانين نفسا معهم نساؤهم. و عن كعب الأحبار كانوا اثنين و سبعين نفسا، و قيل: كانوا عشرة، و قيل: إنما كانوا نوحا و بنيه الثلاثة، و كنائنه الأربع بامرأة يام الذى انخزل و انعزل و تسلل عن طريق النجاة، فما عدل إذ عدل، و هذا القول فيه مخالفة لظاهر الآية، بل هى نص فى أنه قد ركب معه غير أهله طائفة ممن آمن به، كما قال: وَ نَجِّنِي وَ مَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۱۱۸)، و قيل: كانوا سبعة، و أما امرأة نوح و هى أم أولاده كلهم، و هم: حام، و سام، و يافث، و يام، و تسميه أهل الكتاب كنعان و هو الذى قد غرق و عابر، و قد ماتت قبل الطوفان، قيل: إنها غرقت مع من غرق، و كانت ممن سبق عليه القول لكفرها، و عند أهل الكتاب: أنها كانت فى السفينة، فيحتمل أنها كفرت بعد ذلك، أو أنها أنظرت ليوم القيامة، و الظاهر الأول لقوله: لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً (۲۶). قال اللّه تعالى فى سورة المؤمنون: فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۲۸) وَ قُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبارَكاً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (۲۹)، أمره أن يحمد ربه على ما سخر له من هذه السفينة، فنجاه بها، و فتح بينه و بين قومه، و أقر عينه ممن خالفه و كذبه، كما قال تعالى: وَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَ الْأَنْعامِ ما تَرْكَبُونَ (۱۲) لِتَسْتَوُوا عَلى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَ تَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هذا وَ ما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (۱۳) وَ إِنَّا إِلى رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ (۱۴)، و هكذا يؤمر بالدعاء فى ابتداء الأمور أن يكون على الخير و البركة، و أن تكون عاقبتها محمودة، كما قال تعالى لرسوله صلّى اللّه عليه و سلم حين هاجر: وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً (۸۰)، و قد امتثل نوح عليه السلام هذه الوصية: وَ قالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَ مُرْساها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (۴۱)، أى على اسم اللّه ابتداء سيرها و انتهاؤه إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ، أى و ذو عقاب أليم مع كونه غفورا رحيما، لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، كما أحل بأهل الأرض الذين كفروا به و عبدوا غيره. الآثار و التاريخ، ص: ۶۵ قال اللّه تعالى: وَ هِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبالِ، و ذلك أن اللّه تعالى أرسل من السماء مطرا لم تعهده الأرض قبله، و لا- تمطره بعده، كان كأفواه القرب، و أمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها و سائر أرجائها، كما قال تعالى فى سورة القمر: فَدَعا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (۱۰) فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ (۱۱) وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (۱۲) وَ حَمَلْناهُ عَلى ذاتِ أَلْواحٍ وَ دُسُرٍ (۱۳)، و الدسر السائر تَجْرِي بِأَعْيُنِنا، أى بحفظنا و كلاءتنا، و حراستنا، و مشاهدتنا لها، جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ. و قد ذكر ابن جرير و غيره: أن الطوفان كان فى ثالث عشر من شهر آب فى حساب القبط، و قال تعالى: إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَةِ (۱۱)، أى السفينة لِنَجْعَلَها لَكُمْ تَذْكِرَةً وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ (۱۲)، قال جماعة من المفسرين: ارتفع الماء على أعلى جبل بالأرض خمسة عشر ذراعا، و هو الذى عند أهل الكتاب. و قيل: ثمانين ذراعا، و عم جميع الأرض طولها و العرض، سهلها و حزنها و جبالها و قفارها و رمالها، و لم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف، و لا صغير و لا كبير. قال الإمام مالك عن زيد بن أسلم: كان أهل ذلك الزمان قد ملئوا السهل و الجبل، و قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لم تكن بقعة فى الأرض إلا و لها مالك و حائز، رواهما ابن أبى حاتم. وَ نادى نُوحٌ ابْنَهُ وَ كانَ فِي مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَ لا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ (۴۲) قالَ سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْماءِ قالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَ حالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (۴۳)، و هذا الابن هو: يام أخو سام و حام و يافث، و قيل: اسمه كنعان، و كان كافرا عمل عملا غير صالح، فخالف أباه فى دينه و مذهبه فهلك مع من هلك، هذا و قد نجا مع أبيه الأجانب فى النسب، لما كانوا موافقين فى الدين و المذهب وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْماءُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۴۴)، أى لما فرغ من أهل الأرض و لم يبق منها أحد ممن عبد غير اللّه عزّ و جلّ، أمر اللّه الأرض الآثار و التاريخ، ص: ۶۶ أن تبلع ماءها، و أمر السماء أن تقلع أى تمسك عن المطر

وَ غِيضَ الْماءُ، أى نقص عما كان وَ قُضِيَ الْأَمْرُ، أى وقع بهم الذى كان قد سبق فى علمه و قدره من إحلاله بهم ما حل بهم وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، أى نودى عليهم بلسان القدرة، بعدا لهم من الرحمة و المغفرة، كما قال تعالى: فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْناهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً عَمِينَ (۶۴). و قال تعالى: فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَ جَعَلْناهُمْ خَلائِفَ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (۷۳)، و قال تعالى: وَ نَصَرْناهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ (۷۷)، و قال تعالى: فَأَنْجَيْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (۱۱۹) ثُمَّ أَغْرَقْنا بَعْدُ الْباقِينَ (۱۲۰) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۲۱) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۱۲۲)، و قال تعالى: فَأَنْجَيْناهُ وَ أَصْحابَ السَّفِينَةِ وَ جَعَلْناها آيَةً لِلْعالَمِينَ (۱۵)، و قال تعالى: ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (۶۶)، و قال: وَ لَقَدْ تَرَكْناها آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (۱۵) فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ (۱۶) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (۱۷)، و قال تعالى: مِمَّا خَطِيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصاراً (۲۵) وَ قالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً (۲۶) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَ لا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً (۲۷)، و قد استجاب اللّه تعالى، و له الحمد و المنة، دعوته فلم يبق منهم عين تطرف. و قد روى الإمامان أبو جعفر بن جرير و أبو محمد بن أبى حاتم فى تفسيريهما من طريق يعقوب بن محمد الزهرى، عن قائد، مولى عبد اللّه بن أبى رافع، أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى ربيعة أخبره أن عائشة أم المؤمنين أخبرته، أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: (فلو رحم اللّه من قوم نوح أحدا لرحم أم الصبى). قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: (مكث نوح عليه السلام فى قومه ألف سنة، يعنى إلا خمسين عاما، و غرس مائة سنة الشجر فعظمت و ذهبت كل مذهب، ثم قطعها، ثم جعلها سفينة، و يمرون عليه و يسخرون منه، و يقولون: تعمل سفينة فى البر، كيف تجرى؟ قال: سوف تعلمون، فلما فرغ الآثار و التاريخ، ص: ۶۷ و نبع الماء و صار فى السكك، خشيت أم الصبى عليه و كانت تحبه حبا شديدا، خرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثه، فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل، فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها، فغرقا، فلو رحم اللّه منهم أحدا لرحم أم الصبى). و هذا حديث غريب، و قد روى عن كعب الأحبار و مجاهد و غير واحد شبيه لهذه القصة، و أحرى بهذا الحديث أن يكونا موقوفا متلقى عن مثل كعب الأحبار، و اللّه أعلم. و المقصود: أن اللّه لم يبق من الكافرين ديارا، فكيف يزعم بعض المفسرين أن عوج ابن عنق، و يقال: ابن عناق، كان موجودا من قبل نوح إلى زمان موسى، و يقولون: كان كافرا متمردا جبارا عنيدا، و يقولون: كان لغير رشدة، بل ولدته أمه عنق بنت آدم من زنا، و إنه كان يأخذ من طوله السمك من قرار البحار و يشويه فى عين الشمس، و إنه كان يقول لنوح و هو فى السفينة: ما هذه القصيعة التى لك؟ و يستهزئ به، و يذكرون: أنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع و ثلاث مائة و ثلاثة و ثلاثين ذراعا و ثلثا، إلى غير ذلك من الهذيانات التى لو لا أنها مسطرة فى كثير من كتب التفاسير و غيرها من التواريخ و أيام الناس لما تعرضنا لحكايتها لسقاطتها و ركاكتها، ثم إنها مخالفة للمعقول و المنقول. أما المعقول: فكيف يسوغ فيه أن يهلك اللّه ولد نوح لكفره، و أبوه نبى الأمة و زعيم أهل الإيمان، و لا يهلك عوج بن عنق، و يقال: عناق، و هو أظلم و أطغى على ما ذكروا، و كيف لا يرحم اللّه منهم أحدا، و لا أم الصبى، و لا الصبى، و يترك هذا الدعى الجبار العنيد الفاجر الشديد الكافر الشيطان المريد على ما ذكروا. و أما المنقول: فقد قال اللّه تعالى: ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (۶۶)، و قال: رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً (۲۶)، ثم هذا الطول الذى ذكروه مخالف لما فى الصحيحين عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم أنه قال: (إن اللّه خلق آدم و طوله ستون ذراعا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن). فهذا نص الصادق المصدوق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى، أنه لم يزل الخلق ينقص حتى الآن، أى لم يزل الناس فى نقصان فى طولهم من آدم إلى يوم أخبره بذلك، و هلم جرا إلى يوم القيامة. و هذا يقتضى أنه لم يوجد من ذرية آدم من كان أطول منه، فكيف يترك هذا الآثار و التاريخ، ص: ۶۸ و يذهل عنه و يصار إلى أقوال الكذبة الكفرة من أهل الكتاب الذين بدلوا كتب اللّه المنزلة و حرفوها و أولوها و وضعوها على غير مواضعها، فما ظنك بما هم يستقلون بنقله، أو يؤتمنون عليه، و ما أظن أن هذا الخبر عن عوج بن عناق إلا اختلاقا من بعض زنادقتهم و فجارهم الذين كانوا أعداء الأنبياء، و اللّه أعلم. ثم ذكر اللّه تعالى مناشدة نوح ربه فى ولده و سؤاله له عن غرقه على وجه

الاستعلام و الاستكشاف، و وجه السؤال أنك وعدتنى بنجاة أهلى معى و هو منهم و قد غرق، فأجيب: بأنه ليس من أهلك، أى الذين و عدت بنجاتهم، أى أما قلنا لك: وَ أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ، فكان هذا ممن سبق عليه القول منهم بأن سيغرق بكفره، و لهذا ساقته الأقدار إلى أن انحاز عن حوزة أهل الإيمان، فغرق مع حزبه أهل الكفر و الطغيان، ثم قال تعالى: قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَ بَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَ عَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَ أُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ (۴۸)، هذا أمر لنوح عليه السلام لما نضب الماء عن وجه الأرض و أمكن السعى فيها و الاستقرار عليها أن يهبط من السفينة التى كانت قد استقرت بعد سيرها العظيم على ظهر جبل الجودى، و هو جبل بأرض الجزيرة مشهور، و قد قدمنا ذكره عند خلق الجبال بِسَلامٍ مِنَّا وَ بَرَكاتٍ، أى اهبط سالما مباركا عليك، و على أمم ممن سيولد بعد، أى من أولادك، فإن اللّه لم يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلا و لا عقبا سوى نوح عليه السلام، قال تعالى: وَ جَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ (۷۷)، فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بنى آدم ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة و هم: (سام، و حام، و يافث).

قصة لوط عليه السلام

الملحق (۲) قصة لوط عليه السلام «۱» كان مما وقع فى حياة إبراهيم الخليل من الأمور العظيمة قصة قوم لوط عليه السلام، و ما حل بهم من النقمة الغميمة، و ذلك أن لوطا بن هاران بن تارح، و هو آزر كما جاء فى القرآن، و لوط ابن أخى إبراهيم الخليل، فإبراهيم و هاران و ناحور أخوة، كما قدمنا، و يقال: إن هاران هذا هو الذى بنى حران، و هذا ضعيف لمخالفته ما بأيدى أهل الكتاب، و اللّه أعلم، و كان لوط قد نزح عن محلة عمه الخليل عليهما السلام بأمره له، و أذنه فنزل بمدينة سدوم من أرض غور زغر، و كان أم تلك المحلة، و لها أرض و معتملات و قرى مضافة إليها، و لها أهل من أفجر الناس و أكفرهم و أسوأهم طوية و أرداهم سريرة و سيرة، يقطعون السبيل، و يأتون فى ناديهم المنكر، و لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بنى آدم، و هى إتيان الذكران من العالمين، و ترك ما خلق اللّه من النسوان لعباده الصالحين، فدعاهم لوط إلى عبادة اللّه تعالى وحده لا شريك له، و نهاهم عن تعاطى هذه المحرمات و الفواحش المنكرات و الأفاعيل المستقبحات، فتمادوا على ضلالهم و طغيانهم و استمروا على فجورهم و كفرانهم، فأحل اللّه بهم من البأس الذى لا يرد ما لم يكن فى خلدهم و حسبانهم، و جعلهم مثلة فى العالمين، و عبرة يتعظ بها الألباء من العالمين، و لهذا ذكر اللّه تعالى قصتهم فى غير ما موضع من كتابه المبين فقال تعالى فى سورة الأعراف: وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (۸۰) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (۸۱) وَ ما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (۸۲) فَأَنْجَيْناهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (۸۳) وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ

(۱) موسوعة الدكتور طارق السويدان، قصص الأنبياء، قرص مدمج. الآثار و التاريخ، ص: ۷۰ الْمُجْرِمِينَ (۸۴). و قال تعالى فى سورة هود: وَ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (۶۹) فَلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَ أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمِ لُوطٍ (۷۰) وَ امْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ (۷۱) قالَتْ يا وَيْلَتى أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هذا بَعْلِى شَيْخاً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (۷۲) قالُوا أَ تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَ بَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (۷۳) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْراهِيمَ الرَّوْعُ وَ جاءَتْهُ الْبُشْرى يُجادِلُنا فِى قَوْمِ لُوطٍ (۷۴) إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (۷۵) يا إِبْراهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هذا إِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَ إِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (۷۶) وَ لَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قالَ هذا يَوْمٌ عَصِيبٌ (۷۷) وَ جاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَ مِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ قالَ يا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ لا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِى أَ لَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (۷۸) قالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ ما لَنا فِى بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ وَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ (۷۹) قالَ لَوْ أَنَّ لِى

بِكَمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ (۸۰) قالُوا يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (۸۱) فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (۸۲) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَ ما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (۸۳). و قال تعالى فى سورة الحجر: وَ نَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ (۵۱) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (۵۲) قالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (۵۳) قالَ أَ بَشَّرْتُمُونِي عَلى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (۵۴) قالُوا بَشَّرْناكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقانِطِينَ (۵۵) قالَ وَ مَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (۵۶) قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (۵۷) قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (۵۸) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (۵۹) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنا إِنَّها لَمِنَ الْغابِرِينَ (۶۰) فَلَمَّا جاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (۶۱) قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ الآثار و التاريخ، ص: ۷۱ مُنْكَرُونَ (۶۲) قالُوا بَلْ جِئْناكَ بِما كانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (۶۳) وَ أَتَيْناكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّا لَصادِقُونَ (۶۴) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ اتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَ امْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (۶۵) وَ قَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (۶۶) وَ جاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (۶۷) قالَ إِنَّ هؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ (۶۸) وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ لا تُخْزُونِ (۶۹) قالُوا أَ وَ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعالَمِينَ (۷۰) قالَ هؤُلاءِ بَناتِي إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ (۷۱) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (۷۲) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (۷۳) فَجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (۷۴) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (۷۵) وَ إِنَّها لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (۷۶) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (۷۷). و قال تعالى فى سورة الشعراء: كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (۱۶۰) إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَ لا تَتَّقُونَ (۱۶۱) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۶۲) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۶۳) وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ (۱۶۴) أَ تَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ الْعالَمِينَ (۱۶۵) وَ تَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ (۱۶۶) قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (۱۶۷) قالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقالِينَ (۱۶۸) رَبِّ نَجِّنِي وَ أَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (۱۶۹) فَنَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (۱۷۰) إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغابِرِينَ (۱۷۱) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (۱۷۲) وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (۱۷۳) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۷۴) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۱۷۵)، و قال تعالى فى سورة النمل: وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (۵۴) أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (۵۵) فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (۵۶) فَأَنْجَيْناهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ (۵۷) وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (۵۸). و قال تعالى فى سورة العنكبوت: وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (۲۸) أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَ تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ الآثار و التاريخ، ص: ۷۲ وَ تَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۲۹) قالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (۳۰) وَ لَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ (۳۱) قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (۳۲) وَ لَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قالُوا لا تَخَفْ وَ لا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَ أَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (۳۳) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلى أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (۳۴) وَ لَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (۳۵). و قال تعالى فى سورة الصافات: وَ إِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (۱۳۳) إِذْ نَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (۱۳۴) إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغابِرِينَ (۱۳۵) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (۱۳۶) وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (۱۳۷) وَ بِاللَّيْلِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۱۳۸) ... و قال تعالى فى الذاريات، بعد قصة ضيف إبراهيم و بشارتهم إياه بغلام عليم: قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (۳۱) قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (۳۲) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ (۳۳) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (۳۴) فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۳۵) فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (۳۶) وَ تَرَكْنا فِيها آيَةً لِلَّذِينَ يَخافُونَ الْعَذابَ الْأَلِيمَ (۳۷) .. و قال فى سورة القمر: كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (۳۳) إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ حاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْناهُمْ بِسَحَرٍ (۳۴) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنا كَذلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (۳۵) وَ لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنا فَتَمارَوْا بِالنُّذُرِ (۳۶) وَ لَقَدْ راوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذابِي وَ نُذُرِ (۳۷) وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذابٌ مُسْتَقِرٌّ (۳۸) فَذُوقُوا عَذابِي وَ نُذُرِ (۳۹) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (۴۰). و قد تكلم المفسرون عن هذه القصص فى أماكنها من

تفاسيرهم، و قد ذكر اللّه لوطا و قومه فى موضع آخر من القرآن جاء ذكره مع قوم نوح و عاد و ثمود، و المقصود الآن إيراد ما كان من أمرهم، و ما أحل اللّه بهم، مجموعا من الآيات و الآثار، و باللّه المستعان. الآثار و التاريخ، ص: ۷۳ و ذلك: أن لوطا عليه السّلام لما دعاهم إلى عبادة اللّه وحده لا شريك له، و نهاهم عن تعاطى ما ذكر اللّه عنهم من الفواحش، فلم يستجيبوا له، و لم يؤمنوا به، حتى و لا- رجل واحد منهم، و لم يتركوا ما عنه نهوا، بل استمروا على حالهم و لم يرتدعوا عن غيهم و ضلالهم، و هموا بإخراج رسولهم من بين ظهرانيهم، و ما كان حاصل جوابهم عن خطابهم إذ كانوا لا- يعقلون إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (۵۶) فجعلوا غاية المدح ذما يقتضى الإخراج، و ما حملهم على مقالتهم هذه إلا العناد و اللجاج، فطهره اللّه و أهله، إلا امرأته، و أخرجهم منها أحسن إخراج، و تركهم فى محلتهم خالدين، لكن بعد ما صيرها عليهم بحيرة منتنة ذات أمواج، لكنها عليهم فى الحقيقة: نار تأجج و حر يتوهج و ماؤها ملح أجاج، و ما كان هذا جوابهم إلا لما نهاهم عن الطامة العظمى و الفاحشة الكبرى التى لم يسبقهم إليها أحد من أهل الدنيا، و لهذا صاروا مثلة فيها و عبرة لمن عليها، و كانوا مع ذلك يقطعون الطريق و يخونون الرفيق و يأتون فى ناديهم، و هو مجتمعهم و محل حديثهم و سمرهم، المنكر من الأقوال و الأفعال على اختلاف أصنافه، حتى قيل: إنهم كانوا يتضارطون فى مجالسهم و لا يستحيون من مجالسهم، و ربما وقع منهم الفعلة العظيمة فى المحافل، و لا يستنكفون و لا يرعوون لوعظ واعظ و لا نصيحة من عاقل، و كانوا فى ذلك و غيره كالأنعام بل أضل سبيلا، و لم يقلعوا عما كانوا عليه فى الحاضر، و لا ندموا على ما سلف من الماضى، و لا راموا فى المستقبل تحويلا، فأخذهم اللّه أخذا و بيلا، و قالوا له فيما قالوا: «ائتنا بعذاب اللّه إن كنت من الصادقين» فطلبوا منه وقوع ما حذرهم عنه من العذاب الأليم و حلول البأس العظيم، فعند ذلك دعا عليهم نبيهم الكريم، فسأل من رب العالمين و إله المرسلين أن ينصره على القوم المفسدين، فغار اللّه لغيرته، و غضب لغضبته، و استجاب لدعوته، و أجابه إلى طلبته، و بعث رسله الكرام و ملائكته العظام، فمروا على الخليل إبراهيم، و بشروه بالغلام العليم، و أخبروه بما جاءوا له من الأمر الجسيم و الخطب العميم:* قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (۳۱) قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (۳۲) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ (۳۳) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (۳۴)، (الذاريات) .. و قال: وَ لَمَّا الآثار و التاريخ، ص: ۷۴ جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ (۳۱) قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (۳۲)، (العنكبوت). و قال اللّه تعالى: فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْراهِيمَ الرَّوْعُ وَ جاءَتْهُ الْبُشْرى يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ (۷۴)، و ذلك إنه كان يرجوا أن ينيبوا و يسلموا و يقلعوا و يرجعوا، و لهذا قال تعالى: إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (۷۵) يا إِبْراهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هذا إِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَ إِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (۷۶)، (هود). أى أعرض عن هذا و تكلم فى غيره، فإنه قد حتم أمرهم، و وجب عذابهم و تدميرهم و هلاكهم إِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ أى قد أمر به من لا- يرد أمره و لا- يرد بأسه و لا معقب لحكمه وَ إِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ. و ذكر سعيد بن جبير و السدى و قتادة و محمد بن إسحاق: أن إبراهيم عليه السلام جعل يقول: أ تهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا: لا- قال: فمائتا مؤمن؟ قالوا: لا، قال فأربعون مؤمنا؟ قالوا: لا، قال: فأربعة عشر مؤمنا؟ قالوا: لا، قال ابن إسحاق: إلى أن قال: أ فرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا؟ قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها الآية. و عند أهل الكتاب أنه قال: يا رب، أ تهلكهم و فيهم خمسون رجلا- صالحا؟ فقال اللّه لا أهلكهم و فيهم خمسون صالحا، ثم تنازل إلى عشرة، فقال اللّه: لا أهلكهم و فيهم عشرة صالحون، قال اللّه تعالى: وَ لَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قالَ هذا يَوْمٌ عَصِيبٌ (۷۷)، قال المفسرون: و لما فصلت الملائكة من عند إبراهيم، و هم: (جبريل و ميكائيل و إسرافيل)، أقبلوا حتى أتوا أرض سدوم فى صور شبان حسان، اختبارا من اللّه تعالى لقوم لوط، و إقامة للحجة عليهم، فاستضافوا لوطا عليه السلام، و ذلك عند غروب الشمس، فخشى إن لم يضفهم يضيفهم غيره، و حسبهم بشرا من الناس سِيءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قالَ هذا يَوْمٌ عَصِيبٌ. قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و محمد بن إسحاق: شديد بلاؤه و ذلك لما يعلم من الآثار و التاريخ، ص: ۷۵ مدافعته الليلة عنهم، كما كان يصنع بهم فى غيرهم، و كانوا قد اشترطوا عليه أن لا- يضيف أحدا، و لكن رأى من لا- يمكن المحيد عنه. و ذكر قتادة أنهم وردوا عليه و هو فى أرض له يعمل فيها،

فتضيفوا فاستحيى منهم و انطلق أمامهم و جعل يعرض لهم فى الكلام لعلهم ينصرفون عن هذه القرية و ينزلوا فى غيرها، فقال لهم فيما قال: يا هؤلاء، ما أعلم على وجه الأرض أهل بلد أخبث من هؤلاء، ثم مشى قليلا ثم أعاد ذلك عليهم حتى كرره أربع مرات، قال: و كانوا قد أمروا أن لا يهلكوهم حتى يشهد عليهم نبيهم بذلك. و قال السدى: خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قوم لوط فأتوها نصف النهار فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقى من الماء لأهلها، و كانت له ابنتان: اسم الكبرى ريثا، و الصغرى ذعرتا، فقالوا لها: يا جارية، هل من منزل؟ فقالت لهم: مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم، فرقت عليهم من قومها فأتت أباها، فقالت: يا أبتاه، أرادك فتيان على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم قط هى أحسن منهم لا يأخذهم قومك فيفضحوهم، و قد كان قومه نهوه أن يضيف رجلا، فجاء بهم فلم يعلم أحدا إلا أهل البيت، فخرجت امرأته فأخبرت قومها، فقالت: إن فى بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط، فجاءه قومه يهرعون إليه، و قوله: وَ مِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ، أى هذا مع ما سلف لهم من الذنوب العظيمة الكبيرة الكثيرة قالَ يا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ يرشدهم إلى غشيان نسائهم، و هن بناته شرعا لأن النبى للأمة بمنزلة الوالد، كما ورد فى الحديث، و كما قال تعالى: النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ، و فى قول بعض الصحابة و السلف: و هو أب لهم، و هذا كقوله تعالى فى سورة الشعراء: أَ تَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ الْعالَمِينَ (۱۶۵) وَ تَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ (۱۶۶)، و هذا هو الذى نص عليه مجاهد و سعيد بن جبير و الربيع بن أنس و قتادة و السدى و محمد بن إسحاق و هو الصواب. و القول الآخر خطأ مأخوذ من أهل الكتاب، و قد تصحف عليهم كما أخطئوا فى قولهم: إن الملائكة كانوا اثنين، و إنهم تعشوا عنده، و قد خبط أهل الكتاب فى هذه القصة تخبيطا عظيما. الآثار و التاريخ، ص: ۷۶ و قوله: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ لا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَ لَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ نهى لهم عن تعاطى ما لا يليق من الفاحشة و شهادة عليهم بأنه ليس فيهم رجل له مسكة و لا فيه خير، بل الجميع سفهاء فجرة أقوياء كفرة أغبياء، و كان هذا من جملة ما أراد الملائكة أن يسمعوا منه من قبل أن يسألوه عنه، فقال قومه، عليهم لعنة اللّه الحميد المجيد، مجيبين لنبيهم فيما أمرهم به من الأمر السديد: لَقَدْ عَلِمْتَ ما لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ وَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ يقولون، عليهم لعائن اللّه: لقد علمت يا لوط إنه لا أرب لنا فى نسائنا، و إنك لتعلم مرادنا و غرضنا، واجهوا بهذا الكلام القبيح رسولهم الكريم و لم يخافوا سطوة العظيم ذى العذاب الأليم، و لهذا قال عليه السّلام: لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ ود أن لو كان له بهم قوة، أو له منعة و عشيرة ينصرونه عليهم ليحل بهم ما يستحقونه من العذاب على هذا الخطاب. و قد قال الزهرى: عن سعيد بن المسيب و أبى سلمة، عن أبى هريرة مرفوعا: نحن أحق بالشك من إبراهيم، و يرحم اللّه لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد، و لو لبثت فى السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعى. و رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة. و قال محمد بن عمرو بن علقمة عن أبى سلمة، عن أبى هريرة، أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: (رحمة اللّه على لوط لقد كان يأوى إلى ركن شديد، يعنى اللّه عز و جل، فما بعث اللّه بعده من نبى إلا فى ثروة من قومه). و قال تعالى: وَ جاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (۶۷) قالَ إِنَّ هؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ (۶۸) وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ لا تُخْزُونِ (۶۹) قالُوا أَ وَ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعالَمِينَ (۷۰) قالَ هؤُلاءِ بَناتِي إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ (۷۱)، فأمرهم بقربان نسائهم، و حذرهم الاستمرار على طريقتهم، و سيئاتهم هذا و هم فى ذلك لا ينتهون و لا يرعوون، بل كلما نصح لهم يبالغون فى تحصيل هؤلاء الضيوف و يحرضون، و لم يعلموا ما حكم به القدر مما هم إليه صائرون، و صبيحة ليلتهم إليه منقلبون، و لهذا قال تعالى مقسما بحياة نبيه محمد صلوات اللّه و سلامه عليه: لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (۷۲)، و قال تعالى فى سورة القمر: الآثار و التاريخ، ص: ۷۷ وَ لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنا فَتَمارَوْا بِالنُّذُرِ (۳۶) وَ لَقَدْ راوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذابِي وَ نُذُرِ (۳۷) وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذابٌ مُسْتَقِرٌّ (۳۸)، ذكر المفسرون و غيرهم: أن نبى اللّه لوطا عليه السّلام جعل يمانع قومه الدخول، و يدافعهم و الباب مغلق، و هم يرومون فتحه و ولوجه، و هو يعظهم و ينهاهم من وراء الباب، و كل ما لهم فى اللجاج و العاج، فلما ضاق الأمر و عسر الحال قال: لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ لأحللت بكم النكال، قالت الملائكة: يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ و ذكروا أن جبريل عليه السّلام خرج عليهم فضرب وجوههم خفقة بطرف جناحه، فطمست أعينهم حتى قيل: إنها غارت بالكلية و لم يبق لها محل و لا عين و لا أثر،

فرجعوا يتحسسون مع الحيطان و يتوعدون رسول الرحمن و يقولون: إذا كان الغد كان لنا و له شأن. قال اللّه تعالى: وَ لَقَدْ راوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذابِي وَ نُذُرِ (۳۷) وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذابٌ مُسْتَقِرٌّ (۳۸) فذلك أن الملائكة تقدمت إلى لوط عليهم السلام آمرين له بأن يسرى هو و أهله من آخر الليل وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ يعنى عند سماع صوت العذاب إذا حل بقومه، و أمروه أن يكون سيره فى آخرهم كالساقة لهم، و قوله: إِلَّا امْرَأَتَكَ على قراءة النصب يحتمل أن يكون مستثنى من قوله: فأسر بأهلك، كأنه يقول: إلا امرأتك فلا تسر بها، و يحتمل أن يكون مستثنى من قوله: وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ أى فإنها ستلتفت فيصيبها ما أصابهم، و يقوى هذا الاحتمال قراءة الرفع، و لكن الأول أظهر فى المعنى، و اللّه أعلم. قال السهيلى: و اسم امرأة لوط: والهة، و اسم امرأة نوح، والغة، و قالوا له مبشرين بهلاك هؤلاء البغاة العتاة الملعونين النظراء و الأشباه الذين جعلهم اللّه سلفا لكل خائن مريب: إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ، فلما خرج لوط عليه السلام بأهله و هم ابنتاه و لم يتبعه منهم رجل واحد، و يقال: إن امرأته خرجت معه، فاللّه أعلم، فلما خلصوا من بلادهم و طلعت الشمس فكان عند شروقها جاءهم من أمر اللّه ما لا الآثار و التاريخ، ص: ۷۸ يرد، و من البأس الشديد ما لا يمكن أن يصد. و عند أهل الكتاب: أن الملائكة أمروه أن يصعد إلى رأس الجبل الذى هناك فاستبعده و سأل منهم أن يذهب إلى قرية قريبة منهم فقالوا: اذهب فإنا ننتظرك حتى تصير إليها و تستقر فيها، ثم نحل بهم العذاب. فذكروا أنه ذهب إلى قرية: صغر التى يقول الناس: غور زغر، فلما اشرقت الشمس نزل بهم العذاب. قال اللّه تعالى: فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (۸۲) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَ ما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (۸۳) قالوا: اقتلعهن جبريل بطرف جناحه من قرارهن و كن سبع مدن بمن فيهن من الأمم، فقالوا: إنهم كانوا أربع مائة نسمة، و قيل: أربعة آلاف نسمة، و ما معهم من الحيوانات، و ما يتبع تلك المدن من الأراضى و الأماكن و المعتملات، فرفع الجميع حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة أصوات ديكتهم و نباح كلابهم، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، قال مجاهد: فكان أول ما سقط منها شرفاتها وَ أَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ، و السجيل: فارسى معرب، و هو: الشديد الصلب القوى مَنْضُودٍ، أى يتبع بعضها بعضا فى نزولها عليهم من السماء مُسَوَّمَةً، أى معلمة مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذى يهبط عليه فيدمغه، كما قال: مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ للمسرفين، و كما قال تعالى: وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (۱۷۳)، و قال تعالى: وَ الْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوى (۵۳) فَغَشَّاها ما غَشَّى (۵۴)، يعنى قلبها فأهوى بها منكسة عاليها سافلها، و غشاها بمطر من حجارة من سجيل متتابعة مرقومة على كل حجر اسم صاحبه الذى سقط عليه من الحاضرين منهم فى بلدهم، و الغائبين عنها من المسافرين، و النازحين و الشاذين منها، و يقال: إن امرأة لوط مكثت مع قومها، و يقال: إنها خرجت مع زوجها و بنتيها، و لكنها لما سمعت الصيحة و سقوط البلدة و التفتت إلى قومها و خالفت أمر ربها قديما و حديثا، و قالت: وا قوماه فسقط عليها حجر فدمغها، و ألحقها بقومها إذ كانت على دينهم و كانت عينا لهم على من يكون عند لوط من الضيفان، كما قال تعالى: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَ قِيلَ الآثار و التاريخ، ص: ۷۹ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (۱۰)، أى خانتاهما فى الدين فلم يتابعاهما فيه، و ليس المراد: أنهما كانتا على فاحشة حاشا و كلا و لما فإن اللّه لا يقدر على نبى أن تبغى امرأته كما قال ابن عباس و غيره من أئمة السلف و الخلف: ما بغت امرأة نبى قط، و من قال خلاف هذا فقد أخطأ خطأ كبيرا. قال اللّه تعالى فى قصة الإفك لما أنزل براءة أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فعاتب اللّه المؤمنين و أنب و زجر و وعظ و حذر و قال فيما قال تعالى فى سورة النور: إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَ تَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (۱۵) وَ لَوْ لا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ ما يَكُونُ لَنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهذا سُبْحانَكَ هذا بُهْتانٌ عَظِيمٌ (۱۶) أى سبحانك أن تكون زوجة نبيك بهذه المثابة، و قوله هاهنا: وَ ما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ أى و ما هذه العقوبة ببعيدة ممن أشبههم فى فعلهم، و لهذا ذهب من ذهب من العلماء إلى أن اللائط يرجم سواء كان محصنا أو لا، نص عليه الشافعى و أحمد بن حنبل و طائفة كثيرة من الأئمة، و احتجوا أيضا بما رواه الإمام أحمد، و أهل السنن من حديث عمرو بن أبى عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال:

(من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل و المفعول به). و ذهب أبو حنيفة إلى أن اللائط يلقى من شاهق جبل، و يتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط، لقوله تعالى: وَ ما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ و جعل اللّه مكان تلك البلاد بحيرة منتنة لا ينتفع بمائها، و لا بما حولها من الأراضى المتاخمة لفنائها لرداءتها و دناءتها، فصارت عبرة و مثلة و عظة و آية على قدرة اللّه تعالى و عظمته و عزته فى انتقامه ممن خالف أمره و كذب رسله و اتبع هواه و عصى مولاه، و دليلا على رحمته بعبادة المؤمنين فى انجائه إياهم من المهلكات، و إخراجه إياهم من النور إلى الظلمات، كما قال تعالى: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۸) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۹)، و قال تعالى: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (۷۳) فَجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (۷۴) إِنَّ فِي ذلِكَ الآثار و التاريخ، ص: ۸۰ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (۷۵) وَ إِنَّها لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (۷۶) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (۷۷) أى من نظر بعين الفراسة و التوسم فيهم، كيف غير اللّه تلك البلاد و أهلها و كيف جعلها بعد ما كانت آهلة عامرة هالكة غامرة؟ كما روى الترمذى و غيره مرفوعا: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور اللّه) ثم قرأ: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ. و قوله: وَ إِنَّها لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ أى لبطريق مهيع مسلوك إلى الآن، كما قال: وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (۱۳۷) وَ بِاللَّيْلِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۱۳۸)، و قال تعالى: وَ لَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (۳۵)، و قال تعالى: فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۳۵) فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (۳۶) وَ تَرَكْنا فِيها آيَةً لِلَّذِينَ يَخافُونَ الْعَذابَ الْأَلِيمَ (۳۷) أى تركناها عبرة و عظة لمن خاف عذاب الآخرة و خشى الرحمن بالغيب و خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى فانزجر عن محارم اللّه و ترك معاصيه و خاف أن يشابه قوم لوط (و من تشبه بقوم فهو منهم) و إن لم يكن من كل وجه، فمن بعض الوجوه، كما قال بعضهم: فإن لم تكونوا قوم لوط بعينهم، فما قوم لوط منكم ببعيد، فالعاقل اللبيب الخائف من ربه الفاهم يمتثل ما أمره اللّه به عز و جل، و يقبل ما أرشده إليه رسول اللّه من إتيان ما خلق له من الزوجات الحلال، و الجوارى من السرارى ذوات الجمال، و إياه أن يتبع كل شيطان مريد، فيحق عليه الوعيد، و يدخل فى قوله تعالى: وَ ما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ.

قصة موسى الكليم عليه السلام

الملحق (۳) قصة موسى الكليم عليه السلام «۱» و هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، قال تعالى فى سورة مريم: وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ مُوسى إِنَّهُ كانَ مُخْلَصاً وَ كانَ رَسُولًا نَبِيًّا (۵۱) وَ نادَيْناهُ مِنْ جانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَ قَرَّبْناهُ نَجِيًّا (۵۲) وَ وَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أَخاهُ هارُونَ نَبِيًّا (۵۳)، و قد ذكره اللّه تعالى فى مواضع كثيرة متفرقة من القرآن، و ذكر قصته فى مواضع متعددة مبسوطة مطولة و غير مطولة، و قد تكلم عن ذلك كله فى مواضعه كل أهل التفسير، و سنورد سيرته هاهنا من ابتدائها إلى آخرها من الكتاب و السنة، و ما ورد فى الآثار المنقولة من الإسرائيليات التى ذكرها السلف و غيرهم إن شاء اللّه، و به الثقة و عليه التكلان. قال اللّه تعالى فى سورة القصص: طسم (۱) تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ (۲) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۳) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (۴) وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ (۵) وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ (۶) .. يذكر تعالى ملخص القصة ثم يبسطها بعد هذا، فذكر أنه يتلو على نبيه خبر موسى و فرعون بالحق، أى بالصدق الذى كأن سامعه مشاهد للأمر معاين له إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً أى تجبر و عتا و طغى و بغى، و آثر الحياة الدنيا، و أعرض عن طاعة الرب الأعلى وَ جَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً أى قسم رعيته إلى أقسام و فرق، و أنواع يستضعف طائفة منهم، و هم شعب بنى

(_____ ۱) موسوعة الدكتور طارق السويدان، قصص الأنبياء، قرص مدمج. الآثار و التاريخ، ص: ۸۲ إسرائيل الذين هم من سلالة نبى اللّه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل اللّه، و كانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض، و قد سلط عليهم هذا الملك الظالم الغاشم الكافر الفاجر يستعبدهم و يستخدمهم فى أخس

الصنائع و الحرف و أرداها و أدناها و مع هذا: يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ و كان الحامل له على هذا الصنيع القبيح أن بنى إسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما يأثرونه عن إبراهيم عليه السلام من أنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه و ذلك، و اللّه أعلم، حين كان جرى على سارة امرأة الخليل من ملك مصر من إرادته إياها على السوء، و عصمة اللّه لها، و كانت هذه البشارة مشهورة فى بنى إسرائيل، فتحدث بها القبط فيما بينهم، و وصلت إلى فرعون فذكرها له بعض أمرائه و أساورته و هم يسمرون عنده، فأمر عند ذلك بقتل أبناء بنى إسرائيل حذرا من وجوه هذا الغلام، و لن يغنى حذر من قدر. و ذكر السدى عن أبى صالح و أبى مالك، عن ابن عباس و عن مرة، عن ابن مسعود و عن أناس من الصحابة: أن فرعون رأى فى منامه كأن نارا قد أقبلت من نحو بيت المقدس، فأحرقت دور مصر و جميع القبط و لم تضر بنى إسرائيل، فلما استيقظ هاله ذلك، فجمع الكهنة و الحزأة و السحرة، و سألهم عن ذلك؟ فقالوا: هذا غلام يولد من هؤلاء يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه، فلهذا أمر بقتل الغلمان و ترك النسوان، و لهذا قال اللّه تعالى: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ و هم بنو إسرائيل وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ أى الذين يؤول ملك مصر و بلادها إليهم وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ أى سنجعل الضعيف قويا، و المقهور قادرا، و الذليل عزيزا، و قد جرى هذا كله لبنى إسرائيل، كما قال تعالى فى سورة الأعراف (۱۳۷): وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا الَّتِي بارَكْنا فِيها وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا وَ دَمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ ما كانُوا الآثار و التاريخ، ص: ۸۳ يَعْرِشُونَ (۱۳۷)، الآية، و قال تعالى فى الدخان: كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (۲۵) وَ زُرُوعٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ (۲۶) وَ نَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ (۲۷) كَذلِكَ وَ أَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ (۲۸). و سيأتى تفصيل ذلك فى موضعه إن شاء اللّه. و المقصود: أن فرعون احترز كل الاحتراز أن لا يوجد موسى، حتى جعل رجالا و قوابل يدورون على الحبالى، و يعلمون ميقات وضعهن، فلا تلد امرأة ذكرا إلا ذبحه أولئك الذباحون من ساعته. و عند أهل الكتاب: أنه إنما كان يأمر بقتل الغلمان لتضعف شوكة بنى إسرائيل، فلا يقاومونهم إذا غالبوهم أو قاتلوهم، و هذا فيه نظر، بل هو باطل، و إنما هذا فى الأمر بقتل الولدان بعد بعثة موسى، كما قال تعالى: فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ اسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ، و لهذا قالت بنو إسرائيل لموسى: أُوذِينا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنا وَ مِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا فالصحيح: أن فرعون إنما أمر بقتل الغلمان أولا حذرا من وجود موسى، هذا و القدر يقول: يا أيها ذا الملك الجبار المغرور بكثرة جنوده، و سلطة بأسه و اتساع سلطانه، قد حكم العظيم الذى لا يغالب و لا يمانع و لا يخالف أقداره، أن هذا المولود الذى تحترز منه و قد قتلت بسببه من النفوس ما لا يعد و لا يحصى، لا يكون مرباه إلا فى دارك و على فراشك، و لا يغذى إلا بطعامك و شرابك فى منزلك، و أنت الذى تتبناه و تربيه، و تتعداه و لا تطلع على سر معناه، ثم يكون هلاكك فى دنياك و أخراك على يديه، لمخالفتك ما جاءك به من الحق المبين، و تكذيبك ما أوحى إليه لتعلم أنت و سائر الخلق أن رب السماوات و الأرض هو الفعال لما يريد، و أنه هو القوى الشديد ذو البأس العظيم و الحول و القوة و المشيئة التى لا مرد لها. و قد ذكر غير واحد من المفسرين: أن القبط شكوا إلى فرعون قلة بنى إسرائيل بسبب قتل ولدانهم الذكور، و خشى أن تتفانى الكبار مع قتل الصغار، فيصيرون هم الذين يلون ما كان بنو إسرائيل يعالجون، فأمر فرعون بقتل الأبناء عاما و أن يتركوا عاما، فذكروا أن هارون عليه السّلام ولد فى عام المسامحة عن قتل الأبناء، و أن موسى عليه السلام ولد فى عام قتلهم، فضاقت أمه به ذرعا و احترزت من أول ما حبلت، و لم يكن يظهر عليها مخايل الحبل، فلما وضعت ألهمت أن اتخذت له تابوتا فربطته فى الآثار و التاريخ، ص: ۸۴ حبل، و كانت دارها متاخمة للنيل، فكانت ترضعه فإذا خشيت من أحد وضعته فى ذلك التابوت فأرسلته فى البحر و أمسكت طرف الحبل عندها، فإذا ذهبوا استرجعته إليها به، قال اللّه تعالى: وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لا تَخافِي وَ لا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (۷) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما كانُوا خاطِئِينَ (۸) وَ قالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (۹)، (القصص). هذا الوحى وحى إلهام و إرشاد كما قال تعالى فى سورة النحل: وَ

أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ (۶۸) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (۶۹)، الآية، و ليس هو بوحى نبوة كما زعمه ابن حزم و غير واحد من المتكلمين، بل الصحيح الأول كما حكاه أبو الحسن الأشعرى عن أهل السنة و الجماعة. قال السهيلى: و اسم أم موسى أيارخا: و قيل: أياذخت. و المقصود: أنها أرشدت إلى هذا الذى ذكرناه و ألقى فى خلدها و روعها أن لا تخافى و لا تحزنى، فإنه إن ذهب فإن اللّه سيرده إليك، و إن اللّه سيجعله نبيا مرسلا يعلى كلمته فى الدنيا و الآخرة، فكانت تصنع ما أمرت به، فأرسلته ذات يوم و ذهلت أن تربط طرف الحبل عندها، فذهب مع النيل فمر على دار فرعون فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ، قال اللّه تعالى: لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً قال بعضهم: هذه لام العاقبة، و هو ظاهر إن كان متعلقا بقوله: فَالْتَقَطَهُ و أما إن جعل متعلقا بمضمون الكلام، و هو أن آل فرعون قيّضوا لالتقاطه ليكون لهم عدوا و حزنا، صارت اللام معللة كغيرها، و اللّه أعلم، و يقوى هذا التقدير الثانى قوله: إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ و هو الوزير السوء وَ جُنُودَهُما المتابعين لهما كانُوا خاطِئِينَ أى كانوا على خلاف الصواب، فاستحقوا هذه العقوبة و الحسرة. الآثار و التاريخ، ص: ۸۵ و ذكر المفسرون: أن الجوارى التقطنه من البحر فى تابوت مغلق عليه، فلم يتجاسرون على فتحه حتى وضعنه بين يدى امرأة فرعون: آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذى كان فرعون مصر فى زمن يوسف، و قيل: إنها كانت من بنى إسرائيل من سبط موسى، و قيل: بل كانت عمته، حكاه السهيلى، فاللّه أعلم. و سيأتى مدحها و الثناء عليها فى قصة مريم بنت عمران، و أنهما يكونان يوم القيامة من أزواج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى الجنة. فلما فتحت الباب و كشفت الحجاب رأت وجهه يتلألأ بتلك الأنوار النبوية و الجلالة الموسوية، فلما رأته و وقع نظرها عليه أحبته حبا شديدا جدا، فلما جاء فرعون قال: ما هذا؟ و أمر بذبحه، فاستوهبته منه و دفعت عنه و قالت: قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ فقال لها فرعون: أما لك فنعم، و أما لى فلا، أى لا حاجة لى به و البلاء موكل بالمنطق، و قولها: عَسى أَنْ يَنْفَعَنا و قد أنالها اللّه ما رجت من النفع، أما فى الدنيا: فهداها اللّه به، و أما فى الآخرة: فأسكنها جنته بسببه أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً و ذلك أنهما تبنياه، لأنه لم يكن يولد لهما ولد، قال اللّه تعالى: وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ أى لا يدرون ما ذا يريد اللّه بهم أن قيضهم لالتقاطه من النقمة العظيمة بفرعون و جنوده وَ أَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۱۰) وَ قالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (۱۱)* وَ حَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ ناصِحُونَ (۱۲) فَرَدَدْناهُ إِلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَ لا تَحْزَنَ وَ لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا- يَعْلَمُونَ (۱۳)، (القصص). قال ابن عباس و مجاهد و عكرمة و سعيد بن جبير و أبو عبيدة و الحسن و قتادة و الضحاك و غيرهم: وَ أَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً أى من كل شىء من أمور الدنيا إلا من موسى إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ أى لتظهر أمره و تسأل عنه جهرة لَوْ لا- أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها أى صبرناها و ثبتناها لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ و قالت لأخته و هى ابنتها الكبيرة: قُصِّيهِ أى اتبعى أثره و اطلبى له خبره فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ الآثار و التاريخ، ص: ۸۶ قال مجاهد: عن بعد. و قال قتادة: جعلت تنظر إليه و كأنها لا تريده، و لهذا قال: وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ و ذلك لأن موسى عليه السّلام لما استقر بدار فرعون أرادوا أن يغذوه برضاعة، فلم يقبل ثديا و لا أخذ طعاما، فحاروا فى أمره و اجتهدوا على تغذيته بكل ممكن، فلم يفعل، كما قال تعالى: وَ حَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ مِنْ قَبْلُ فأرسلوه مع القوابل و النساء إلى السوق لعلهم يجدون من يوافق رضاعته، فبينما هم وقوف به و الناس عكوف عليه إذ بصرت به أخته، فلم تظهر إنها تعرفه بل قالت: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ ناصِحُونَ قال ابن عباس: لما قالت ذلك قالوا لها: ما يدريك بنصحهم و شفقتهم عليه؟ فقالت: رغبة فى صهر الملك و رجاء منفعته، فأطلقوها و ذهبوا معها إلى منزلهم، فأخذته أمه فلما أرضعته التقم ثديها، و أخذ يمتصه و يرتضعه، ففرحوا بذلك فرحا شديدا و ذهب البشير إلى آسية يعلمها بذلك، فاستدعتها إلى منزلها و عرضت عليها أن تكون عندها، و أن تحسن إليها فأبت عليها، و قالت: إن لى بعلا و أولادا و لست أقدر على هذا إلا أن ترسليه معى فأرسلته معها، و رتبت لها رواتب و أجرت عليها النفقات و الكسائى و الهبات، فرجعت به تحوزه إلى رحلها و قد جمع اللّه شمله بشملها. قال اللّه تعالى: فَرَدَدْناهُ إِلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَ لا تَحْزَنَ وَ لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ أى كما وعدناها برده و رسالته فهذا رده، و

هو دليل على صدق البشارة برسالته وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ و قد امتن اللّه على موسى بهذا ليلة كلمه، فقال له فيما قال: وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرى (۳۷) إِذْ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّكَ ما يُوحى (۳۸) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَ عَدُوٌّ لَهُ وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي و ذلك أنه كان لا يراه أحد إلا أحبه وَ لِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي إذ قال قتادة و غير واحد من السلف: أى تطعم و ترفه و تغذى بأطيب المآكل و تلبس أحسن الملابس بمرأى منى، و ذلك كله بحفظى و كلاءتى لك فيما صنعت بك لك، و قدرته من الأمور التى لا يقدر عليها غيرى إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْناكَ إِلى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَ لا تَحْزَنَ وَ قَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْناكَ مِنَ الْغَمِّ وَ فَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلى قَدَرٍ يا مُوسى (۴۰) و سنورد حديث الفتون فى موضعه بعد هذا إن شاء اللّه تعالى، و به الثقة و عليه التكلان. وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوى آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (۱۴) وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ قالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (۱۵) قالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (۱۶) قالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (۱۷)، (القصص). لما ذكر تعالى أنه أنعم على أمه برده لها و إحسانه بذلك و امتنانه عليها شرع فى ذكر أنه لما بلغ أشده و استوى، و هو احتكام الخلق و الخلق و هو سن الأربعين فى قول الأكثرين، آتاه اللّه حكما و علما، و هو النبوة و الرسالة التى كان بشر بها أمه حين قال: إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ثم شرع فى ذكر سبب خروجه من بلاد مصر و ذهابه إلى أرض مدين و إقامته هنالك حتى كمل الأجل، و انقضى الأمد، و كان ما كان من كلام اللّه له، و إكرامه بما أكرمه به، كما سيأتى، قال تعالى: وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها قال ابن عباس و سعيد بن جبير و عكرمة و قتادة و السدى: و ذلك نصف النهار، و عن ابن عباس: بين العشاءين فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ أى يتضاربان و يتهاوشان هذا مِنْ شِيعَتِهِ أى إسرائيلى وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ أى قبطى، قاله ابن عباس و قتادة و السدى و محمد بن إسحاق فَاسْتَغاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ و ذلك أن موسى عليه السّلام كانت له بديار مصر صولة، بسبب نسبته إلى تبنى فرعون له، و تربيته فى بيته، و كانت بنو إسرائيل قد عزوا و صارت لهم وجاهة، و ارتفعت رءوسهم بسبب أنهم أرضعوه و هم أخواله، أى من الرضاعة، فلما استغاث ذلك الإسرائيلى موسى عليه السّلام على ذلك القبطى أقبل إليه الآثار و التاريخ، ص: ۸۸ موسى فَوَكَزَهُ قال مجاهد: أى طعنه بجمع كفه، و قال قتادة: بعصا كانت معه فَقَضى عَلَيْهِ أى فمات منها، و قد كان ذلك القبطى كافرا مشركا باللّه العظيم، و لم يرد موسى قتله بالكلية، و إنما أراد زجره و ردعه، و مع هذا قال موسى- كما فى تتمة القصة فى سورة القصص-: وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ قالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (۱۵) قالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (۱۶) قالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ .. أى من العز و الجاه قالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (۱۷) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قالَ لَهُ مُوسى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (۱۸) فَلَمَّا أَنْ أَرادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُما قالَ يا مُوسى أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَ ما تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (۱۹) وَ جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعى قالَ يا مُوسى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (۲۰) فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۲۱). يخبر تعالى أن موسى أصبح بمدينة مصر خائفاً أى من فرعون و ملئه أن يعلموا أن هذا القتيل الذى رفع إليه أمره إنما قتله موسى فى نصرة رجل من بنى إسرائيل، فتقوى ظنونهم أن موسى منهم، و يترتب على ذلك أمر عظيم، فصار يسير فى المدينة فى صبيحة ذلك اليوم خائِفاً يَتَرَقَّبُ أى يلتفت، فبينما هو كذلك إذا ذلك الرجل الإسرائيلى الذى استنصره بالأمس يَسْتَصْرِخُهُ أى يصرخ به و يستغيثه على آخر قد قاتله فعنفه موسى و لامه على كثرة شره و مخاصمته، قال له: إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ثم أراد أن يبطش بذلك القبطى الذى هو عدو لموسى و للإسرائيلى فيردعه عنه و يخلصه منه، فلما عزم على ذلك و أقبل على القبطى قالَ يا مُوسى أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي الآثار و التاريخ، ص: ۸۹ كَما قَتَلْتَ

نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَ ما تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ قال بعضهم: إنما قال هذا الكلام الإسرائيلى الذى اطلع على ما كان صنع موسى بالأمس، و كأنه لما رأى موسى مقبلا إلى القبطى اعتقد أنه جاء إليه لما عنفه قبل ذلك بقوله: إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ فقال ما قال لموسى، و أظهر الأمر الذى كان وقع بالأمس، فذهب القبطى فاستعدى موسى إلى فرعون، و هذا الذى لم يذكر كثير من الناس سواه، و يحتمل أن قائل هذا هو القبطى، و أنه لما رآه مقبلا إليه خافه، و رأى من سجيته انتصارا جديدا للإسرائيلى، فقال ما قال من باب الظن و الفراسة: إن هذا لعله قاتل ذاك القتيل بالأمس، أو لعله فهم من كلام الإسرائيلى حين استصرخه عليه ما دله على هذا، و اللّه أعلم. و المقصود: أن فرعون بلغه أن موسى هو قاتل ذلك المقتول بالأمس، فأرسل فى طلبه، و سبقهم رجل ناصح عن طريق أقرب وَ جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ ساعيا إليه مشفقا عليه، فقال: يا مُوسى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ أى من هذه البلدة إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ أى فيما أقوله لك، قال اللّه تعالى: فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ أى فخرج من مدينة مصر من فوره على وجهه، لا يهتدى إلى طريق، و لا يعرفه قائلا: ... رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۲۱) وَ لَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ قالَ عَسى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ (۲۲) وَ لَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودانِ قالَ ما خَطْبُكُما قالَتا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وَ أَبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ (۲۳) فَسَقى لَهُما ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقالَ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (۲۴)، (القصص). يخبر تعالى عن خروج عبده و رسوله و كليمه من مصر خائِفاً يَتَرَقَّبُ أى يتلفت، خشية أن يدركه أحد من قوم فرعون، و هو لا يدرى أين يتوجه، و لا إلى أين يذهب، و ذلك لأنه لم يخرج من مصر قبلها وَ لَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ أى اتجه له طريق يذهب فيه قالَ عَسى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ أى عسى أن تكون هذه الآثار و التاريخ، ص: ۹۰ الطريق موصلة إلى المقصود، و كذا وقع، فقد أوصلته إلى مقصود و أى مقصود وَ لَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ و كانت بئرا يستقون منها، و مدين هى المدينة التى أهلك اللّه فيها أصحاب الأيكة، و هم قوم شعيب عليه السّلام، و قد كان هلاكهم قبل زمن موسى عليه السّلام فى أحد قولى العلماء و لما ورد الماء المذكور وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودانِ أى تكفكفان غنمهما أن تختلط بغنم الناس. و عند أهل الكتاب: أنهن كن سبع بنات، و هذا أيضا من الغلط، و كأنه كن سبعا، و لكن إنما كان تسقى اثنتان منهن، و هذا الجمع ممكن إن كان ذاك محفوظا، و إلا فالظاهر أنه لم يكن له سوى بنتان قالَ ما خَطْبُكُما قالَتا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وَ أَبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ أى لا نقدر على ورود الماء إلا بعد صدور الرعاء، لضعفنا، و سبب مباشرتنا هذه الرعية ضعف أبينا و كبره، قال اللّه تعالى: فَسَقى لَهُما. قال المفسرون: و ذلك أن الرعاء كانوا إذا فرغوا من وردهم وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة، فتجىء هاتان المرأتان فيشرعان غنمهما فى فضل أغنام الناس، فلما كان ذلك اليوم جاء موسى فرفع تلك الصخرة وحده، ثم استقى لهما و سقى غنمهما، ثم رد الحجر كما كان، قال أمير المؤمنين عمر: و كان لا يرفعه إلا عشرة، و إنما استقى ذنوبا واحدا فكفاهما، ثم تولى إلى الظل، قالوا: و كان ظل شجرة من السمر، روى ابن جرير عن ابن مسعود أنه رآها خضراء ترف فَقالَ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ قال ابن عباس: سار من مصر إلى مدين لم يأكل إلا البقل و ورق الشجر، و كان حافيا، فسقطت نعلا قدميه من الحفاء، و جلس فى الظل، و هو صفوة اللّه من خلقه، و إن بطنه للاصق بظهره من الجوع، و إن خضرة البقل لترى من داخل جوفه، و أنه لمحتاج إلى شق تمرة، قال عطاء بن السائب لما فَقالَ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ أسمع المرأة فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ قالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا فَلَمَّا جاءَهُ وَ قَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۲۵) قالَتْ إِحْداهُما يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (۲۶) قالَ إِنِّي الآثار و التاريخ، ص: ۹۱ أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ عَلى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَ ما أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (۲۷) قالَ ذلِكَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوانَ عَلَيَّ وَ اللَّهُ عَلى ما نَقُولُ وَكِيلٌ (۲۸)، (القصص) .. لما جلس موسى عليه السّلام فى الظل و فَقالَ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ سمعته المرأتان فيما قيل، فذهبتا إلى أبيهما، فيقال: إنه استنكر سرعة رجوعهما فأخبرتاه ما كان من أمر موسى عليه السّلام، فأمر إحداهما أن تذهب إليه فتدعوه، فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ أى مشى الحرائر قالَتْ إِنَّ

أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا صرحت له بهذا لئلا يوهم كلامها ريبة، و هذا من تمام حيائها و صيانتها، فَلَمَّا جاءَهُ وَ قَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ، و أخبره خبره، و ما كان من أمره فى خروجه من بلاد مصر فرارا من فرعونها قالَ له ذلك الشيخ: لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ أى خرجت من سلطانهم، فلست فى دولتهم. و قد اختلفوا فى هذا الشيخ من هو؟ فقيل: هو شعيب عليه السّلام، و هذا هو المشهور عند كثيرين و ممن نص عليه الحسن البصرى و مالك بن أنس، و جاء مصرحا به فى حديث، و لكن فى إسناده نظر، و صرح طائفة بأن شعيبا عليه السّلام عاش عمرا طويلا بعد هلاك قومه، حتى أدركه موسى عليه السّلام و تزوج بابنته. و روى ابن أبى حاتم و غيره عن الحسن البصرى: أن صاحب موسى عليه السّلام هذا اسمه شعيب، و كان سيد الماء، و لكن ليس بالنبى صاحب مدين. و قيل: إنه ابن أخى شعيب، و قيل: ابن عمه، و قيل: رجل مؤمن من قوم شعيب، و قيل: رجل اسمه يثرون، هكذا هو فى كتب أهل الكتاب: يثرون كاهن مدين، أى كبيرها و عالمها. قال ابن عباس و أبو عبيدة بن عبد اللّه: اسمه يثرون: زاد أبو عبيدة: و هو ابن أخى شعيب. زاد ابن عباس: صاحب مدين. و المقصود: أنه لما أضافه، و أكرم مثواه، و قص عليه ما كان من أمره، بشره بأنه قد نجا، فعند ذلك قالت إحدى البنتين لأبيها: يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ أى لرعى غنمك، ثم الآثار و التاريخ، ص: ۹۲ مدحته بأنه قوى أمين. قال عمر و ابن عباس و شريح القاضى و أبو مالك و قتادة و محمد بن إسحاق و غير واحد: لما قالت ذلك قال لها أبوها: و ما علمك بهذا؟ فقالت: إنه رفع صخرة لا يطيق رفعها إلا عشرة، و أنه لما جئت معه تقدمت أمامه، فقال: كونى من ورائى، فإذا اختلف الطريق فاقذفى لى بحصاة أعلم بها كيف الطريق. قال ابن مسعود: أفرس الناس ثلاثة: صاحب يوسف حين قال لامرأته أَكْرِمِي مَثْواهُ و صاحبة موسى حين قالت: يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ، و أبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب. قالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ عَلى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَ ما أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ استدل بهذا جماعة من أصحاب أبى حنيفة رحمه اللّه، على صحة ما إذا باعه أحد هذين العبدين أو الثوبين و نحو ذلك أنه يصح، لقوله: إِحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ و فى هذا نظر، لأن هذه مراوضة لا معاقدة، و اللّه أعلم. و استدل أصحاب أحمد على صحة الإيجار بالطعمة و الكسوة كما جرت به العادة، و استأنسوا بالحديث الذى رواه ابن ماجة فى سننه مترجما فى كتابه، باب استئجار الأجير، على طعام بطنه: حدثنا محمد بن الصفى الحمصى. حدثنا بقية بن الوليد، عن مسلمة بن على، عن سعيد بن أبى أيوب، عن الحارث بن يزيد، عن على بن رباح، قال: سمعت عتبة بن الندر، يقول: كنا عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فقرأ: طسم حتى إذا بلغ قصة موسى قال: (إن موسى عليه السّلام آجر نفسه ثمانى سنين، أو عشرة، على عفة فرجه و طعام بطنه). و هذا من هذا الوجه لا يصح لأن مسلمة بن على الحسنى الدمشقى البلاطى ضعيف عند الأئمة لا يحتج بتفرده. و لكن قد روى من وجه آخر فقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا يحيى بن عبد اللّه بن بكر، حدثنى ابن لهيعة و حدثنا أبو زرعة، حدثنا صفوان، حدثنا الوليد، حدثنا عبد اللّه بن لهيعة، عن الحارث بن يزيد الحضرمى، عن على بن رباح اللخمى، قال: سمعت عتبة بن الندر الآثار و التاريخ، ص: ۹۳ السلمى، صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يحدث، أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: (إن موسى عليه السّلام آجر نفسه لعفة فرجه و طعمة بطنه). ثم قال تعالى: قالَ ذلِكَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوانَ عَلَيَّ وَ اللَّهُ عَلى ما نَقُولُ وَكِيلٌ (۲۸) يقول: إن موسى قال لصهره: الأمر على ما قلت، فأيهما قضيت فلا عدوان على، و اللّه على مقالتنا سامع و مشاهد، و وكيل على و عليك، و مع هذا فلم يقض موسى إلا أكمل الأجلين و أتمهما، و هو العشر سنين، كوامل تامة. قال البخارى: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا مروان ابن شجاع، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، قال: سألنى يهودى من أهل الحيرة، أى الأجلين قضى موسى؟ فقلت: لا أدرى، حتى أقدم على حبر العرب فأسأله، فقدمت فسألت ابن عباس، فقال: قضى أكثرهما و أطيبهما، إن رسول اللّه إذا قال فعل. تفرد به البخارى من هذا الوجه. و قد رواه النسائى فى حديث الفتون، كما سيأتى، من طريق القاسم بن أبى أيوب، عن سعيد بن جبير. و قد رواه ابن جرير عن أحمد بن محمد الطوسى. و ابن أبى حاتم عن أبيه كلاهما عن الحميدى، عن سفيان بن عيينة، حدثنى إبراهيم بن يحيى بن أبى يعقوب، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة عن ابن عباس، أن رسول اللّه صلّى اللّه

عليه و سلم قال: (سألت جبريل أى الأجلين قضى موسى؟ قال: أتمهما و أكملهما). و إبراهيم هذا غير معروف إلا بهذا الحديث. و قد رواه البزار عن أحمد بن أبان القرشى، عن سفيان بن عيينة، عن إبراهيم بن أعين، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم فذكره. و قد رواه سنيد عن حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مرسلا: (أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم سأل عن ذلك جبريل، فسأل جبريل إسرافيل، فسأل إسرافيل الرب عز و جل، فقال: أبرهما و أوفاهما). و بنحوه رواه ابن أبى حاتم من حديث يوسف بن سرح مرسلا، و رواه ابن جرير من طريق محمد بن كعب: أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم سئل أى الأجلين قضى موسى؟ قال: (أوفاهما و أتمهما). و قد رواه البزار و ابن أبى حاتم من حديث عويد بن أبى عمران الجونى، و هو ضعيف، عن أبيه، عن عبد اللّه بن الصامت، عن أبى ذر أن الآثار و التاريخ، ص: ۹۴ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم سئل أى الأجلين قضى موسى؟ قال: (أوفاهما و أبرهما). قال: و إن سئلت أى المرأتين تزوج؟ فقل: الصغرى منهما. و قد رواه البزار و ابن أبى حاتم من طريق عبد اللّه بن لهيعة، عن الحارث بن يزيد الحضرمى، عن على بن رباح، عن عتبة بن النذر أن رسول اللّه قال: (إن موسى آجر نفسه بعفة فرجه و طعام بطنه، فلما و فى الأجل)، قيل: يا رسول اللّه، أى الأجلين؟ قال: (أبرهما و أوفاهما)، فلما أراد فراق شعيب سأل امرأته أن تسأل أباها أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به، فأعطاها ما ولدت من غنمه من قالب لون من ولد ذلك العام، و كانت غنمه سودا حسانا، فانطلق موسى عليه السلام إلى عصا قسمها من طرفها، ثم وضعها فى أدنى الحوض، ثم أوردها فسقاها، و وقف موسى عليه السّلام بإزاء الحوض، فلم يصدر منها شاة إلا ضرب جنبها شاة شاة، قال: فأتأمت، و آنثت، و وضعت كلها قوالب ألوان، إلا شاة أو شاتين ليس فيها فشوش، و لا- ضبوب، و لا- عزوز، و لا- ثعول، و لا- كموش تفوت الكف)، قال النبى صلّى اللّه عليه و سلم: (لو اقتحمتم الشام وجدتم بقايا تلك الغنم). و هى السامرية. قال ابن لهيعة: الفشوش: واسعة السخب، و الضبوب: طويلة الضرع تجره، و العزوز: ضيقة السخب، و الثعول: الصغيرة الضرع كالحلمتين، و الكموش: التى لا يحكم الكف على ضرعها لصغره. و فى صحة رفع هذا الحديث نظر، و قد يكون موقوفا. كما قال ابن جرير: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبى، عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك، قال: (لما دعا نبى اللّه موسى عليه السّلام صاحبه إلى الأجل الذى كان بينهما، قال له صاحبه: كل شاة ولدت على لونها فلك ولدها، فعمد فوضع خيالا على الماء، فلما رأت الخيال فزعت، فجالت جولة، فولدن كلهن بلقا، إلا شاة واحدة، فذهب بأولادهن ذلك العام). و هذا إسناد رجاله ثقات و اللّه أعلم. و قد تقدم عن نقل أهل الكتاب عن يعقوب عليه السّلام حين فارق خاله لابان أنه أطلق له ما يولد من غنمه بلقا، ففعل نحو ما ذكر عن موسى عليه السّلام، فاللّه أعلم. و تسير بنا سورة القصص لتكمل القصص:* فَلَمَّا قَضى مُوسَى الْأَجَلَ وَ سارَ الآثار و التاريخ، ص: ۹۵ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً قالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ ناراً لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (۲۹) فَلَمَّا أَتاها نُودِىَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِى الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّى أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ (۳۰) وَ أَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ يا مُوسى أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (۳۱) اسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَ اضْمُمْ إِلَيْكَ جَناحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذانِكَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّكَ إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ (۳۲) .. تقدم أن موسى قضى أتم الأجلين و أكملهما، و قد يؤخذ هذا من قوله: فَلَمَّا قَضى مُوسَى الْأَجَلَ و عن مجاهد: أنه أكمل عشرا و عشرا بعدها، و قوله: وَ سارَ بِأَهْلِهِ أى من عند صهره ذاهبا، فيما ذكره غير واحد من المفسرين و غيرهم: أنه اشتاق إلى أهله، فقصد زيارتهم ببلاد مصر فى صورة مختف، فلما سار بأهله و معه ولدان منهم و غنم قد استفادها مدة مقامه، قالوا: و اتفق ذلك فى ليلة مظلمة باردة، و تاهوا فى طريقهم، فلم يهتدوا إلى السلوك فى الدرب المألوف، و جعل يورى زناده فلا يورى شيئا، و اشتد الظلام و البرد، فبينما هو كذلك إذ أبصر عن بعد نارا تأجج فى جانب الطور، و هو الجبل الغربى منه عن يمينه قالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ ناراً، و كأنه، و اللّه أعلم، رآها دونهم، لأن هذه النار هى نور فى الحقيقة، و لا يصلح رؤيتها لكل أحد لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أى لعلى أستعلم من عندها عن الطريق أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فدل على أنهم كانوا قد تاهوا عن الطريق فى ليلة باردة و مظلمة، لقوله فى الآية الأخرى: وَ هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسى (۹) إِذْ رَأى ناراً فَقالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ ناراً لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْها

بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً (۱۰)، فدل على وجود الظلام، و كونهم تاهوا عن الطريق، و جمع الكل فى سورة النمل فى قوله: إِذْ قالَ مُوسى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ ناراً سَآتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (۷)، و قد أتاهم منها بخبر و أى خبر، و وجد عندها هدى و أى هدى، الآثار و التاريخ، ص: ۹۶ و اقتبس منها نورا و أى نور. قال اللّه تعالى: فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ، و قال فى النمل: فَلَمَّا جاءَها نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَ مَنْ حَوْلَها وَ سُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۸) أى سبحان اللّه الذى يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد يا مُوسى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۹)، و قال فى سورة طه: إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً (۱۲) وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِما يُوحى (۱۳) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَ أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي (۱۴) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكادُ أُخْفِيها لِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعى (۱۵) فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْها مَنْ لا يُؤْمِنُ بِها وَ اتَّبَعَ هَواهُ فَتَرْدى (۱۶) ... قال غير واحد من المفسرين من السلف و الخلف: لما قصد موسى إلى تلك النار التى رآها فانتهى إليها، وجدها تأجج فى شجرة خضراء من العوسج، و كل ما لتلك النار فى اضطرام، و كل ما لخضرة تلك الشجرة فى ازدياد، فوقف متعجبا، و كانت تلك الشجرة فى لحف جبل غربى منه عن يمينه، كما قال تعالى: وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ وَ ما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (۴۴) و كان موسى فى واد اسمه طوى، فكان موسى مستقبل القبلة و تلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب، فناداه ربه بالواد المقدس طوى، فأمر أولا بخلع نعليه تعظيما و تكريما و توقيرا لتلك البقعة المباركة، و لا سيما فى تلك الليلة المباركة. و عند أهل الكتاب: أنه وضع يده على وجهه من شدة ذلك النور، مهابة له و خوفا على بصره، ثم خاطبه تعالى كما يشاء قائلا له: إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَ أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي أى أنا رب العالمين الذى لا إله إلا هو، الذى لا تصلح العبادة و إقامة الصلاة إلا له، ثم أخبره أن هذه الدنيا ليست بدار قرار، و إنما الدار الباقية يوم القيامة، التى لا بدّ من كونها و وجودها لِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعى أى من خير و شر، و حضه و حثه على العمل لها، و مجانبة من لا يؤمن بها ممن عصى مولاه و اتبع هواه، ثم قال له مخاطبا و مؤانسا و مبينا الآثار و التاريخ، ص: ۹۷ له أنه القادر على كل شىء الذى يقول للشىء كن فيكون: وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى (۱۷) أى أما هذه عصاك التى تعرفها منذ صحبتها؟ قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْها وَ أَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي وَ لِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرى (۱۸) أى بل هذه عصاى التى أعرفها و أتحققها قالَ أَلْقِها يا مُوسى (۱۹) فَأَلْقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى (۲۰) و هذا خارق عظيم و برهان قاطع على أن الذى يكلمه يقول للشىء كن فيكون، و أنه الفعال بالاختيار. و عند أهل الكتاب: أنه سأل برهانا على صدقه عند من يكذبه من أهل مصر، فقال له الرب عز و جل: ما هذه التى فى يدك؟ قال: عصاى، قال: ألقها إلى الأرض فَأَلْقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى فهرب موسى من قدامها، فأمره الرب عز و جل أن يبسط يده و يأخذها بذنبها، فلما استمكن منها ارتدت عصا فى يده، و قد قال اللّه تعالى فى الآية الأخرى: وَ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ أى قد صارت حية عظيمة لها ضخامة هائلة و أنياب تصك، و هى مع ذلك فى سرعة حركة الجان، و هو ضرب من الحيات، يقال: الجان و الجنان، و هو لطيف و لكن سريع الاضطراب و الحركة جدا، فهذه جمعت الضخامة و السرعة الشديدة، فلما عاينها موسى عليه السلام وَلَّى مُدْبِراً أى هاربا منها، لأن طبيعته البشرية تقتضى ذلك وَ لَمْ يُعَقِّبْ أى و لم يلتفت فناداه ربه، قائلا له: يا مُوسى أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ فلما رجع أمره اللّه تعالى أن يمسكها قالَ خُذْها وَ لا تَخَفْ سَنُعِيدُها سِيرَتَهَا الْأُولى (۲۱) فيقال: إنه هابها شديدا فوضع يده فى كم مدرعته، ثم وضع يده فى وسط فمها. و عند أهل الكتاب: أمسك بذنبها، فلما استمكن منها إذا هى قد عادت كما كانت عصا ذات شعبتين، فسبحان القدير العظيم رب المشرقين و المغربين، ثم أمره تعالى بإدخال يده فى جيبه ثم أمره بنزعها، فإذا هى تتلألأ كالقمر بياضا من غير سوء، أى من غير برص و لا بهق، و لهذا قال: اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَ اضْمُمْ إِلَيْكَ جَناحَكَ مِنَ الرَّهْبِ قيل: معناه إذا خفت فضع يدك على فؤادك يسكن جأشك، و هذا و إن كان خاصا به، إلا أن بركة الإيمان به حق بأن ينفع من استعمل الآثار و التاريخ، ص: ۹۸ ذلك على وجه الاقتداء بالأنبياء. و قال فى سورة النمل: وَ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آياتٍ إِلى فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ (۱۲) أى هاتان الآيتان، و هما العصا و اليد، و هما البرهانان

المشار إليهما فى قوله: فَذانِكَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّكَ إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ و مع ذلك سبع آيات أخر، فذلك تسع آيات بينات و هى المذكورة فى آخر سورة سبحان، حيث يقول تعالى: وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ فَسْئَلْ بَنِى إِسْرائِيلَ إِذْ جاءَهُمْ فَقالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يا مُوسى مَسْحُوراً (۱۰۱) قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ بَصائِرَ وَ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً (۱۰۲)، و هى المبسوطة فى سورة الأعراف فى قوله: وَ لَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (۱۳۰) فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قالُوا لَنا هذِهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَ مَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۱۳۱) وَ قالُوا مَهْما تَأْتِنا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنا بِها فَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (۱۳۲) فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَ الْجَرادَ وَ الْقُمَّلَ وَ الضَّفادِعَ وَ الدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ (۱۳۳)، كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه، و هذه التسع آيات غير العشر الكلمات، فإن التسع من كلمات اللّه القدرية، و العشر من كلماته الشرعية، و إنما نبهنا على هذا لأنه قد اشتبه أمرها على بعض الرواة، فظن أن هذه هى هذه. و المقصود: أن اللّه سبحانه لما أمر موسى عليه السّلام بالذهاب إلى فرعون قالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (۳۳) وَ أَخِى هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِى رِدْءاً يُصَدِّقُنِى إِنِّى أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (۳۴) قالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما بِآياتِنا أَنْتُما وَ مَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغالِبُونَ (۳۵)، (القصص). يقول تعالى مخبرا عن عبده و رسوله و كليمه موسى عليه السّلام، فى جوابه الآثار و التاريخ، ص: ۹۹ لربه عز و جل، حين أمره بالذهاب إلى عدوه الذى خرج من ديار مصر فرارا من سطوته و ظلمه، حين كان من أمره ما كان فى قتل ذلك القبطى، و لهذا قالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (۳۳) وَ أَخِى هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِى رِدْءاً يُصَدِّقُنِى إِنِّى أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ أى اجعله معى معينا و ردءا و وزيرا يساعدنى و يعيننى على أداء رسالتك إليهم، فإنه أفصح منى لسانا، و أبلغ بيانا، قال اللّه تعالى مجيبا له إلى سؤاله: سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً أى برهانا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما أى فلا ينالون منكما مكروها بسبب قيامكما، بآياتنا، و قيل: ببركة آياتنا أَنْتُما وَ مَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغالِبُونَ. و قال فى سورة طه: اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى (۲۴) قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى (۲۵)، قيل: إنه أصابه فى لسانه لثغة، بسبب تلك الجمرة التى وضعها على لسانه التى كان فرعون أراد اختبار عقله، حين أخذ بلحيته و هو صغير فهم بقتله، فخافت عليه آسية و قالت: إنه طفل، فاختبره بوضع تمرة و جمرة بين يديه، فهم بأخذ التمرة فصرف الملك يده إلى الجمرة، فأخذها فوضعها على لسانه، فأصابه لثغة بسببها، فسأل زوال بعضها بمقدار ما يفهمون قوله، و لم يسأل زوالها بالكلية. قال الحسن البصرى: و الرسل إنما يسألون بحسب الحاجة، و لهذا بقيت فى لسانه بقية، و لهذا قال فرعون قبحه اللّه فيما زعم إنه يعيب به الكليم: وَ لا يَكادُ يُبِينُ أى يفصح عن مراده، و يعبر عما فى ضميره و فؤاده، ثم قال موسى عليه السلام: وَ اجْعَلْ لِى وَزِيراً مِنْ أَهْلِى (۲۹) هارُونَ أَخِى (۳۰) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِى (۳۱) وَ أَشْرِكْهُ فِى أَمْرِى (۳۲) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً (۳۳) وَ نَذْكُرَكَ كَثِيراً (۳۴) إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً (۳۵) قالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى (۳۶)، (طه). أى قد أجبناك إلى جميع ما سألت، و أعطيناك الذى طلبت، و هذا من وجاهته عند ربه عز و جل حين شفع أن يوحى اللّه إلى أخيه فأوحى إليه، و هذا جاه عظيم، قال اللّه تعالى: وَ كانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً، و قال تعالى: وَ وَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أَخاهُ هارُونَ نَبِيًّا (۵۳)، و قد سمعت أم المؤمنين عائشة رجلا يقول لأناس و هم الآثار و التاريخ، ص: ۱۰۰ سائرون طريق الحج: أى أخ أمن على أخيه؟ فسكت القوم، فقالت عائشة: لمن حول هودجها هو موسى بن عمران، حين شفع فى أخيه هارون. فأوحى إليه قال اللّه تعالى: وَ وَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أَخاهُ هارُونَ نَبِيًّا (۵۳). قال تعالى فى سورة الشعراء: وَ إِذْ نادى رَبُّكَ مُوسى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۱۰) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَ لا يَتَّقُونَ (۱۱) قالَ رَبِّ إِنِّى أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (۱۲) وَ يَضِيقُ صَدْرِى وَ لا يَنْطَلِقُ لِسانِى فَأَرْسِلْ إِلى هارُونَ (۱۳) وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (۱۴) قالَ كَلَّا فَاذْهَبا بِآياتِنا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (۱۵) فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ (۱۶) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِى إِسْرائِيلَ (۱۷) قالَ أَ لَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً وَ لَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (۱۸) وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ وَ أَنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ (۱۹) ... تقدير الكلام: فأتياه، فقالا له ذلك، و بلغاه ما أرسلا به من دعوته إلى عبادة اللّه تعالى وحده لا شريك له، و أن يفك أسارى بنى إسرائيل من قبضته و قهره و سطوته، و تركهم يعبدون ربهم حيث شاءوا، و يتفرغون

لتوحيده و دعائه و التضرع لديه، فتكبر فرعون فى نفسه، و عتا و طغى، و نظر إلى موسى بعين الازدراء و التنقص، قائلا له: أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً وَ لَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ أى أما أنت الذى ربيناه فى منزلنا، و أحسنا إليه و أنعمنا عليه مدة من الدهر، و هذا يدل على أن فرعون الذى بعث إليه هو الذى فر منه، خلافا لما عند أهل الكتاب من أن فرعون الذى فر منه مات فى مدة مقامه بمدين، و أن الذى بعث إليه فرعون آخر. و قوله: وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَ أَنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ أى و قتلت الرجل القبطى، و فررت منا، و جحدت نعمتنا قالَ فَعَلْتُها إِذاً وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (۲۰) أى قبل أن يوحى إلى و ينزل على فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (۲۱) ثم قال مجيبا لفرعون عما امتن به من التربية و الإحسان إليه: وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ (۲۲) أى و هذه النعمة التى ذكرت من أنك أحسنت إلى و أنا رجل واحد من بنى إسرائيل، تقابل ما استخدمت هذا الشعب العظيم بكماله و استعبدتهم فى أعمالك، و خدمك، و أشغالك قالَ فِرْعَوْنُ وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ الآثار و التاريخ، ص: ۱۰۱ (۲۳) قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (۲۴) قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَ لا تَسْتَمِعُونَ (۲۵) قالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (۲۶) قالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (۲۷) قالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ ما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (۲۸). يذكر تعالى ما كان بين فرعون و موسى من المقاولة، و المحاجة، و المناظرة، و ما أقامه الكليم على فرعون اللئيم من الحجة العقلية المعنوية ثم الحسية، و ذلك أن فرعون، قبحه اللّه، أظهر جحد الصانع تبارك و تعالى، و زعم أنه الإله: فَحَشَرَ فَنادى (۲۳) فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى (۲۴) و قال: يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي و هو فى هذه المقالة معاند، يعلم أنه عبد مربوب، و أن اللّه هو الخالق البارئ المصور الإله الحق، كما قال تعالى: وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (۱۴) و لهذا قال لموسى عليه السلام على سبيل الإنكار لرسالته و الاظهار أنه ما ثم رب أرسله: وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ لأنهما قالا له: إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ فكأنه يقول لهما: و من رب العالمين الذى تزعمان أنه أرسلكما و ابتعثكما؟ فأجابه موسى قائلا: رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (۲۴) يعنى رب العالمين، خالق هذه السماوات و الأرض المشاهدة، و ما بينهما من المخلوقات المتجددة، من السحاب و الرياح، و المطر و النبات، و الحيوانات التى يسلم كل موقن أنها لم تحدث بأنفسها، و لا بد لها من موجد و محدث و خالق، و هو اللّه الذى لا إله إلا هو رب العالمين قالَ أى فرعون، لِمَنْ حَوْلَهُ من أمرائه، و مرازبته، و وزرائه على سبيل التهكم و التنقص لما قرره موسى عليه السلام: أَ لا تَسْتَمِعُونَ يعنى كلامه هذا. قالَ موسى مخاطبا له و لهم: قالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (۲۶) أى هو الذى خلقكم و الذين من قبلكم من الآباء و الأجداد، و القرون السالفة فى الآباد، فإن كل أحد يعلم أنه لم يخلق نفسه و لا أبوه و لا أمه، و لم يحدث من غير محدث، و إنما أوجده و خلقه رب العالمين، و هذان المقامان هما المذكوران فى قوله تعالى: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ و مع هذا كله لم يستفق فرعون من رقدته، و لا نزع عن ضلالته، بل استمر على طغيانه و عناده و كفرانه الآثار و التاريخ، ص: ۱۰۲ قالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (۲۷) قالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ ما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (۲۸) أى هو المسخر لهذه الكواكب الزاهرة المسير للأفلاك الدائرة، خالق الظلام و الضياء، و رب الأرض و السماء، رب الأولين و الآخرين، خالق الشمس و القمر و الكواكب السائرة، و الثوابت الحائرة، خالق الليل بظلامه، و النهار بضيائه، و الكل تحت قهره و تسخيره و تسييره سائرون، و فى فلك يسبحون يتعاقبون فى سائر الأوقات و يدورون، فهو تعالى الخالق المالك المتصرف فى خلقه بما يشاء، فلما قامت الحجج على فرعون و انقطعت شبهه، و لم يبق له قول سوى العناد، عدل إلى استعمال سلطانه و جاهه و سطوته قالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (۲۹) قالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (۳۰) قالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۳۱) فَأَلْقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ (۳۲) وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنَّاظِرِينَ (۳۳)، و هذان هما البرهانان اللذان أيده اللّه بهما، و هما العصا و اليد، و ذلك مقام أظهر فيه الخارق العظيم، الذى بهر به العقول و الأبصار، حين ألقى عصاه فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ أى عظيم الشكل بديع فى الضخامة و الهول و المنظر العظيم الفظيع الباهر، حتى قيل: إن فرعون لما شاهد ذلك و عاينه أخذه رهب شديد و خوف عظيم بحيث إنه حصل له إسهال عظيم أكثر من أربعين مرة فى يوم، و كان قبل ذلك لا يتبرز فى كل أربعين يوما إلا مرة واحدة، فانعكس عليه الحال، و

هكذا لما أدخل موسى عليه السلام يده فى جيبه و استخرجها أخرجها و هى كفلقة القمر تتلألأ نورا بهر الأبصار، فإذا أعادها إلى جيبه رجعت إلى صفتها الأولى، و مع هذا كله لم ينتفع فرعون، لعنه اللّه، بشىء من ذلك بل استمر على ما هو عليه، و أظهر أن هذا كله سحر، و أراد معارضته بالسحرة، فأرسل يجمعهم من سائر مملكته و من فى رعيته و تحت قهره و دولته، كما سيأتى بسطه و بيانه فى موضعه من إظهار اللّه الحق المبين و الحجة الباهرة القاطعة على فرعون و ملائه و أهل دولته و ملته، و للّه الحمد و المنة. و قال تعالى فى سورة طه: إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْناكَ إِلى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَ لا تَحْزَنَ وَ قَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْناكَ مِنَ الْغَمِّ وَ فَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلى قَدَرٍ يا مُوسى (۴۰) وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (۴۱) اذْهَبْ الآثار و التاريخ، ص: ۱۰۳ أَنْتَ وَ أَخُوكَ بِآياتِي وَ لا تَنِيا فِي ذِكْرِي (۴۲) اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى (۴۳) فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى (۴۴) قالا رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أَوْ أَنْ يَطْغى (۴۵) قالَ لا تَخافا إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَ أَرى (۴۶)، يقول تعالى مخاطبا لموسى فيما كلمه به ليلة أوحى إليه و أنعم بالنبوة عليه و كلمه منه إليه: قد كنت مشاهدا لك و أنت فى دار فرعون، و أنت تحت كنفى و حفظى و لطفى، ثم أخرجتك من أرض مصر إلى أرض مدين بمشيئتى و قدرتى و تدبيرى، فلبثت فيها سنين ثُمَّ جِئْتَ عَلى قَدَرٍ أى منى لذلك فوافق ذلك تقديرى و تسييرى وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي أى اصطفيتك لنفسى برسالتى و بكلامى اذْهَبْ أَنْتَ وَ أَخُوكَ بِآياتِي وَ لا تَنِيا فِي ذِكْرِي يعنى و لا- تفترا فى ذكرى، إذ قدمتما عليه، و وفدتما إليه، فإن ذلك عون لكما على مخاطبته و مجاوبته، و إهداء النصيحة إليه، و إقامة الحجة عليه، و قد جاء فى بعض الأحاديث: (يقول اللّه تعالى: إن عبدى كل عبدى الذى يذكرنى و هو ملاق قرنه). و قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً الآية، ثم قال تعالى: اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى (۴۳) فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى و هذا من حلمه تعالى و كرمه و رأفته و رحمته بخلقه، مع علمه بكفر فرعون و عتوه و تجبره، و هو إذ ذاك أردى خلقه، و قد بعث إليه صفوته من خلقه فى ذلك الزمان، و مع هذا يقول لهما و يأمرهما أن يدعواه إليه بالتى هى أحسن برفق و لين، و يعاملاه معاملة من يرجو أن يتذكر أو يخشى، كما قال لرسوله: ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (۱۲۵)، و قال تعالى:* وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ الآية. قال الحسن البصرى: فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً أعذرا إليه قولا له: إن لك ربا و لك معادا، و إن بين يديك جنة و نارا. و قال وهب بن منبه: قولا له: إنى إلى العفو و المغفرة أقرب منى إلى الغضب و العقوبة. قال يزيد الرقاشى عند هذه الآية: يا من يتحبب إلى من يعاديه، فكيف بمن يتولاه و يناديه قالا رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أَوْ أَنْ الآثار و التاريخ، ص: ۱۰۴ يَطْغى و ذلك أن فرعون كان جبارا عنيدا و شيطانا مريدا له سلطان فى بلاد مصر طويل عريض، و جاه و جنود و عساكر و سطوة، فهاباه من حيث البشرية، و خافا أن يسطو عليهما فى بادئ الأمر، فثبتهما تعالى و هو العلى الأعلى، فقال: قال لا تَخافا إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَ أَرى، كما قال فى الآية الأخرى: إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ، فَأْتِياهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ وَ لا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْناكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَ السَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى (۴۷) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنا أَنَّ الْعَذابَ عَلى مَنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (۴۸)، يذكر تعالى أنه أمرهما أن يذهبا إلى فرعون، فيدعواه إلى اللّه تعالى، أن يعبده وحده لا شريك له، و أن يرسل معهم بنى إسرائيل، و يطلقهم من أسره و قهره، و لا يعذبهم قَدْ جِئْناكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ و هو البرهان العظيم فى العصى و اليد وَ السَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى تقيد مفيد بليغ عظيم، ثم تهدداه و توعداه على التكذيب فقالا: إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنا أَنَّ الْعَذابَ عَلى مَنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى أى كذب بالحق بقلبه و تولى عن العمل بقالبه. و قد ذكر السدى: و غيره أنه لما قدم من بلاد مدين دخل على أمه و أخيه هارون و هما يتعشيان من طعام فيه الطفشيل، و هو اللفت، فأكل معهما ثم قال: يا هارون، إن اللّه أمرنى و أمرك أن ندعو فرعون إلى عبادته فقم معى، فقاما يقصدان باب فرعون، فإذا هو مغلق، فقال موسى للبوابين و الحجبة: أعلموه أن رسول اللّه بالباب فجعلوا يسخرون منه و يستهزءون به. و قد زعم بعضهم أنه لم يؤذن لهما عليه إلا- بعد حين طويل. و قال محمد بن إسحاق: أذن لهما بعد سنتين، لأنه لم يكن أحد يتجاسر على الاستئذان لهما، فاللّه أعلم. و يقال: إن موسى تقدم إلى الباب فطرقه بعصاه، فانزعج فرعون و أمر بإحضارهما فوقفا بين يديه فدعواه

إلى اللّه عز و جل كما أمرهما. و عند أهل الكتاب: أن اللّه قال لموسى عليه السلام: إن هارون اللاوى، يعنى من نسل لاوى بن يعقوب، سيخرج و يتلقاك، و أمره أن يأخذ معه مشايخ بنى إسرائيل إلى الآثار و التاريخ، ص: ۱۰۵ فرعون، و أمره أن يظهر ما أتاه من الآيات، و قال له: إنى سأقسى قلبه فلا يرسل الشعب، و أكثر آياتى و أعاجيبى بأرض مصر، و أوحى اللّه إلى هارون أن يخرج إلى أخيه يتلقاه بالبرية عند جبل حوريب، فلما تلقاه أخبره موسى بما أمره به ربه، فلما دخلا مصر جمعا شيوخ بنى إسرائيل، و ذهبا إلى فرعون، فلما بلغاه رسالة اللّه، قال: من هو اللّه، لا أعرفه؟ و لا أرسل بنى إسرائيل، و قال اللّه مخبرا عن فرعون: قالَ فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى (۴۹) قالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى (۵۰) قالَ فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولى (۵۱) قالَ عِلْمُها عِنْدَ رَبِّى فِى كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبِّى وَ لا يَنْسى (۵۲) الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَ سَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلًا وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْ نَباتٍ شَتَّى (۵۳) كُلُوا وَ ارْعَوْا أَنْعامَكُمْ إِنَّ فِى ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِى النُّهى (۵۴) مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى (۵۵)، (طه). يقول تعالى مخبرا عن فرعون إنه أنكر إثبات الصانع تعالى قائلا: فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى (۴۹) قالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى أى هو الذى خلق الخلق و قدر لهم أعمالا و أرزاقا و آجالا، و كتب ذلك عنده فى كتابه اللوح المحفوظ، ثم هدى كل مخلوق إلى ما قدره له، فطابق عمله فيهم على الوجه الذى قدره، و علمه لكمال علمه و قدرته و قدره، و هذه الآية كقوله تعالى فى سورة الأعلى: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (۱) الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى (۲) وَ الَّذِى قَدَّرَ فَهَدى (۳)، أى قدر قدرا و هدى الخلائق إليه قالَ فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولى يقول فرعون لموسى: فإذا كان ربك هو الخالق المقدر الهادى الخلائق لما قدره، و هو بهذه المثابة من أنه لا يستحق العبادة سواه، فلم عبد الأولون غيره و أشركوا به من الكواكب و الأنداد ما قد علمت، فهلا اهتدى إلى ما ذكرته القرون الأولى؟ قالَ عِلْمُها عِنْدَ رَبِّى فِى كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبِّى وَ لا يَنْسى أى هم و إن عبدوا غيره فليس ذلك بحجة لك، و لا يدل على خلاف ما أقول، لأنهم جهلة مثلك كل شىء فعلوه مسطر عليهم فى الزبر من صغير و كبير، و سيجزيهم على ذلك ربى عز و جل، و لا يظلم أحدا مثقال ذرة، لأن جميع أفعال العباد مكتوبة عنده فى كتاب لا يضل عنه الآثار و التاريخ، ص: ۱۰۶ شىء و لا ينسى ربى شيئا، ثم ذكر له عظمة الرب و قدرته على خلق الأشياء و جعله الأرض مهادا، و السماء سقفا محفوظا، و تسخيره السحاب و الأمطار لرزق العباد و دوابهم و أنعامهم، كما قال: كُلُوا وَ ارْعَوْا أَنْعامَكُمْ إِنَّ فِى ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِى النُّهى أى لذوى العقول الصحيحة المستقيمة و الفطر القويمة غير السقيمة، فهو تعالى الخالق الرزاق، و كما قال تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (۲۱) الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً وَ السَّماءَ بِناءً وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۲۲)، (البقرة). و لما ذكر إحياء الأرض بالمطر و اهتزازها بإخراج نباتها فيه، نبه به على المعاد فقال: مِنْها أى من الأرض خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى كما قال تعالى: كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ. و قال تعالى: وَ هُوَ الَّذِى يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۲۷)، ثم قال تعالى: وَ لَقَدْ أَرَيْناهُ آياتِنا كُلَّها فَكَذَّبَ وَ أَبى (۵۶) قالَ أَ جِئْتَنا لِتُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنا بِسِحْرِكَ يا مُوسى (۵۷) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنا وَ بَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لا أَنْتَ مَكاناً سُوىً (۵۸) قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (۵۹). يخبر تعالى عن شقاء فرعون، و كثرة جهله، و قلة عقله، فى تكذيبه بآيات اللّه، و استكباره عن اتباعها و قوله لموسى: إن هذا الذى جئت به سحر، و نحن نعارضك بمثله، ثم طلب من موسى أن يواعده إلى وقت معلوم، و مكان معلوم، و كان هذا من أكبر مقاصد موسى عليه السلام، أن يظهر آيات اللّه و حججه و براهينه جهرة بحضرة الناس، و لهذا قال: مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ و كان يوم عيد من أعيادهم و مجتمع لهم وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى أى من أول النهار فى وقت اشتداد ضياء الشمس، فيكون الحق أظهر و أجلى، و لم يطلب أن يكون ذلك ليلا فى ظلام كيما يروج عليهم محالا و باطلا، بل طلب أن يكون نهارا جهرة، لأنه على بصيرة من ربه، و يقين أن اللّه سيظهر كلمته و دينه، و إن رغمت أنوف القبط. الآثار و التاريخ، ص: ۱۰۷ قال اللّه تعالى: فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتى (۶۰) قالَ لَهُمْ مُوسى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ وَ قَدْ خابَ مَنِ افْتَرى (۶۱) فَتَنازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَ أَسَرُّوا النَّجْوى (۶۲) قالُوا إِنْ هذانِ لَساحِرانِ يُرِيدانِ أَنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما وَ يَذْهَبا

بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلى (۶۳) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَ قَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلى (۶۴)، (طه). يخبر تعالى عن فرعون أنه ذهب فجمع من كان ببلاده من السحرة، و كانت بلاد مصر فى ذلك الزمان مملوءة سحرة فضلاء فى فنهم غاية، فجمعوا له من كل بلد و من كل مكان، فاجتمع منهم خلق كثير و جم غفير، فقيل: كانوا ثمانين ألفا، قاله محمد بن كعب. و قيل: سبعين ألفا، قاله القاسم بن أبى بردة. و قال السدى: بضعة و ثلاثين ألفا. و عن أبى أمامة: تسعة عشر ألفا. و قال محمد بن إسحاق: خمسة عشر ألفا. و قال كعب الأحبار: كانوا اثنى عشر ألفا. و روى ابن أبى حاتم عن ابن عباس: كانوا سبعين رجلا، و روى عنه أيضا: أنهم كانوا أربعين غلاما من بنى إسرائيل، أمرهم فرعون أن يذهبوا إلى العرفاء فيتعلموا السحر، و لهذا قالوا: وَ ما أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ، و فى هذا نظر. و حضر فرعون و أمراؤه و أهل دولته و أهل بلده عن بكرة أبيهم، و ذلك أن فرعون نادى فيهم أن يحضروا هذا الموقف العظيم، فخرجوا و هم يقولون: لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كانُوا هُمُ الْغالِبِينَ (۴۰) و تقدم موسى عليه السلام إلى السحرة فوعظهم و زجرهم عن تعاطى السحر الباطل الذى فيه معارضة لآيات اللّه و حججه، فقال: وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ وَ قَدْ خابَ مَنِ افْتَرى (۶۱) فَتَنازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَ أَسَرُّوا النَّجْوى (۶۲) قيل: معناه أنهم اختلفوا فيما بينهم، فقائل يقول: هذا كلام نبى و ليس بساحر، و قائل منهم يقول: بل هو ساحر، فاللّه أعلم، و أسروا التناجى بهذا و غيره: قالُوا إِنْ هذانِ لَساحِرانِ يُرِيدانِ أَنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما يقولون: إن هذا و أخاه هارون ساحران عليمان مطبقان متقنان لهذه الصناعة، و مرادهما أن يجتمع الناس عليهما و يصولا على الملك و حاشيته و يستأصلاكم عن آخركم و يستأمرا عليكم الآثار و التاريخ، ص: ۱۰۸ بهذه الصناعة فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَ قَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلى (۶۴) و إنما قالوا الكلام الأول ليتدبروا و يتواصوا و يأتوا بجميع ما عندهم من المكيدة و المكر و الخديعة، و السحر و البهتان، و هيهات كذبت و اللّه الظنون، و أخطأت الآراء أنى يعارض البهتان و السحر و الهذيان، خوارق العادات التى أجراها الديان على يدى عبده الكليم و رسوله الكريم المؤيد بالبرهان الذى يبهر الأبصار و تحار فيه العقول و الأذهان، و قولهم: فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ أى جميع ما عندكم ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا أى جملة واحدة، ثم حضوا بعضهم بعضا على التقدم فى هذا المقام، لأن فرعون كان قد وعدهم و مناهم و ما يعدهم الشيطان إلا غرورا قالُوا يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقى (۶۵) قالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذا حِبالُهُمْ وَ عِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى (۶۶) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى (۶۷) قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى (۶۸) وَ أَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ وَ لا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتى (۶۹)، (طه). لما اصطفّ السحرة و وقف موسى و هارون عليهما السلام تجاههم قالوا له: إما أن تلقى قبلنا، و إما أن نلقى قبلك قالَ بَلْ أَلْقُوا أنتم و كانوا قد عمدوا إلى حبال و عصى، فأودعوها الزئبق، و غيره من الآلات، التى تضطرب بسببها تلك الحبال و العصى، اضطرابا يخيل للرائى أنها تسعى باختيارها، و إنما تتحرك بسبب ذلك، فعند ذلك سحروا أعين الناس، و استرهبوهم و ألقوا حبالهم و عصيهم، و هم يقولون: بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغالِبُونَ قال اللّه تعالى: فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَ اسْتَرْهَبُوهُمْ وَ جاؤُ بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (۱۱۶)، و قال تعالى: فَإِذا حِبالُهُمْ وَ عِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى (۶۶) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى (۶۷) أى خاف على الناس أن يفتتنوا بسحرهم، و محا لهم قبل أن يلقى ما فى يده، فإنه لا يضع شيئا قبل أن يؤمر فأوحى اللّه إليه فى الساعة الراهنة قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى (۶۸) وَ أَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ وَ لا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتى (۶۹) فعند ذلك ألقى موسى عصاه، و قال: فَلَمَّا أَلْقَوْا قالَ مُوسى ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَ الآثار و التاريخ، ص: ۱۰۹ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (۸۱) وَ يُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (۸۲)، و قال تعالى: وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ (۱۱۷) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَ بَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۱۸) فَغُلِبُوا هُنالِكَ وَ انْقَلَبُوا صاغِرِينَ (۱۱۹) وَ أُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ (۱۲۰) قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ (۱۲۱) رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ (۱۲۲)، (الأعراف)، و ذلك أن موسى عليه السلام لما ألقاها صارت حية عظيمة ذات قوائم، فيما ذكره غير واحد من علماء السلف، و عنق عظيم، و شكل هائل مزعج، بحيث أن الناس انحازوا منها و هربوا سراعا و تأخروا عن مكانها، و أقبلت هى على ما ألقوه من الحبال و العصى فجعلت تلقفه واحدا واحدا فى أسرع ما يكون من الحركة، و الناس ينظرون إليها و يتعجبون منها، و أما السحرة فإنهم رأوا ما

هالهم و حيرهم فى أمرهم، و اطلعوا على أمر لم يكن فى خلدهم و لا بالهم، و لا يدخل تحت صناعاتهم و أشغالهم، فعند ذلك و هنالك تحققوا بما عندهم من العلم أن هذا ليس بسحر، و لا شعوذة، و لا محال، و لا خيال، و لا زور، و لا بهتان، و لا ضلال، بل حق لا يقدر عليه إلا الحق الذى ابتعث هذا المؤيد به بالحق، و كشف اللّه عن قلوبهم غشاوة الغفلة، و أنارها بما خلق فيها من الهدى، و أزاح عنها القسوة، و أنابوا إلى ربهم و خروا له ساجدين، و قالوا جهرة للحاضرين و لم يخشوا عقوبة و لا بلوى: آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ (۱۲۱) رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ (۱۲۲)، كما قال تعالى فى سورة طه: فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسى (۷۰) قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَ لَتَعْلَمُنَّ أَيُّنا أَشَدُّ عَذاباً وَ أَبْقى (۷۱) قالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلى ما جاءَنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَ الَّذِي فَطَرَنا فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ إِنَّما تَقْضِي هذِهِ الْحَياةَ الدُّنْيا (۷۲) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنا لِيَغْفِرَ لَنا خَطايانا وَ ما أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَ اللَّهُ خَيْرٌ وَ أَبْقى (۷۳) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى (۷۴) وَ مَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحاتِ فَأُولئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ الْعُلى (۷۵) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ ذلِكَ جَزاءُ مَنْ تَزَكَّى (۷۶). الآثار و التاريخ، ص: ۱۱۰ قال سعيد بن جبير و عكرمة و القاسم بن أبى بردة و الأوزاعى و غيرهم: لما سجد السحرة رأوا منازلهم و قصورهم فى الجنة تهيأ لهم، و تزخرف لقدومهم، و لهذا لم يلتفتوا إلى تهويل فرعون و تهديده و وعيده. و ذلك لأن فرعون لما رأى هؤلاء السحرة قد أسلموا، و أشهروا إسلامهم ذكروا موسى و هارون فى الناس على هذه الصفة الجميلة، أفزعه ذلك و رأى أمرا أبهره و أعمى بصيرته و بصره، و كان فيه كيد و مكر و خداع و صنعة بليغة فى الصد عن سبيل اللّه، فقال مخاطبا للسحرة بحضرة الناس: آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ أى هلا شاورتمونى فيما صنعتم من الأمر الفظيع بحضرة رعيتى، ثم تهدد و توعد و أبرق و ارعد و كذب فأبعد قائلا: إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ، و قال فى الآية الأخرى: إِنَّ هذا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْها أَهْلَها فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (۱۲۳) و هذا الذى قاله من البهتان يعلم كل فرد عاقل ما فيه من الكفر و الكذب و الهذيان، بل لا يروج مثله على الصبيان، فإن الناس كلهم من أهل دولته و غيرهم يعلمون أن موسى لم يره هؤلاء يوما من الدهر، فكيف يكون كبيرهم الذى علمهم السحر؟ ثم هو لم يجمعهم و لا علم باجتماعهم، حتى كان فرعون هو الذى استدعاهم و اجتباهم من كل فج عميق، و واد سحيق، و من حواضر بلاد مصر، و الأطراف و من المدن و الأرياف. قال اللّه تعالى فى سورة الأعراف: ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى بِآياتِنا إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَظَلَمُوا بِها فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (۱۰۳) وَ قالَ مُوسى يا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (۱۰۴) حَقِيقٌ عَلى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائِيلَ (۱۰۵) قالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِها إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۱۰۶) فَأَلْقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ (۱۰۷) وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنَّاظِرِينَ (۱۰۸) قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ (۱۰۹) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَما ذا تَأْمُرُونَ (۱۱۰) قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ أَرْسِلْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ (۱۱۱) يَأْتُوكَ بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ (۱۱۲) وَ جاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ (۱۱۳) قالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (۱۱۴) قالُوا يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (۱۱۵) الآثار و التاريخ، ص: ۱۱۱ قالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَ اسْتَرْهَبُوهُمْ وَ جاؤُ بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (۱۱۶) وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ (۱۱۷) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَ بَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۱۸) فَغُلِبُوا هُنالِكَ وَ انْقَلَبُوا صاغِرِينَ (۱۱۹) وَ أُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ (۱۲۰) قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ (۱۲۱) رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ (۱۲۲) قالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هذا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْها أَهْلَها فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (۱۲۳) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (۱۲۴) قالُوا إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ (۱۲۵) وَ ما تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآياتِ رَبِّنا لَمَّا جاءَتْنا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَ تَوَفَّنا مُسْلِمِينَ (۱۲۶). و قال تعالى فى سورة يونس: ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى وَ هارُونَ إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ بِآياتِنا فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ (۷۵) فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا إِنَّ هذا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (۷۶) قالَ مُوسى أَ تَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَكُمْ أَ سِحْرٌ هذا وَ لا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (۷۷) قالُوا أَ جِئْتَنا لِتَلْفِتَنا عَمَّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا وَ تَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِياءُ فِي الْأَرْضِ وَ ما نَحْنُ لَكُما بِمُؤْمِنِينَ (۷۸) وَ قالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ (۷۹) فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ قالَ

لَهُمْ مُوسى أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ (۸۰) فَلَمَّا أَلْقَوْا قالَ مُوسى ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (۸۱) وَ يُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (۸۲). و قال تعالى فى سورة الشعراء: قالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (۲۹) قالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (۳۰) قالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۳۱) فَأَلْقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ (۳۲) وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنَّاظِرِينَ (۳۳) قالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ (۳۴) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَما ذا تَأْمُرُونَ (۳۵) قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ ابْعَثْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ (۳۶) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (۳۷) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (۳۸) وَ قِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (۳۹) لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كانُوا هُمُ الْغالِبِينَ (۴۰) فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفِرْعَوْنَ أَ إِنَّ لَنا الآثار و التاريخ، ص: ۱۱۲ لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ (۴۱) قالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (۴۲) قالَ لَهُمْ مُوسى أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ (۴۳) فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ وَ عِصِيَّهُمْ وَ قالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغالِبُونَ (۴۴) فَأَلْقى مُوسى عَصاهُ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ (۴۵) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ (۴۶) قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ (۴۷) رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ (۴۸) قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (۴۹) قالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ (۵۰) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (۵۱). و المقصود: أن فرعون كذب و افترى، و كفر غاية الكفر فى قوله: إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ و أتى ببهتان يعلمه العالمون، بل العالمون فى قوله: إِنَّ هذا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْها أَهْلَها فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ، و قوله: لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ يعنى يقطع اليد اليمنى و الرجل اليسرى، و عكسه وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ أى ليجعلهم مثلة و نكالا، لئلا يقتدى بهم أحد من رعيته، و أهل ملته، و لهذا قال: وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ أى على جذوع النخل، لأنها أعلى و أشهر وَ لَتَعْلَمُنَّ أَيُّنا أَشَدُّ عَذاباً وَ أَبْقى يعنى فى الدنيا قالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلى ما جاءَنا مِنَ الْبَيِّناتِ أى لن نطيعك و نترك ما وقر فى قلوبنا من البينات و الدلائل القاطعات وَ الَّذِي فَطَرَنا قيل: معطوف: و قيل: قسم فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ أى فافعل ما قدرت عليه إِنَّما تَقْضِي هذِهِ الْحَياةَ الدُّنْيا أى إنما حكمك علينا فى هذه الحياة الدنيا، فإذا انتقلنا منها إلى الدار الآخرة، صرنا إلى حكم الذى أسلمنا له و اتبعنا رسله إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنا لِيَغْفِرَ لَنا خَطايانا وَ ما أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَ اللَّهُ خَيْرٌ وَ أَبْقى (۷۳) أى و ثوابه خير مما وعدتنا به من التقريب و الترغيب وَ أَبْقى أى و أدوم من هذه الدار الفانية، و فى الآية الأخرى: قالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ (۵۰) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا أى ما اجترمناه من المآثم و المحارم أَنْ كُنَّا الآثار و التاريخ، ص: ۱۱۳ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ أى من القبط بموسى و هارون عليهما السلام، و قالوا له أيضا: وَ ما تَنْقِمُ مِنَّا إِلاّ أَنْ آمَنَّا بِآياتِ رَبِّنا لَمَّا جاءَتْنا أى ليس لنا عندك ذنب إلا إيماننا بما جاءنا به رسولنا، و اتباعنا آيات ربنا لما جاءتنا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً أى ثبتنا على ما ابتلينا به من عقوبة هذا الجبار العنيد و السلطان الشديد، بل الشيطان المريد وَ تَوَفَّنا مُسْلِمِينَ و قالوا أيضا يعظونه و يخوفونه بأس ربه العظيم: إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى (۷۴) يقولون له: فإياك أن تكون منهم، فكان منهم وَ مَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحاتِ فَأُولئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ الْعُلى (۷۵) أى المنازل العالية جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ ذلِكَ جَزاءُ مَنْ تَزَكَّى (۷۶) فاحرص أن تكون منهم، فحالت بينه و بين ذلك الأقدار التى لا تغالب و لا تمانع، و حكم العلى العظيم بأن فرعون، لعنه اللّه، من أهل الجحيم، ليباشر العذاب الأليم، يصب من فوق رأسه الحميم، و يقال له على وجه التقريع و التوبيخ و هو المقبوح المنبوح و الذميم اللئيم: ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (۴۹). و الظاهر من هذه السياقات أن فرعون، لعنه اللّه، صلبهم و عذبهم رضى اللّه عنهم. قال عبد اللّه بن عباس و عبيد بن عمير: كانوا من أول النهار سحرة، فصاروا من آخره شهداء بررة. و يؤيد هذا قولهم: رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَ تَوَفَّنا مُسْلِمِينَ. و لما وقع ما وقع من الأمر العظيم، و هو الغلب الذى غلبته القبط فى ذلك الموقف الهائل، و أسلم السحرة الذين استنصروا ربهم، لم يزدهم ذلك إلا كفرا و عنادا و بعدا عن الحق، قال اللّه تعالى بعد قصص ما تقدم فى سورة الأعراف: وَ قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَ تَذَرُ مُوسى وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ قالَ سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ وَ نَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ وَ إِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ (۱۲۷) قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَ اصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (۱۲۸) قالُوا أُوذِينا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنا وَ مِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا قالَ عَسى رَبُّكُمْ

أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الآثار و التاريخ، ص: ۱۱۴ الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (۱۲۹). يخبر تعالى عن الملأ من قوم فرعون، و هم الأمراء و الكبراء، أنهم حرضوا ملكهم فرعون على أذية نبى اللّه موسى عليه السلام، و مقابلته بدل التصديق بما جاء به بالكفر و الرد و الأذى، قالوا: أَ تَذَرُ مُوسى وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ يعنون، قبحهم اللّه، أن دعوته إلى عبادة اللّه وحده لا شريك له، و النهى عن عبادة ما سواه، فساد بالنسبة إلى اعتقاد القبط، لعنهم اللّه، و قرأ بعضهم: (و يذرك و إلهتك) أى و عبادتك، و يحتمل شيئين أحدهما: و يذر دينك، و تقويه القراءة الأخرى، و الثانى: و يذر أن يعبدك، فإنه كان يزعم أنه إله، لعنه اللّه قالَ سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ وَ نَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ أى لئلا يكثر مقاتلتهم وَ إِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ أى غالبون قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَ اصْبِرُوا أى إذا هموا هم بأذيتكم و الفتك بكم، فاستعينوا أنتم بربكم، و اصبروا على بليتكم إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ أى فكونوا أنتم المتقين لتكون لكم العاقبة، كما قال فى الآية الأخرى من سورة يونس: وَ قالَ مُوسى يا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (۸۴) فَقالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۸۵) وَ نَجِّنا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكافِرِينَ (۸۶)، و قولهم: قالُوا أُوذِينا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنا وَ مِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا أى قد كانت الأبناء تقتل قبل مجيئك، و بعد مجيئك إلينا قالَ عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ. و قال اللّه تعالى فى سورة حم المؤمن: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ (۲۳) إِلى فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ قارُونَ فَقالُوا ساحِرٌ كَذَّابٌ (۲۴) و كان فرعون الملك، و هامان الوزير، و كان قارون إسرائيليا من قوم موسى، إلا أنه كان على دين فرعون و ملئه، و كان ذا مال جزيل جدا، كما ستأتى قصته فيما بعد إن شاء اللّه تعالى فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ اسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ وَ ما الآثار و التاريخ، ص: ۱۱۵ كَيْدُ الْكافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ (۲۵) و هذا القتل للغلمان من بعد بعثة موسى إنما كان على وجه الإهانة و الإذلال و التقليل لملأ بنى إسرائيل، لئلا يكون لهم شوكة يمتنعون بها، و يصولون على القبط بسببها، و كانت القبط منهم يحذرون، فلم ينفعهم ذلك، و لم يرد عنهم قدر الذى يقول للشىء كن فيكون وَ قالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى وَ لْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ (۲۶) و لهذا يقول الناس على سبيل التهكم: صار فرعون مذكرا، و هذا منه فإن فرعون فى زعمه يخاف على الناس أن يضلهم موسى عليه السلام وَ قالَ مُوسى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ (۲۷) أى عذت باللّه و لجأت إليه بجنابه من أن يسطو فرعون و غيره علىّ بسوء، و قوله: مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ أى جبار عنيد، لا يرعوى و لا ينتهى، و لا يخاف عذاب اللّه و عقابه، لأنه لا يعتقد معادا و لا جزاء، و لهذا قال فى سورة غافر: وَ قالَ مُوسى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ (۲۷) وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَ قَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ إِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (۲۸) يا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جاءَنا قالَ فِرْعَوْنُ ما أُرِيكُمْ إِلَّا ما أَرى وَ ما أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشادِ (۲۹)، و هذا الرجل هو ابن عم فرعون، و كان يكتم إيمانه من قومه خوفا منهم على نفسه، و زعم بعض الناس أنه كان إسرائيليا، و هو بعيد و مخالف لسياق الكلام لفظا و معنى، و اللّه أعلم. قال ابن جريج: قال ابن عباس: لم يؤمن من القبط بموسى إلا هذا، و الذى جاء من أقصى المدينة، و امرأة فرعون. رواه ابن أبى حاتم. قال الدارقطنى: لا يعرف من اسمه شمعان بالشين المعجمة إلا مؤمن آل فرعون، حكاه السهيلى. و فى تاريخ الطبرانى: أن اسمه خير. فاللّه أعلم. و المقصود: أن هذا الرجل كان يكتم إيمانه فلما هم فرعون، لعنه اللّه، بقتل موسى الآثار و التاريخ، ص: ۱۱۶ عليه السلام، و عزم على ذلك و شاور ملأه فيه، خاف هذا المؤمن على موسى، فتلطف فى رد فرعون بكلام جمع فيه الترغيب و الترهيب، فقال على وجه المشورة و الرأى. و قد ثبت فى الحديث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أنه قال: (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر). و هذا من أعلى مراتب هذا المقام، فإن فرعون لا أشد جورا منه، و هذا الكلام لا أعدل منه، لأن فيه عصمة نبى، و يحتمل أنه كاشفهم بإظهار إيمانه، و صرح لهم بما كان يكتمه، و الأول أظهر، و اللّه أعلم. قال: أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ أى من أجل أنه قال ربى اللّه، فمثل هذا لا يقابل بهذا بل بالإكرام و الاحترام و الموادعة و ترك الانتقام، يعنى لأنه: وَ

قَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ أى بالخوارق التى دلت على صدقة فيما جاء به عمن أرسله، فهذا إن وادعتموه كنتم فى سلامة لأنه: وَ إِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ و لا يضركم ذلك وَ إِنْ يَكُ صادِقاً و قد تعرضتم له يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ أى و أنتم تشققون أن ينالكم أيسر جزاء مما يتوعدكم به، فكيف بكم إن حل جميعه عليكم. و هذا الكلام فى هذا المقام من أعلى مقامات التلطف و الاحتراز و العقل التام، و قوله: يا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظاهِرِينَ فِى الْأَرْضِ يحذرهم أن يسلبوا هذا الملك العزيز، فإنه ما تعرضت الدول للدين إلا سلبوا ملكهم، و ذلوا بعد عزهم، و كذا وقع لآل فرعون، ما زالوا فى شك و ريب و مخالفة و معاندة لما جاءهم موسى به، حتى أخرجهم اللّه مما كانوا فيه من الملك و الأملاك و الدور و القصور و النعمة و الحبور، ثم حولوا إلى البحر مهانين، و نقلت أرواحهم بعد العلو و الرفعة إلى أسفل السافلين، و لهذا قال هذا الرجل المؤمن المصدق البار الراشد التابع للحق الناصح لقومه الكامل العقل: يا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظاهِرِينَ فِى الْأَرْضِ أى عالين على الناس حاكمين عليهم فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جاءَنا أى لو كنتم أضعاف ما أنتم فيه من العدد و العدة و القوة و الشدة لما نفعنا ذلك، و لا رد عنا بأس مالك الممالك قالَ فِرْعَوْنُ أى فى جواب هذا كله ما أُرِيكُمْ إِلَّا ما أَرى أى ما أقول لكم إلا ما عندى وَ ما أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشادِ و كذب فى كل من هذين القولين، و هاتين المقدمتين، فإنه قد كان يتحقق فى باطنه و فى نفسه أن هذا الذى جاء به موسى من عند اللّه لا محالة، و إنما كان يظهر خلافه بغيا و عدوانا و عتوا و كفرانا. قال اللّه تعالى فى سورة الإسراء إخبارا عن سيدنا موسى عليه السلام: قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ بَصائِرَ وَ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً (۱۰۲) فَأَرادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ جَمِيعاً (۱۰۳) وَ قُلْنا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِى إِسْرائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً (۱۰۴) .. و قال تعالى فى سورة النمل: فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ (۱۳) وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (۱۴)، و أما قوله: وَ ما أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشادِ فقد كذب أيضا فإنه لم يكن على رشاد من الأمر، بل كان على سفه و ضلال و خبل و خيال، فكان أولا ممن يعبد الأصنام و الأمثال، ثم دعا قومه الجهلة الضلال إلى أن اتبعوه و طاوعوه و صدقوه فيما زعم من الكفر المحال فى دعواه أنه رب تعالى اللّه ذو الجلال، قال اللّه تعالى فى سورة الزخرف: وَ نادى فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِ قالَ يا قَوْمِ أَ لَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَ هذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِى مِنْ تَحْتِى أَ فَلا تُبْصِرُونَ (۵۱) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَ لا يَكادُ يُبِينُ (۵۲) فَلَوْ لا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (۵۳) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ (۵۴) فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ (۵۵) فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً وَ مَثَلًا لِلْآخِرِينَ (۵۶)، و قال تعالى: فَأَراهُ الْآيَةَ الْكُبْرى (۲۴) فَكَذَّبَ وَ عَصى (۲۱) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعى (۲۲) فَحَشَرَ فَنادى (۲۳) فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى (۲۴) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولى (۲۵) إِنَّ فِى ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى (۲۶)، (النازعات) .. و قال تعالى وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ (۹۶) إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَ ما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (۹۷) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَ بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (۹۸) وَ أُتْبِعُوا فِى الآثار و التاريخ، ص: ۱۱۸ هذِهِ لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (۹۹)، (هود). و المقصود بيان كذب فرعون فى قوله الذى جاء فى سورة غافر: يا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظاهِرِينَ فِى الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جاءَنا قالَ فِرْعَوْنُ ما أُرِيكُمْ إِلَّا ما أَرى وَ ما أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشادِ (۲۹) وَ قالَ الَّذِى آمَنَ يا قَوْمِ إِنِّى أَخافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزابِ (۳۰) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ (۳۱) وَ يا قَوْمِ إِنِّى أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ (۳۲) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (۳۳) وَ لَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ فَما زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ (۳۴) الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِى آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (۳۵) .. يحذرهم ولى اللّه إن كذبوا برسول اللّه موسى، أن يحل بهم ما حل بالأمم من قبلهم من النقمات و المثلات، مما تواتر عندهم و عند غيرهم ما حل بقوم نوح و عاد و ثمود و من بعدهم، إلى زمانهم ذلك، مما أقام به الحجج على أهل الأرض قاطبة فى صدق ما جاءت به الأنبياء، لما أنزل من النقمة بمكذبيهم من الأعداء، و ما أنجى اللّه من اتبعهم من الأولياء، و خوفهم يوم

القيامة و هو يوم التناد، أى حين ينادى الناس بعضهم بعضا حين يولون إن قدروا على ذلك، و لا إلى ذلك سبيل يَقُولُ الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (۱۰) كَلَّا لا وَزَرَ (۱۱) إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (۱۲)، (القيامة). و قال تعالى يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ (۳۳) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (۳۴) يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ وَ نُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ (۳۵) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (۳۶)، (الرحمن). و قرأ بعضهم: (يوم التنادّ) بتشديد الدال، أى يوم الفرار، و يحتمل أن يكون يوم القيامة، و يحتمل أن يكون يوم يحل اللّه بهم البأس فيودون الفرار، و لات حين مناص فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنا الآثار و التاريخ، ص: ۱۱۹ إِذا هُمْ مِنْها يَرْكُضُونَ (۱۲) لا تَرْكُضُوا وَ ارْجِعُوا إِلى ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَ مَساكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ (۱۳)، (الأنبياء)، ثم أخبرهم عن نبوة يوسف فى بلاد مصر، و ما كان منه من الإحسان إلى الخلق فى دنياهم و أخراهم، و هذا من سلالته و ذريته، و يدعو الناس إلى توحيد اللّه و عبادته، و أن لا يشركوا به أحدا من بريته، و أخبر عن أهل الديار المصرية فى ذلك الزمان، أى من سجيتهم التكذيب بالحق و مخالفة الرسل، و لهذا قال: ... فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ... أى و كذبتم فى هذا، و لهذا قال: ... كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ (۳۴) الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ ... أى يردون حجج اللّه و براهينه و دلائل توحيده، بلا حجة و لا دليل عندهم من اللّه، فإن هذا أمر يمقته اللّه غاية المقت، أى يبغض من تلبس به من الناس و من اتصف به من الخلق ... كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (۳۵)، قرئ بالإضافة و بالنعت و كلاهما متلازم، أى هكذا إذا خالفت القلوب الحق، و لا تخالفه إلا بلا برهان، فإن اللّه يطبع عليها: أى يختم عليها وَ قالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ (۳۶) أَسْبابَ السَّماواتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِباً وَ كَذلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَ صُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَ ما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبابٍ (۳۷)، (غافر). كذب فرعون موسى عليه السلام فى دعواه أن اللّه أرسله، و زعم فرعون لقومه ما كذبه و افتراه، فى قوله لهم ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يا هامانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلى إِلهِ مُوسى وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكاذِبِينَ، و قال هاهنا: لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ (۳۶) أَسْبابَ السَّماواتِ أى طرقها و مسالكها فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى و يحتمل هذا معنيين: أحدهما: وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِباً فى قوله: إن للعالم ربا غيرى. و الثانى: فى دعواه أن اللّه أرسله. و الأول أشبه بظاهر حال فرعون، فإنه كان ينكر ظاهر إثبات الصانع، و الثانى أقرب إلى اللفظ، حيث قال: فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى أى فأسأله هل أرسله أم الآثار و التاريخ، ص: ۱۲۰ لا؟ وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِباً أى فى دعواه ذلك، و إنما كان مقصود فرعون أن يصد الناس عن تصديق موسى عليه السلام، و إن يحثهم على تكذيبه، قال اللّه تعالى: وَ كَذلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَ صُدَّ عَنِ السَّبِيلِ و قرئ: وَ صُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَ ما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبابٍ قال ابن عباس و مجاهد يقول: إلا فى خسار، أى باطل لا يحصل له شىء من مقصوده الذى رامه، فإنه لا سبيل للبشر أن يتوصلوا بقواهم إلى نيل السماء أبدا، أعنى السماء الدنيا، فكيف بما بعدها من السماوات العلى، و ما فوق ذلك من الارتفاع الذى لا يعلمه إلا اللّه عز و جل، و ذكر غير واحد من المفسرين: أن هذا الصرح و هو القصر الذى بناه وزيره هامان له لم ير بناء أعلى منه، و إن كان مبنيا من الآجر المشوى بالنار، و لهذا قال: فَأَوْقِدْ لِي يا هامانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً. و عند أهل الكتاب: أن بنى إسرائيل كانوا يسخرون فى ضرب اللبن، و كان مما حملوا من التكاليف الفرعونية أنهم لا يساعدون على شىء مما يحتاجون إليه فيه، بل كانوا هم الذين يجمعون ترابه و تبنه و ماءه، و يطلب منهم كل يوم قسط معين، إن لم يفعلوه و إلا ضربوا و أهينوا غاية الإهانة و أوذوا غاية الأذية، و لهذا قالوا لموسى: أُوذِينا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِينا وَ مِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا قالَ عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (۱۲۹) فوعدهم بأن العاقبة لهم على القبط، و كذلك وقع و هذا من دلائل النبوة، و لنرجع إلى نصيحة المؤمن و موعظته و احتجاجه، قال اللّه تعالى فى سورة غافر: وَ قالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ (۳۸) يا قَوْمِ إِنَّما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا مَتاعٌ وَ إِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دارُ الْقَرارِ (۳۹) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها وَ مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ (۴۰)، يدعوهم رضى اللّه عنه، إلى طريق الرشاد و الحق، و هى متابعة نبى اللّه موسى و تصديقه فيما جاء به من ربه، ثم زهدهم فى الدنيا الدنية الفانية المنقضية لا محالة، و رغبهم فى طلب الثواب

عند اللّه الذى لا يضيع عمل عامل لديه، القدير الذى ملكوت كل شىء بيديه، الذى يعطى على القليل كثيرا، و من عدله الآثار و التاريخ، ص: ۱۲۱ لا يجازى على السيئة إلا مثلها، و أخبرهم أن الآخرة هى دار القرار التى من وافاها مؤمنا قد عمل الصالحات، فلهم الجنات العاليات، و الغرف الآمنات، و الخيرات الكثيرة الفائقات، و الأرزاق الدائمة التى لا تبيد، و الخير الذى كل ما لهم منه فى مزيد. ثم شرع فى إبطال ما هم عليه و تخويفهم مما يصيرون إليه فقال تبارك و تعالى: * وَ يا قَوْمِ ما لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وَ تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (۴۱) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ أُشْرِكَ بِهِ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (۴۲) لا جَرَمَ أَنَّما تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيا وَ لا فِي الْآخِرَةِ وَ أَنَّ مَرَدَّنا إِلَى اللَّهِ وَ أَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحابُ النَّارِ (۴۳) فَسَتَذْكُرُونَ ما أَقُولُ لَكُمْ وَ أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ (۴۴) فَوَقاهُ اللَّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا وَ حاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ (۴۵) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَ عَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ (۴۶)، (غافر). كان يدعوهم إلى عبادة رب السماوات و الأرض الذى يقول للشىء كن فيكون، و هم يدعونه إلى عبادة فرعون الجاهل الضال الملعون، و لهذا قال لهم على سبيل الإنكار:* وَ يا قَوْمِ ما لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وَ تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (۴۱) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ أُشْرِكَ بِهِ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (۴۲) ثم بين لهم بطلان ما هم عليه من عبادة ما سوى اللّه من الأنداد و الأوثان، و أنها لا تملك من نفع و لا إضرار، فقال: لا جَرَمَ أَنَّما تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيا وَ لا فِي الْآخِرَةِ وَ أَنَّ مَرَدَّنا إِلَى اللَّهِ وَ أَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحابُ النَّارِ (۴۳) أى لا تملك تصرفا و لا حكما فى هذه الدار، فكيف تملكه يوم القرار، و أما اللّه عز و جل فإنه الخالق الرازق للأبرار و الفجار، و هو الذى أحيا العباد و يميتهم و يبعثهم، فيدخل طائعهم الجنة، و عاصيهم إلى النار. ثم توعدهم إن هم استمروا على العناد بقوله: فَسَتَذْكُرُونَ ما أَقُولُ لَكُمْ وَ أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ (۴۴)، قال اللّه: فَوَقاهُ اللَّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا أى بإنكاره سلم مما أصابهم من العقوبة على كفرهم باللّه، و مكرهم فى الآثار و التاريخ، ص: ۱۲۲ صدهم عن سبيل اللّه، مما أظهروا للعامة من الخيالات و المحالات، التى ألبسوا بها على عوامهم و طغامهم، و لهذا قال: وَ حاقَ أى أحاط بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ (۴۵) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَ عَشِيًّا أى تعرض أرواحهم فى برزخهم صباحا و مساء على النار وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ و قد تكلمنا على دلالة هذه الآية على عذاب القبر فى التفسير، و للّه الحمد. و المقصود: أن اللّه تعالى لم يهلكهم إلا بعد إقامة الحجج عليهم، و إرسال الرسول إليهم، و إزاحة الشبه عنهم، و أخذ الحجة عليهم منهم، فبالترهيب تارة، و الترغيب أخرى، كما قال تعالى فى سورة الأعراف: وَ لَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (۱۳۰) فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قالُوا لَنا هذِهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَ مَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۱۳۱) وَ قالُوا مَهْما تَأْتِنا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنا بِها فَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (۱۳۲) فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَ الْجَرادَ وَ الْقُمَّلَ وَ الضَّفادِعَ وَ الدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ (۱۳۳). يخبر تعالى أنه ابتلى آل فرعون، و هم قومه من القبط، بالسنين، و هى أعوام الجدب التى لا يستغل فيها زرع، و لا ينتفع بضرع، و قوله: وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ و هى قلة الثمار من الأشجار لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ أى فلم ينتفعوا و لم يرعووا، بل تمردوا و استمروا على كفرهم و عنادهم فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ و الخصب و نحوه قالُوا لَنا هذِهِ أى هذا الذى نستحقه، و هذا الذى يليق بنا وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَ مَنْ مَعَهُ أى يقولون: هذا بشؤمهم أصابنا هذا، و لا يقولون فى الأول: أنه ببركتهم و حسن مجاورتهم، و لكن قلوبهم منكرة مستكبرة نافرة، عن الحق إذا جاء الشر أسندوه إليه، و إن رأوا خيرا ادعوه لأنفسهم، قال اللّه تعالى: أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أى اللّه يجزيهم على هذا أوفر الجزاء وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۱۳۱) وَ قالُوا الآثار و التاريخ، ص: ۱۲۳ مَهْما تَأْتِنا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنا بِها فَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ أى مهما جئتنا به من الآيات، و هى الخوارق للعادات، فلسنا نؤمن بك، و لا نتبعك و لا نطيعك، و لو جئتنا بكل آية، و هكذا أخبر اللّه عنهم فى قوله: إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ (۹۶) وَ لَوْ جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ (۹۷)، قال اللّه تعالى: فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَ الْجَرادَ وَ الْقُمَّلَ وَ الضَّفادِعَ وَ الدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ (۱۳۳). أما الطوفان: فعن ابن عباس: هو كثرة الأمطار المتلفة للزروع و الثمار، و به قال سعيد ابن جبير و قتادة و السدى و الضحاك. و عن ابن عباس و عطاء:

هو كثرة الموت. و قال مجاهد: الطوفان الماء، و الطاعون على كل حال. و عن ابن عباس: أمر طاف بهم. و قد روى ابن جرير و ابن مردويه من طريق يحيى بن يمان، عن المنهال بن خليفة، عن الحجاج، عن الحكم بن مينا، عن عائشة، عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم: (الطوفان الموت)، و هو غريب. و أما الجراد فمعروف. و قد روى أبو داود عن أبى عثمان، عن سلمان الفارسى: قال سئل رسول اللّه عن الجراد؟ فقال: (أكثر جنود اللّه لا آكله و لا أحرمه). و ترك النبى صلّى اللّه عليه و سلم أكله إنما هو على وجه التقذر له، كما ترك أكل الضب و تنزه عن أكل البصل و الثوم و الكراث، لما ثبت فى الصحيحين عن عبد اللّه بن أبى أوفى، قال: غزونا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم سبع غزوات نأكل الجراد. و قد تكلم على ما ورد فيه من الأحاديث و الآثار فى كتب الفقه و الحديث و التفسير. و المقصود: أنه استاق خضراءهم، فلم يترك لهم زرعا و لا ثمارا و لا سبدا و لا لبدا، و أما القمل: فعن ابن عباس: هو السوس الذى يخرج من الحنطة. و عنه: أنه الجراد الصغار الذى لا أجنحة له. و به قال مجاهد و عكرمة و قتادة. و قال سعيد بن جبير و الحسن: هو دواب سود صغار. و قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هى البراغيث. و حكى ابن جرير عن أهل العربية: أنها الحمنان، و هو صغار القردان، فرق القمقامة، فدخل معهم البيوت و الفرش فلم يقر لهم قرار، و لم يمكنهم معه الغمض و لا العيش. و فسره عطاء بن السائب بهذا القمل المعروف. و قرأها الحسن البصرى كذلك بالتخفيف. و أما الضفادع: فمعروفة، لبستهم حتى كانت تسقط فى أطعمتهم الآثار و التاريخ، ص: ۱۲۴ و أوانيهم، حتى إن أحدهم إذا فتح فمه لطعام أو شراب سقطت فى فيه ضفدعة من تلك الضفادع. و أما الدم: فكان قد مزج ماؤهم كله به، فلا يستقون من النيل شيئا إلا وجدوه دما عبيطا، و لا من نهر و لا بئر و لا شىء إلا كان دما فى الساعة الراهنة. هذا كله لم ينل بنى إسرائيل من ذلك شىء بالكلية، و هذا من تمام المعجزة الباهرة و الحجة القاطعة، أن هذا كله يحصل لهم من فعل موسى عليه السلام، فينالهم عن آخرهم و لا يحصل هذا لأحد من بنى إسرائيل و فى هذا أدل دليل. قال محمد بن إسحاق: فرجع عدو اللّه فرعون حين آمنت السحرة مغلوبا مفلولا، ثم أبى إلا الإقامة على الكفر، و التمادى فى الشر، و تابع اللّه عليه بالآيات فأخذه بالسنين، فأرسل عليه الطوفان، ثم الجراد، ثم القمل، ثم الضفادع، ثم الدم، آيات مفصلات، فأرسل الطوفان و هو الماء، ففاض على وجه الأرض، ثم ركد لا يقدرون على أن يخرجوا، و لا أن يعملوا شيئا حتى جهدوا جوعا، فلما بلغهم ذلك: قالُوا يا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِى إِسْرائِيلَ (۱۳۴) فدعا موسى ربه فكشفه عنهم، فلما لم يفوا له بشىء فأرسل اللّه عليهم الجراد، فأكل الشجر، فيما بلغنى، حتى إن كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم و مساكنهم، فقالوا مثل ما قالوا، فدعا ربه، فكشف عنهم، فلم يفوا له بشىء مما قالوا، فأرسل اللّه عليهم القمل، فذكر لى أن موسى عليه السلام أمر أن يمشى إلى كثيب حتى يضربه بعصاه، فمشى إلى كثيب أهيل عظيم فضربه بها، فانثال عليهم قملا حتى غلب على البيوت و الأطعمة و منعهم النوم و القرار، فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا له، فدعا ربه، فكشف عنهم، فلما لم يفوا له بشىء مما قالوا، أرسل اللّه عليهم الضفادع، فملأت البيوت و الأطعمة و الآنية، فلم يكشف أحد ثوبا و لا طعاما، إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه، فلما جهدهم ذلك، قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربه، فكشف عنهم، فلم يفوا بشىء مما قالوا، فأرسل اللّه عليهم الدم، فصارت مياه آل فرعون دما لا يستقون من بئر و لا نهر يغترفون من إناء إلا عاد دما عبيطا. و قال زيد بن أسلم: المراد بالدم: الرعاف. رواه ابن أبى حاتم. قال اللّه تعالى فى الأعراف: وَ لَمَّا الآثار و التاريخ، ص: ۱۲۵ وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قالُوا يا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِى إِسْرائِيلَ (۱۳۴) فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلى أَجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ (۱۳۵) فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ فِى الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ كانُوا عَنْها غافِلِينَ (۱۳۶). يخبر تعالى عن كفرهم و عتوهم و استمرارهم على الضلال و الجهل و الاستكبار عن اتباع آيات اللّه، و تصديق رسوله مع ما أيد به من الآيات العظيمة الباهرة، و الحجج البليغة القاهرة، التى أراهم اللّه إياها عيانا، و جعلها عليهم دليلا و برهانا، و كلما شاهدوا آية و عاينوها و جهدهم و أضنكهم، حلفوا و عاهدوا موسى لئن كشف عنهم هذه ليؤمنن به، و ليرسلن معه من هو من حزبه، فكلما رفعت عنهم تلك الآية، عادوا إلى شر مما كانوا عليه، و أعرضوا عما جاءهم به من الحق و لم يلتفتوا إليه، فيرسل اللّه عليهم آية أخرى، هى أشد مما كانت قبلها و أقوى، فيقولون فيكذبون و

يعدون و لا يفون: لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائِيلَ فيكشف عنهم ذلك العذاب الوبيل، ثم يعودون إلى جهلهم العريض الطويل، هذا و العظيم الحليم القدير ينظرهم، و لا يعجل عليهم، و يؤخرهم و يتقدم بالوعيد إليهم، ثم أخذهم بعد إقامة الحجة عليهم و الإنذار إليهم أخذ عزيز مقتدر، فجعلهم عبرة و نكالا و سلفا لمن أشبههم من الكافرين، و مثلا لمن اتعظ بهم من عباده المؤمنين. كما قال تبارك و تعالى و هو أصدق القائلين فى سورة الزخرف: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَقالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ (۴۶) فَلَمَّا جاءَهُمْ بِآياتِنا إِذا هُمْ مِنْها يَضْحَكُونَ (۴۷) وَ ما نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها وَ أَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (۴۸) وَ قالُوا يا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنا لَمُهْتَدُونَ (۴۹) فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ (۵۰) وَ نادى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قالَ يا قَوْمِ أَ لَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَ هذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَ فَلا تُبْصِرُونَ (۵۱) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَ لا يَكادُ يُبِينُ (۵۲) فَلَوْ لا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ الآثار و التاريخ، ص: ۱۲۶ مُقْتَرِنِينَ (۵۳) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ (۵۴) فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ (۵۵) فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً وَ مَثَلًا لِلْآخِرِينَ (۵۶). يذكر تعالى إرساله عبده الكليم الكريم، إلى فرعون الخسيس اللئيم، و أنه تعالى أيد رسوله بآيات بينات واضحات، تستحق أن تقابل بالتعظيم و التصديق، و أن يرتدعوا عما هم فيه من الكفر، و يرجعوا إلى الحق و الصراط المستقيم، فإذا هم منها يضحكون، و بها يستهزءون، و عن سبيل اللّه يصدون، و عن الحق ينصرفون، فأرسل اللّه عليهم الآيات تترى يتبع بعضها بعضا، و كل آية أكبر من التى تتلوها، لأن التوكيد أبلغ مما قبله وَ أَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (۴۸) وَ قالُوا يا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنا لَمُهْتَدُونَ (۴۹) لم يكن لفظ الساحر فى زمنهم نقصا و لا عيبا، لأن علماءهم فى ذلك الوقت هم السحرة، و لهذا خاطبوه به فى حال احتياجهم إليه و ضراعتهم لديه، قال اللّه تعالى: فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ (۵۰) ثم أخبر تعالى عن تبجح فرعون بملكه و عظمة بلده و حسنها و تخرق الأنهار فيها، و هى الخلجانات التى يكسرونها أمام زيادة النيل، ثم تبجح بنفسه و حليته و أخذ ينتقص رسول اللّه موسى عليه السلام و يزدريه بكونه وَ لا يَكادُ يُبِينُ يعنى كلامه بسبب ما كان فى لسانه من بقية تلك اللثغة التى هى شرف له و كمال و جمال، و لم تكن مانعة له أن كلمه اللّه تعالى و أوحى إليه، و أنزل بعد ذلك التوراة عليه، و تنقصه فرعون، لعنه اللّه، بكونه لا أساور فى بدنه و لا زينة عليه، و إنما ذلك من حلية النساء لا يليق بشهامة الرجال، فكيف بالرسل الذين هم أكمل عقلا و أتم معرفة، و أعلى همة، و أزهد فى الدنيا، و أعلم بما أعد اللّه لأوليائه فى الأخرى، و قوله: أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ لا يحتاج الأمر إلى ذلك إن كان المراد أن تعظمه الملائكة، فالملائكة يعظمون و يتواضعون لمن هو دون موسى عليه السلام بكثير، كما جاء فى الحديث: (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع). فكيف يكون تواضعهم و تعظيمهم لموسى الكليم عليه الصلاة و التسليم و التكريم، و إن كان المراد شهادتهم له بالرسالة، فقد أيد من المعجزات بما يدل قطعا لذوى الألباب، و لمن قصد إلى الحق و الصواب، و يعمى عما جاء به من البينات الآثار و التاريخ، ص: ۱۲۷ و الحجج الواضحات، من نظر إلى القشور و ترك لب اللباب، و طبع على قلبه رب الأرباب، و ختم عليه بما فيه من الشك و الارتياب، كما هو حال فرعون القبطى العمى الكذاب، قال اللّه تعالى: فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ أى استخف عقولهم و درجهم من حال إلى حال إلى أن صدقوه فى دعواه الربوبية، لعنه اللّه، و قبحهم إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ (۵۴) فَلَمَّا آسَفُونا أى أغضبونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ أى بالغرق و الإهانة و سلب العز، و التبدل بالذل، و بالعذاب بعد النعمة، و الهوان بعد الرفاهية، و النار بعد طيب العيش، عياذا باللّه العظيم، و سلطانه القديم من ذلك فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً أى لمن اتبعهم فى الصفات وَ مَثَلًا أى لمن اتعظ بهم و خاف من وبيل مصرعهم، ممن بلغه جلية خبرهم، و ما كان من أمرهم. كما قال اللّه تعالى فى سورة القصص: فَلَمَّا جاءَهُمْ مُوسى بِآياتِنا بَيِّناتٍ قالُوا ما هذا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرىً وَ ما سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ (۳۶) وَ قالَ مُوسى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُدى مِنْ عِنْدِهِ وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (۳۷) وَ قالَ فِرْعَوْنُ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يا هامانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلى إِلهِ مُوسى وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكاذِبِينَ (۳۸) وَ اسْتَكْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنا لا يُرْجَعُونَ (۳۹) فَأَخَذْناهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (۴۰) وَ

جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ (۴۱) وَ أَتْبَعْناهُمْ فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (۴۲)، (القصص). يخبر تعالى أنهم لما استكبروا عن اتباع الحق، و ادعى ملكهم الباطل، و وافقوه عليه، و أطاعوه فيه، اشتد غضب الرب القدير العزيز الذى لا يغالب و لا يمانع عليهم، فانتقم منهم أشد الانتقام، و أغرقه هو و جنوده فى صبيحة واحدة، فلم يفلت منهم أحد، و لم يبق منهم ديار، بل كان قد غرق، فدخل النار، و أتبعوا فى هذه الدار لعنة بين العالمين، و يوم القيامة بئس الرفد المرفود، و يوم القيامة هم من المقبوحين.

هلاک فرعون و جنوده

هلاک فرعون و جنوده لما تمادى قبط مصر على كفرهم و عتوهم و عنادهم متابعة لملكهم فرعون، و مخالفة لنبى اللّه و رسوله و كليمه موسى بن عمران عليه السلام، و أقام اللّه على أهل مصر الحجج العظيمة القاهرة، و أراهم من خوارق العادات ما بهر الأبصار و حير العقول، و هم مع ذلک لا يرعوون و لا ينتهون و لا ينزعون و لا يرجعون و لم يؤمن منهم إلا القليل، قيل: ثلاثة و هم امرأة فرعون، و لا علم لأهل الكتاب بخبرها، و مؤمن آل فرعون الذى تقدم حكاية موعظته و مشورته و حجته عليهم، و الرجل الناصح الذى جاء يسعى من أقصى المدينة، فقال: يا مُوسى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (۲۰) قاله ابن عباس فيما رواه ابن أبى حاتم عنه. و مراده: غير السحرة فإنهم كانوا من القبط، و قيل: بل آمن طائفة من القبط من قوم فرعون و السحرة كلهم، و جميع شعب بنى إسرائيل، و يدل على هذا قوله تعالى: فَما آمَنَ لِمُوسى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَ إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعالٍ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (۸۳) فالضمير فى قوله: إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عائد على فرعون، لأن السياق يدل عليه، و قيل: على موسى لقربه، و الأول أظهر، كما هو مقرر فى التفسير، و إيمانهم كان خفية لمخافتهم من فرعون و سطوته و جبروته و سلطته، و من ملئهم أن ينموا عليهم إليه فيفتنهم عن دينهم. قال اللّه تعالى مخبرا عن فرعون و كفى باللّه شهيدا: وَ إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعالٍ فِي الْأَرْضِ أى جبار عنيد مستعل بغير الحق وَ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ أى فى جميع أموره و شئونه و أحواله، و لكنه جرثومة قد حان انجعافها، و ثمرة خبيثة قد آن قطافها، و مهجة ملعونة قد حتم إتلافها، و عند ذلک قال موسى: يا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (۸۴) فَقالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۸۵) وَ نَجِّنا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكافِرِينَ (۸۶) يأمرهم بالتوكل على اللّه، و الاستعانة به، و الالتجاء إليه، فأتمروا بذلک، فجعل اللّه لهم مما كانوا فيه فرجا الآثار و التاريخ، ص: ۱۲۹ و مخرجا وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى وَ أَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (۸۷) أوحى اللّه تعالى إلى موسى و أخيه هارون، عليهما السلام، أن يتخذوا لقومهما بيوتا متميزة فيما بينهم عن بيوت القبط، ليكونوا على أهبة فى الرحيل إذا أمروا به ليعرف بعضهم بيوت بعض، و قوله: وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قيل: مساجد، و قيل: معناه كثرة الصلاة فيها، قاله مجاهد و أبو مالک و إبراهيم النخعى و الربيع و الضحاک و زيد بن أسلم و ابنه عبد الرحمن و غيرهم. و معناه على هذا: الاستعانة على ما هم فيه من الضر و الشدة و الضيق بكثرة الصلاة، كما قال تعالى: وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا حزبه أمر صلى. و قيل: معناه أنهم لم يكونوا حينئذ يقدرون على إظهار عبادتهم فى مجتمعاتهم و معابدهم، فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم، عوضا عما فاتهم من إظهار شعار الدين الحق، فى ذلک الزمان الذى اقتضى حالهم اخفاءه، خوفا من فرعون و ملئه، و المعنى الأول أقوى، لقوله: وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ و إن كان لا ينافى الثانى أيضا و اللّه أعلم، و قال سعيد بن جبير: وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً أى: متقابلة وَ قالَ مُوسى رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ زِينَةً وَ أَمْوالًا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ وَ اشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ (۸۸) قالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما فَاسْتَقِيما وَ لا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (۸۹) هذه دعوة عظيمة دعا بها كليم اللّه موسى على عدو اللّه فرعون، غضبا للّه عليه، لتكبره عن اتباع الحق، و صده عن سبيل اللّه، و معاندته و عتوه و تمرده و استمراره على الباطل، و مكابرته الحق الواضح الجلى الحسى و المعنوى و البرهان القطعى، فقال: رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ يعنى قومه من

القبط، و من كان على ملته، و دان بدينه: زِينَةً وَ أَمْوالًا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ أى و هذا يغتر به من يعظم أمر الدنيا فيحسب الجاهل أنهم على شىء، لكون هذه الأموال، و هذه الزينة من اللباس، و المراكب الحسنة الهنية، و الدور الأنيقة، و القصور المبنية، و المآكل الشهية، و المناظر البهية، و الملك العزيز الآثار و التاريخ، ص: ۱۳۰ و التمكين، و الجاه العريض فى الدنيا لا الدين رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ قال ابن عباس و مجاهد: أى أهلكها. و قال أبو العالية و الربيع بن أنس و الضحاك: اجعلها حجارة منقوشة كهيئة ما كانت. و قال قتادة: بلغنا أن زروعهم صارت حجارة. و قال محمد بن كعب: جعل سكرهم حجارة، و قال أيضا: صارت أموالهم كلها حجارة. ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز، فقال عمر بن عبد العزيز لغلام له: قم ائتنى بكيس، فجاءه بكيس، فإذا فيه حمص و بيض قد حول حجارة، رواه ابن أبى حاتم. و قوله: وَ اشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ قال ابن عباس: أى اطبع عليها. و هذه دعوة غضب للّه تعالى و لدينه و لبراهينه، فاستجاب اللّه تعالى لها و حققها و تقبلها كما استجاب لنوح فى قومه حيث قال: رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً (۲۶) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَ لا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً (۲۷)، و لهذا قال تعالى مخاطبا لموسى حين دعا على فرعون و ملئه و أمن أخوه هارون على دعائه فنزل ذلك منزلة الداعى أيضا: قالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما فَاسْتَقِيما وَ لا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (۸۹) قال المفسرون و غيرهم من أهل الكتاب: استأذن بنو إسرائيل فرعون فى الخروج إلى عيد لهم، فأذن لهم، و هو كاره، و لكنهم تجهزوا للخروج و تأهبوا له، و إنما كان فى نفس الأمر مكيدة بفرعون و جنوده ليتخلصوا منهم و يخرجوا عنهم، و أمرهم اللّه تعالى، فيما ذكره أهل الكتاب، أن يستعيروا حليا منهم فأعاروهم شيئا كثيرا، فخرجوا بليل، فساروا مستمرين ذاهبين من فورهم طالبين بلاد الشام، فلما علم بذهابهم فرعون حنق عليهم كل الحنق، و اشتد غضبه عليهم، و شرع فى استحثاث جيشه و جمع جنوده ليلحقهم و يمحقهم. قال اللّه تعالى فى سورة الشعراء:* وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (۵۲) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ (۵۳) إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (۵۴) وَ إِنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ (۵۵) وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ (۵۶) فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (۵۷) وَ كُنُوزٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ (۵۸) كَذلِكَ وَ أَوْرَثْناها بَنِي إِسْرائِيلَ (۵۹) فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (۶۰) فَلَمَّا تَراءَا الآثار و التاريخ، ص: ۱۳۱ الْجَمْعانِ قالَ أَصْحابُ مُوسى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (۶۱) قالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (۶۲) فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (۶۳) وَ أَزْلَفْنا ثَمَّ الْآخَرِينَ (۶۴) وَ أَنْجَيْنا مُوسى وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (۶۵) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (۶۶) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۶۷) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۶۸) .. قال علماء التفسير: لما ركب فرعون فى جنوده طالبا بنى إسرائيل يقفو أثرهم، كان فى جيش كثيف عرمرم حتى قيل: كان فى خيوله مائة ألف فحل أدهم و كانت عدة جنوده تزيد على ألف ألف و ستمائة ألف، فاللّه أعلم، و قيل: إن بنى إسرائيل كانوا نحوا من ستمائة ألف مقاتل غير الذرية، و كان بين خروجهم من مصر صحبة موسى عليه السلام، و دخولهم إليها صحبة أبيهم إسرائيل أربعمائة سنة و ستا و عشرين سنة شمسية. و المقصود: أن فرعون لحقهم بالجنود فأدركهم عند شروق الشمس، و تراءى الجمعان و لم يبق ثم ريب و لا لبس و عاين كل من الفريقين صاحبه و تحققه و رآه، و لم يبق إلا المقاتلة و المجادلة و المحاماة، فعندها قال أصحاب موسى و هم خائفون: إِنَّا لَمُدْرَكُونَ و ذلك لأنهم اضطروا فى طريقهم إلى البحر، فليس لهم طريق و لا محيد إلا سلوكه و خوضه، و هذا ما لا يستطيعه أحد و لا يقدر عليه، و الجبال عن يسرتهم و عن أيمانهم، و هى شاهقة منيفة، و فرعون قد غالقهم و واجههم، و عاينوه فى جنوده و جيوشه و عدده و عداده، و هم منه فى غاية الخوف و الذعر، لما قاسوا فى سلطانه من الإهانة و المنكر، فشكوا إلى نبى اللّه ما هم فيه مما قد شاهدوه و عاينوه، فقال لهم الرسول الصادق المصدق: كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ، و كان فى الساقة فتقدم إلى المقدمة، فنظر إلى البحر و هو يتلاطم بأمواجه، و يتزايد زبد أجاجه، و هو يقول: هاهنا أمرت، و معه أخوه هارون و يوشع بن نون، و هو يومئذ من سادات بنى إسرائيل و علمائهم و عبادهم الكبار، و قد أوحى اللّه إليه و جعله نبيا بعد موسى و هارون عليهما السلام، كما سنذكره فيما بعد إن شاء اللّه، و معهم أيضا مؤمن آل فرعون، و هم وقوف و بنو إسرائيل بكمالهم عليهم عكوف، و يقال: إن مؤمن آل فرعون جعل يقتحم بفرسه مرارا فى البحر هل يمكن سلوكه فلا يمكن، و يقول لموسى عليه السلام: يا نبى اللّه، أ هاهنا أمرت؟ فيقول: نعم،

فلما الآثار و التاريخ، ص: ۱۳۲ تفاقم الأمر، و ضاق الحال، و اشتد الأمر، و اقترب فرعون و جنوده فى جدهم و حدهم و حديدهم و غضبهم و حنقهم، و زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر، فعند ذلك أوحى الحليم العظيم القدير رب العرش الكريم إلى موسى الكليم: أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فلما ضربه، يقال: إنه قال له: انفلق بإذن اللّه، و يقال: إنه كناه بأبى خلد، فاللّه أعلم، قال اللّه تعالى: فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ و يقال: إنه انفلق اثنتى عشرة طريقا، لكل سبط طريق يسيرون فيه، حتى قيل: إنه صار أيضا شبابيك ليرى بعضهم بعضا، و فى هذا نظر، لأن الماء جرم شفاف إذا كان من ورائه ضياء حكاه. و هكذا كان ماء البحر قائما مثل الجبال مكفوفا بالقدرة العظيمة الصادرة من الذى يقول للشىء كن فيكون، و أمر اللّه ريح الدبور فلقحت حال البحر، فأذهبته حتى صار يابسا لا يعلق فى سنابك الخيول و الدواب. قال اللّه تعالى فى سورة طه: وَ لَقَدْ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخافُ دَرَكاً وَ لا تَخْشى (۷۷) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ (۷۸) وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ ما هَدى (۷۹) ... و المقصود: أنه لما آل أمر البحر إلى هذه الحال بإذن الرب العظيم الشديد المحال، أمر موسى عليه السلام أن يجوزه ببنى إسرائيل، فانحدروا فيه مسرعين مستبشرين مبادرين، و قد شاهدوا من الأمر العظيم ما يحير الناظرين، و يهدى قلوب المؤمنين، فلما جاوزوه و جاوزه و خرج آخرهم منه و انفصلوا عنه، كان ذلك عند قدوم أول جيش فرعون إليه و وفودهم عليه، فأراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه ليرجع كما كان عليه، لئلا يكون لفرعون و جنوده وصول إليه، و لا سبيل عليه، فأمره القدير ذو الجلال أن يترك البحر على هذه الحال، كما قال و هو الصادق فى المقال* وَ لَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَ جاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (۱۷) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۸) وَ أَنْ لا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ (۱۹) وَ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (۲۰) وَ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (۲۱) فَدَعا رَبَّهُ أَنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (۲۲) فَأَسْرِ بِعِبادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ الآثار و التاريخ، ص: ۱۳۳ (۲۳) وَ اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (۲۴) كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (۲۵) وَ زُرُوعٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ (۲۶) وَ نَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ (۲۷) كَذلِكَ وَ أَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ (۲۸) فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ وَ ما كانُوا مُنْظَرِينَ (۲۹) وَ لَقَدْ نَجَّيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مِنَ الْعَذابِ الْمُهِينِ (۳۰) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كانَ عالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ (۳۱) وَ لَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ (۳۲) وَ آتَيْناهُمْ مِنَ الْآياتِ ما فِيهِ بَلؤُا مُبِينٌ (۳۳)، (الدخان) .. فقوله تعالى: وَ اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً أى ساكنا على هيئته لا تغيره عن هذه الصفة، قاله عبد اللّه بن عباس و مجاهد و عكرمة و الربيع و الضحاك و قتادة و كعب الأحبار و سماك بن حرب و عبد الرحمن بن زيد بن أسلم و غيرهم. فلما تركه على هيئته و حالته، و انتهى فرعون فرأى ما رأى، و عاين ما عاين، هاله هذا المنظر العظيم، و تحقق ما كان يتحققه قبل ذلك، من أن هذا من فعل رب العرش الكريم، فأحجم و لم يتقدم و ندم فى نفسه على خروجه فى طلبهم و الحالة هذه حيث لا ينفعه الندم، لكنه أظهر لجنوده تجلدا و عاملهم معاملة العدا، و حملته النفس الكافرة، و السجية الفاجرة على أن قال لمن استخفهم فأطاعوه و على باطله تابعوه: انظروا كيف انحسر البحر لى لأدرك عبيدى الآبقين من يدى الخارجين عن طاعتى و بلدى و جعل يورى فى نفسه أن يذهب خلفهم و يرجو أن ينجو و هيهات، و يقدم تارة و يحجم تارات، فذكروا أن جبريل عليه السلام تبدى فى صورة فارس راكب على رمكة حائل، فمر بين يدى فحل فرعون، لعنه اللّه، فحمحم إليها، و أقبل عليها، و أسرع جبريل بين يديه، فاقتحم البحر و استبق الجواد، و قد أجاد فبادر مسرعا، هذا و فرعون لا يملك من نفسه ضرا و لا نفعا، فلما رأته الجنود قد سلك البحر اقتحموا وراءه مسرعين، فحصلوا فى البحر أجمعين أكتعين أبصعين، حتى هم أولهم بالخروج منه فعند ذلك أمر اللّه تعالى كليمه فيما أوحاه إليه أن يضرب البحر بعصاه، فضربه فارتد عليهم البحر كما كان، فلم ينج منهم إنسان. قال اللّه تعالى: وَ أَنْجَيْنا مُوسى وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (۶۵) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (۶۶) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۶۷) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۶۸) أى فى إنجائه الآثار و التاريخ، ص: ۱۳۴ أولياءه، فلم يغرق منهم أحد، و إغراقه أعداءه، فلم يخلص منهم أحد آية عظيمة و برهان قاطع على قدرته تعالى العظيمة و صدق رسوله فيما جاء به عن ربه من الشريعة الكريمة و المناهج المستقيمة، و قال تعالى:* وَ جاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ بَغْياً وَ عَدْواً حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ

قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِی آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِیلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِینَ (۹۰) آلْآنَ وَ قَدْ عَصَیْتَ قَبْلُ وَ کُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِینَ (۹۱) فَالْیَوْمَ نُنَجِّیکَ بِبَدَنِکَ لِتَکُونَ لِمَنْ خَلْفَکَ آیَةً وَ إِنَّ کَثِیراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آیاتِنا لَغافِلُونَ (۹۲)، (یونس). یخبر تعالی عن کیفیة غرق فرعون زعیم کفرة القبط، و أنه لما جعلت الأمواج تخفضه تارة، و ترفعه أخری، و بنو إسرائیل ینظرون إلیه، و إلی جنوده، ما ذا أحل اللّه به و بهم، من البأس العظیم و الخطب الجسیم، لیکون أقر لأعین بنی إسرائیل، و أشفی لنفوسهم، فلما عاین فرعون الهلکة و أحیط به و باشر سکرات الموت، أناب حینئذ و تاب، و آمن حین لا ینفع نفسا إیمانها، کما قال تعالی: إِنَّ الَّذِینَ حَقَّتْ عَلَیْهِمْ کَلِمَتُ رَبِّکَ لا یُؤْمِنُونَ (۹۶) وَ لَوْ جاءَتْهُمْ کُلُّ آیَةٍ حَتَّی یَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِیمَ (۹۷)، و قال تعالی: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَ کَفَرْنا بِما کُنَّا بِهِ مُشْرِکِینَ (۸۴) فَلَمْ یَکُ یَنْفَعُهُمْ إِیمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِی قَدْ خَلَتْ فِی عِبادِهِ وَ خَسِرَ هُنالِکَ الْکافِرُونَ (۸۵)، و هکذا دعا موسی علی فرعون و ملئه، أن یطمس علی أموالهم، و یشدد علی قلوبهم فلا- یؤمنوا حتی یروا العذاب الألیم أی حین لا- ینفعهم ذلک، و یکون حسرة علیهم، و قد قال تعالی لهما أی لموسی و هارون حین دعوا بهذا: قَدْ أُجِیبَتْ دَعْوَتُکُما فهذا من إجابة اللّه تعالی دعوة کلیمه و أخیه هارون علیهما السلام. و من ذلک الحدیث الذی رواه الإمام أحمد: حدثنا سلیمان ابن حرب، حدثنا حماد بن سلمة، عن علی بن زید، عن یوسف بن مهران، عن ابن عباس، قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم: (لما قال فرعون: آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِی آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِیلَ قال لی جبریل: لو رأیتنی و قد أخذت من حال البحر فدسسته فی فیه مخافة أن تناله الرحمة). و رواه الترمذی و ابن جریر و ابن أبی حاتم الآثار و التاریخ، ص: ۱۳۵ عند هذه الآیة من حدیث حماد بن سلمة. و قال الترمذی: حدیث حسن. و قال أبو داود الطیالسی: حدثنا شعبة، عن عدی بن ثابت و عطاء بن السائب، عن سعید بن جبیر، عن ابن عباس، قال قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم: (قال لی جبریل: لو رأیتنی و أنا آخذ من حال البحر فأدسه فی فم فرعون مخافة أن یناله الرحمة). و رواه الترمذی و ابن جریر من حدیث شعبة، و قال الترمذی: حسن غریب صحیح. و أشار ابن جریر فی روایة إلی وقفه. و قال ابن أبی حاتم: حدثنا أبو سعید الأشج، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن عمر بن عبد اللّه بن یعلی الثقفی، عن سعید بن جبیر، عن ابن عباس، قال: لما أغرق اللّه فرعون أشار بإصبعه و رفع صوته آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِی آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِیلَ قال: فخاف جبریل أن تسبق رحمة اللّه فیه غضبه، فجعل یأخذ الحال بجناحیه فیضرب به وجهه فیرمسه. و رواه ابن جریر من حدیث أبی خالد به. و قد رواه ابن جریر من طریق کثیر بن زاذان و لیس بمعروف. و عن أبی حازم عن أبی هریرة، قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم: (قال لی جبریل: یا محمد، لو رأیتنی و أنا أعظه و أدس من الحال فی فیه مخافة أن تدرکه رحمة اللّه فیغفر له). یعنی فرعون. و قد أرسله غیر واحد من السلف کإبراهیم التیمی و قتادة و میمون بن مهران، و یقال: إن الضحاک بن قیس خطب به الناس. و فی بعض الروایات: (إن جبریل قال: ما بغضت أحدا بغضی لفرعون حین قال: أنا ربکم الأعلی، و لقد جعلت أدس فی فیه الطین حین قال ما قال). و قوله تعالی: آلْآنَ وَ قَدْ عَصَیْتَ قَبْلُ وَ کُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِینَ (۹۱) استفهام إنکار، و نص علی عدم قبوله تعالی منه ذلک، لأنه و اللّه أعلم، لو رد إلی الدنیا کما کان لعاد إلی ما کان علیه، کما أخبر تعالی عن الکفار إذا عاینوا النار و شاهدوها أنهم یقولون: یا لَیْتَنا نُرَدُّ وَ لا نُکَذِّبَ بِآیاتِ رَبِّنا وَ نَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ (۲۷)، قال اللّه: بَلْ بَدا لَهُمْ ما کانُوا یُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ (۲۸)، و قوله: فَالْیَوْمَ نُنَجِّیکَ بِبَدَنِکَ لِتَکُونَ لِمَنْ خَلْفَکَ آیَةً. قال ابن عباس و غیر واحد: شک الآثار و التاریخ، ص: ۱۳۶ بعض بنی إسرائیل فی موت فرعون، حتی قال بعضهم: إنه لا- یموت، فأمر اللّه البحر فرفعه علی مرتفع، قیل: علی وجه الماء، و قیل: علی نجوة من الأرض، و علیه درعه التی یعرفونها من ملابسه لیتحققوا بذلک هلاکه و یعلموا قدرة اللّه علیه، و لهذا قال: فَالْیَوْمَ نُنَجِّیکَ بِبَدَنِکَ أی مصاحبا درعک المعروفة بک لِتَکُونَ أی أنت آیة لِمَنْ خَلْفَکَ أی من بنی إسرائیل، دلیلا- علی قدرة اللّه الذی أهلکه. و لهذا قرأ بعض السلف: لِتَکُونَ لِمَنْ خَلْفَکَ آیَةً، و یحتمل أن یکون المراد ننجیک مصاحبا لتکون درعک علامة لمن وراءک من بنی إسرائیل علی معرفتک و أنک هلکت، و اللّه أعلم، و قد کان هلاکه و جنوده فی یوم عاشوراء، کما قال الإمام البخاری فی صحیحه: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن أبی بشر، عن سعید بن جبیر، عن ابن عباس، قال: قدم النبی صلّی اللّه علیه و سلم المدینة و

اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا اليوم الذى تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون، قال النبى صلّى اللّه عليه و سلم: (أنتم أحق بموسى منهم فصوموا). و أصل الحديث فى الصحيحين و غيرهما، و اللّه أعلم.

أمر بنى إسرائيل بعد هلاك فرعون

أمر بنى إسرائيل بعد هلاك فرعون قال اللّه تعالى فى سورة الأعراف: فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ كانُوا عَنْها غافِلِينَ (۱۳۶) وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا الَّتِي بارَكْنا فِيها وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا وَ دَمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ ما كانُوا يَعْرِشُونَ (۱۳۷) وَ جاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلى أَصْنامٍ لَهُمْ قالُوا يا مُوسَى اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (۱۳۸) إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۳۹) قالَ أَ غَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلهاً وَ هُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ (۱۴۰) وَ إِذْ أَنْجَيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُقَتِّلُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَ فِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (۱۴۱) .. يذكر تعالى ما كان من أمر فرعون و جنوده فى غرقهم، و كيف سلبهم عزهم و مالهم و أنفسهم، و أورث بنى إسرائيل جميع الآثار و التاريخ، ص: ۱۳۷ أموالهم و أملاكهم، كما قال: كَذلِكَ وَ أَوْرَثْناها بَنِي إِسْرائِيلَ (۵۹)، و قال: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ (۵)، و قال هاهنا وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا الَّتِي بارَكْنا فِيها وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا وَ دَمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ ما كانُوا يَعْرِشُونَ (۱۳۷) أى أهلك ذلك جميعه، و سلبهم عزهم العزيز العريض فى الدنيا، و هلك الملك و حاشيته و أمراؤه و جنوده، و لم يبق ببلد مصر سوى العامة و الرعايا. فذكر ابن عبد الحكم فى تاريخ مصر: أنه فى ذلك الزمان تسلط نساء مصر على رجالها بسبب أن نساء الأمراء و الكبراء تزوجن بمن دونهن من العامة، فكانت لهن السطوة عليهم، و استمرت هذه سنّة نساء مصر إلى يومك هذا. و عند أهل الكتاب: أن بنى إسرائيل لما أمروا بالخروج من مصر جعل اللّه ذلك الشهر أول سنتهم، و أمروا أن يذبح كل أهل بيت حملا من الغنم، فإن كانوا لا يحتاجون إلى حمل فليشترك الجار و جاره فيه، فإذا ذبحوه فلينضحوا من دمه على أعتاب أبوابهم ليكون علامة لهم على بيوتهم، و لا يأكلونه مطبوخا و لكن مشويا برأسه و أكارعه و بطنه و لا يبقوا منه شيئا، و لا يكسروا له عظما، و لا يخرجوا منه شيئا إلى خارج بيوتهم، و ليكن خبزهم فطيرا سبعة أيام ابتداؤها من الرابع عشر من الشهر الأول من سنتهم، و كان ذلك فى فصل الربيع، فإذا أكلوا فلتكن أوساطهم مشدودة، و خفافهم فى أرجلهم، و عصيهم فى أيديهم، و ليأكلوا بسرعة قياما و مهما فضل عن عشائهم، فما بقى إلى الغد فليحرقوه بالنار، و شرع لهم هذا عيدا لأعقابهم ما دامت التوراة معمولا بها، فإذا نسخت بطل شرعها و قد وقع. قالوا: و قتل اللّه عز و جل فى تلك الليلة أبكار القبط، و أبكار دوابهم، ليشتغلوا عنهم و خرج بنو إسرائيل حين انتصف النهار، و أهل مصر فى مناحة عظيمة على أبكار أولادهم، و أبكار أموالهم، ليس من بيت إلا و فيه عويل و حين جاء الوحى إلى موسى خرجوا مسرعين، فحملوا العجين قبل اختماره و حملوا الأزواد فى الأردية و ألقوها على عواتقهم، و كانوا قد استعاروا من أهل مصر حليا كثيرا، فخرجوا و هم ستمائة ألف رجل الآثار و التاريخ، ص: ۱۳۸ سوى الذرارى بما معهم من الأنعام، و كانت مدة مقامهم بمصر أربعمائة سنة و ثلاثين سنة، هذا نص كتابهم، و هذه السنة عندهم تسمى سنة الفسخ، و هذا العيد عيد الفسخ، و لهم عيد الفطير، و عيد الحمل، و هو أول السنة، و هذه الأعياد الثلاثة آكد أعيادهم منصوص عليها فى كتابهم. و لما خرجوا من مصر أخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام، و خرجوا على طريق بحر سوف، و كانوا فى النهار يسيرون و السحاب بين أيديهم يسير أمامهم فيه عمود نور، و بالليل أمامهم عمود نار، فانتهى بهم الطريق إلى ساحل البحر، فنزلوا هنالك و أدركهم فرعون و جنوده من المصريين و هم هناك حلول على شاطئ اليم، فقلق كثير من بنى إسرائيل حتى قال قائلهم كان بقاؤنا بمصر أحب إلينا من الموت بهذه البرية، و قال موسى عليه السلام لمن قال هذه المقالة: لا تخشوا فإن فرعون و جنوده لا يرجعون إلى بلدهم بعد هذا، قالوا: و أمر اللّه موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه، و أن يقسمه ليدخل بنو إسرائيل فى البحر و

اليبس، و صار الماء من هاهنا و هاهنا كالجبلين، و صار وسطه يبسا، لأن اللّه سلط عليه ريح الجنوب و السموم فجاز بنو إسرائيل البحر و اتبعهم فرعون و جنوده، فلما توسطوه أمر اللّه موسى فضرب البحر بعصاه فرجع الماء كما كان عليهم، لكن عند أهل الكتاب: أن هذا كان فى الليل، و أن البحر ارتطم عليهم عند الصبح، و هذا من غلطهم، و عدم فهمهم فى تعريبهم، و اللّه أعلم، قالوا: و لما أغرق اللّه فرعون و جنوده حينئذ سبح موسى و بنو إسرائيل بهذا التسبيح للرب، و قالوا: (نسبح الرب البهى الذى قهر الجنود و نبذ فرسانها فى البحر المنيع المحمود)، و هو تسبيح طويل، قالوا: و أخذت مريم النبيهٔ أخت هارون دفا بيدها، و خرج النساء فى أثرها كلهن بدفوف و طبول، و جعلت مريم ترتل لهن و تقول: سبحان الرب القهار الذى قهر الخيول و ركبانها إلقاء فى البحر. هكذا رأيته فى كتابهم، و لعل هذا هو من الذى حمل محمد بن كعب القرظى على زعمه، أن مريم بنت عمران أم عيسى هى أخت هارون و موسى مع قوله: يا أُخْتَ هارُونَ. و قد بينا غلطه فى ذلك و أن هذا لا يمكن أن يقال و لم يتابعه أحد عليه، بل كل واحد خالفه فيه، و لو قدر أن الآثار و التاريخ، ص: ۱۳۹ هذا محفوظ فهذه مريم بنت عمران أخت موسى و هارون عليهما السلام، و أم عيسى عليها السلام، وافقتها فى الاسم و اسم الأب و اسم الأخ، لأنهم كما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم للمغيرهٔ بن شعبهٔ لما سأله أهل نجران عن قوله: يا أخت هارون، فلم يدر ما يقول لهم حتى سأل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم عن ذلك، فقال: (أما علمت أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم). رواه مسلم. و قولهم: النبيهٔ كما يقال للمرأهٔ من بيت الملك ملكهٔ، و من بيت الإمرهٔ أميرهٔ، و إن لم تكن مباشرهٔ شيئا من ذلك، فكذا هذه استعارهٔ لها، لا أنها نبيهٔ حقيقهٔ يوحى إليها، و ضربها بالدف فى مثل هذا اليوم الذى هو أعظم الأعياد عندهم، دليل على أنه قد كان شرع من قبلنا ضرب الدف فى العيد، و هذا مشروع لنا أيضا فى حق النساء، لحديث الجاريتين اللتين كانتا عند عائشهٔ تضربان بالدف فى أيام منى، و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مضطجع مولى ظهره إليهم و وجهه إلى الحائط، فلما دخل أبو بكر زجرهن، و قال: أ بمزمور الشيطان فى بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؟ فقال: (دعهن يا أبا بكر، فإن لكل قوم عيدا و هذا عيدنا). و هكذا يشرع عندنا فى الأعراس، و لقدوم الغياب، كما هو مقرر فى موضعه، و اللّه أعلم. و ذكروا أنهم لما جاوزوا البحر و ذهبوا قاصدين إلى بلاد الشام مكثوا ثلاثهٔ أيام لا يجدون ماء، فتكلم من تكلم منهم بسبب ذلك، فوجدوا ماء زعاقا أجاجا لم يستطيعوا شربه، فأمر اللّه موسى فأخذ خشبهٔ فوضعها فيه فحلا و ساغ شربه، و علمه الرب هنالك فرائض و سننا و وصاه وصايا كثيرهٔ. و قد قال اللّه تعالى فى كتابه العزيز المهيمن على ما عداه من الكتب: وَ جاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلى أَصْنامٍ لَهُمْ قالُوا يا مُوسَى اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (۱۳۸) إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۳۹) قالوا هذا الجهل و الضلال، و قد عاينوا من آيات اللّه و قدرته ما دلهم على صدق ما جاءهم به رسول ذى الجلال و الإكرام، و ذلك أنهم مروا على قوم يعبدون أصناما، قيل: كانت على صور البقر، فكأنهم سألوهم لم يعبدونها، فزعموا لهم أنها تنفعهم و تضرهم و يسترزقون بها عند الضرورات، فكأن بعض الجهال منهم صدقوهم فى ذلك، فسألوا نبيهم الكليم الكريم العظيم أن يجعل لهم آلهة الآثار و التاريخ، ص: ۱۴۰ كما لأولئك آلهة، فقال لهم مبينا لهم أنهم لا يعقلون، و لا يهتدون: إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ، ثم ذكرهم نعمهٔ اللّه عليهم فى تفضيله إياهم على عالمى زمانهم بالعلم و الشرع، و الرسول الذى بين أظهرهم و ما أحسن به إليهم، و ما امتن به عليهم، من إنجائهم من قبضهٔ فرعون الجبار العنيد، و إهلاكه إياه و هم ينظرون، و توريثه إياهم ما كان فرعون و ملؤه يجمعونه من الأموال و السعادهٔ، و ما كانوا يعرشون، و بين لهم أنه لا تصلح العبادهٔ إلا للّه وحده لا شريك له، لأنه الخالق الرازق القهار، و ليس كل بنى إسرائيل سأل هذا السؤال بل هذا الضمير عائد على الجنس فى قوله: وَ جاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلى أَصْنامٍ لَهُمْ قالُوا يا مُوسَى اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ أى قال بعضهم، كما فى قوله: وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً (۴۷) وَ عُرِضُوا عَلى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً (۴۸) فالذين زعموا هذا بعض الناس لا كلهم. و قد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهرى، عن سنان بن أبى سنان الديلى، عن أبى واقد الليثى، قال: خرجنا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قبل حنين، فمررنا بسدرهٔ، فقلنا: يا رسول اللّه، اجعل لنا ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط، و كان

الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة و يعكفون حولها، فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلم: (اللّه أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، إنكم تركبون سنن الذين من قبلكم). و رواه النسائى عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به. و رواه الترمذى عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومى، عن سفيان بن عيينة، عن الزهرى به. ثم قال: حسن صحيح. و قد روى ابن جرير من حديث محمد بن إسحاق و معمر و عقيل، عن الزهرى، عن سنان بن أبى سنان، عن أبى واقد الليثى، أنهم خرجوا من مكة مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إلى خيبر، قال: و كان للكفار سدرة يعكفون عندها، و يعلقون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة، قال فقلنا يا رسول اللّه، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط. قال صلّى اللّه عليه و سلم (قلتم: و الذى نفسى بيده، كما قال قوم موسى الآثار و التاريخ، ص: ۱۴۱ لموسى: اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (۱۳۸) إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۳۹)). و المقصود: أن موسى عليه السلام لما انفصل من بلاد مصر و واجه بلاد بيت المقدس، وجد فيها قوما من الجبارين من الحيثانيين و الفزاريين و الكنعانيين و غيرهم، فأمرهم موسى عليه السلام بالدخول عليهم و مقاتلتهم و إجلائهم إياهم عن بيت المقدس، فإن اللّه كتبه لهم، و وعدهم إياه على لسان إبراهيم الخليل، أو موسى الكليم الجليل، فأبوا و نكلوا عن الجهاد، فسلط اللّه عليهم الخوف و ألقاهم فى التيه يسيرون و يحلون و يرتحلون و يذهبون و يجيئون فى مدة من السنين طويلة هى من العدد أربعون، كما قال اللّه تعالى فى سورة المائدة: وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَ آتاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ (۲۰) يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَ لا تَرْتَدُّوا عَلى أَدْبارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ (۲۱) قالُوا يا مُوسى إِنَّ فِيها قَوْماً جَبَّارِينَ وَ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنَّا داخِلُونَ (۲۲) قالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِما ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۲۳) قالُوا يا مُوسى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ (۲۴) قالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ (۲۵) قالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ (۲۶) .. يذكرهم نبى اللّه نعمة اللّه عليهم، و إحسانه عليهم بالنعم الدينية و الدنيوية، و يأمرهم بالجهاد فى سبيل اللّه، و مقاتلة أعدائه، فقال: يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَ لا تَرْتَدُّوا عَلى أَدْبارِكُمْ أى تنكصوا على أعقابكم، و تنكلوا على قتال أعدائكم فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ أى فتخسروا بعد الربح، و تنقصوا بعد الكمال قالُوا يا مُوسى إِنَّ فِيها قَوْماً جَبَّارِينَ أى عتاة كفرة متمردين وَ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنَّا داخِلُونَ خافوا من هؤلاء الجبارين، و قد عاينوا هلاك فرعون، و هو أجبر من هؤلاء الآثار و التاريخ، ص: ۱۴۲ و أشد بأسا و أكثر جمعا و أعظم جندا، و هذا يدل على أنهم ملومون فى هذه المقالة و مذمومون على هذه الحالة من الذلة عن مصاولة الأعداء و مقاومة المردة الأشقياء. و قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا آثارا فيها مجازفات كثيرة باطلة يدل العقل و النقل على خلافها من أنهم كانوا أشكالا هائلة ضخاما جدا، حتى أنهم ذكروا أن رسل بنى إسرائيل لما قدموا عليهم تلقاهم رجل من رسل الجبارين فجعل يأخذهم واحدا واحدا و يلفهم فى أكمامه و حجزة سراويله، و هم اثنا عشر رجلا فجاء بهم فنثرهم بين يدى ملك الجبارين، فقال: ما هؤلاء؟ و لم يعرف أنهم من بنى آدم حتى عرفوه، و كل هذه هذيانات و خرافات لا حقيقة لها، و أن الملك بعث معهم عنبا كل عنبة تكفى الرجل، و شيئا من ثمارهم ليعلموا ضخامة أشكالهم، و هذا ليس بصحيح و ذكروا هاهنا أن عوج ابن عنق خرج من عند الجبارين إلى بنى إسرائيل ليهلكهم، و كان طوله ثلاثة آلاف ذراع و ثلاثمائة ذراع و ثلاثة و ثلاثين ذراعا و ثلث ذراع، هكذا ذكره البغوى و غيره و ليس بصحيح كما قدمنا بيانه عند قوله صلّى اللّه عليه و سلم: (إن اللّه خلق آدم طوله ستون ذراعا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن). قالوا: فعمد عوج إلى قمة جبل، فاقتلعها ثم أخذها بيديه ليلقيها على جيش موسى، فجاء طائر فنقر تلك الصخرة فخرقها فصارت طوقا فى عنق عوج بن عنق، ثم عمد موسى إليه فوثب فى الهواء عشرة أذرع، و طوله عشرة أذرع و بيده عصاه، و طولها عشرة أذرع، فوصل إلى كعب قدمه فقتله، يروى هذا عن عوف البكالى، و نقله ابن جرير عن ابن عباس و فى إسناده إليه نظر. ثم هو مع هذا كله من الإسرائيليات، و كل هذه من وضع جهال بنى إسرائيل، فإن

الأخبار الكاذبة قد كثرت عندهم و لا تمييز لهم بين صحتها و باطلها، ثم لو كان هذا صحيحا لكان بنو إسرائيل معذورين فى النكول عن قتالهم، و قد ذمهم اللّه على نكولهم، و عاقبهم بالتيه على ترك جهادهم، و مخالفتهم رسولهم، و قد أشار عليهم رجلان صالحان منهم بالإقدام، و نهياهم عن الإحجام، و يقال: إنهما يوشع بن نون و كالب بن يوقنا، قاله ابن عباس و مجاهد و عكرمة و عطية و السدى و الربيع بن أنس و غير واحد. قالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ أى يخافون اللّه و قرأ بعضهم: (يخافون) أى يهابون أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا الآثار و التاريخ، ص: ۱۴۳ أى بالإسلام و الإيمان و الطاعة و الشجاعة ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أى إذا توكلتم على اللّه و استعنتم به و لجأتم إليه نصركم على عدوكم، و أيدكم عليهم، و أظفركم بهم قالُوا يا مُوسى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ فصمم ملؤهم على النكول عن الجهاد، و وقع أمر عظيم، و وهن كبير، فيقال: إن يوشع و كالب لما سمعا هذا الكلام شقا ثيابهما، و إن موسى و هارون سجدا إعظاما لهذا الكلام و غضبا للّه عز و جل، و شفقة عليهم من وبيل هذه المقالة قالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ قال ابن عباس: اقض بينى و بينهم قالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ عوقبوا على نكولهم بالتيهان فى الأرض، يسيروا إلى غير مقصد ليلا و نهارا و صباحا و مساء، و يقال: إنه لم يخرج أحد من التيه ممن دخله، بل ماتوا كلهم فى مدة أربعين سنة، و لم يبق إلا ذراريهم سوى يوشع و كالب عليهما السلام، لكن أصحاب محمد صلّى اللّه عليه و سلم يوم بدر لم يقولوا له كما قال قوم موسى لموسى، بل لما استشارهم فى الذهاب إلى النفير تكلم الصديق فأحسن و غيره من المهاجرين، ثم جعل يقول: (أشيروا علىّ). حتى قال سعد بن معاذ: كأنك تعرض بنا يا رسول اللّه، فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، و ما نكره أن يلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء، لعل اللّه يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة اللّه. فسر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بقول سعد و بسطه ذلك. و قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن مخارق بن عبد اللّه الأحمسى، عن طارق، هو ابن شهاب، أن المقداد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يوم بدر: يا رسول اللّه، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ و لكن اذهب أنت و ربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون. و هذا إسناد جيد من هذا الوجه، و له طرق أخرى. قال أحمد: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا إسرائيل، الآثار و التاريخ، ص: ۱۴۴ عن مخارق، عن طارق بن شهاب، قال: قال عبد اللّه بن مسعود: لقد شهدت من المقداد مشهدا، لأن أكون أنا صاحبه أحب إلىّ مما عدل به، أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و هو يدعو على المشركين، قال: و اللّه يا رسول اللّه، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ و لكنا نقاتل عن يمينك، و عن يسارك و من بين يديك، و من خلفك، فرأيت وجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يشرق لذلك، و سر بذلك. رواه البخارى فى التفسير و المغازى من طرق عن مخارق به. و قال الحافظ أبو بكر بن مردويه: حدثنا على بن الحسن بن على، حدثنا أبو حاتم الرازى، حدثنا محمد بن عبد اللّه الأنصارى، حدثنا حميد، عن أنس، أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لما سار إلى بدر استشار المسلمين، فأشار عليه عمر، ثم استشارهم فقالت الأنصار: يا معشر الأنصار، إياكم يريد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، قالوا: إذا لا نقول له كما قالت بنو إسرائيل لموسى: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ و الذى بعثك بالحق إن ضربت أكبادها إلى برك العماد لاتبعناك. رواه الإمام أحمد عن عبيدة بن حميد، عن حميد الطويل، عن أنس به. و رواه النسائى عن محمد بن المثنى، عن خالد بن الحارث، عن حميد، عن أنس به نحوه. و أخرجه ابن حبان فى صحيحه عن أبى يعلى، عن عبد الأعلى بن حماد، عن معتمر، عن حميد، عن أنس به نحوه.

سؤال الرؤية

سؤال الرؤية قال اللّه تعالى:* وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَ قالَ مُوسى لِأَخِيهِ هارُونَ اخْلُفْنِي

فِي قَوْمِي وَ أَصْلِحْ وَ لا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (۱۴۲) وَ لَمَّا جاءَ مُوسى لِمِيقاتِنا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قالَ لَنْ تَرانِي وَ لكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (۱۴۳) قالَ يا مُوسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسالاتِي وَ بِكَلامِي فَخُذْ ما آتَيْتُكَ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (۱۴۴) وَ كَتَبْنا لَهُ فِي الْأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ الآثار و التاريخ، ص: ۱۴۵ فَخُذْها بِقُوَّةٍ وَ أْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها سَأُرِيكُمْ دارَ الْفاسِقِينَ (۱۴۵) سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ كانُوا عَنْها غافِلِينَ (۱۴۶) وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ لِقاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۴۷)، (الأعراف). قال جماعة من السلف، منهم ابن عباس و مسروق و مجاهد: الثلاثون ليلة هى شهر ذى القعدة بكماله، و أتمت أربعين ليلة بعشر ذى الحجة، فعلى هذا يكون كلام اللّه له يوم عيد النحر، و فى مثله أكمل اللّه عز و جل لمحمد صلّى اللّه عليه و سلم دينه و أقام حجته و براهينه. و المقصود: أن موسى عليه السلام لما استكمل الميقات و كان فيه صائما، يقال: إنه لم يستطعم الطعام، فلما كمل الشهر أخذ لحا شجرة فمضغه ليطيب ريح فمه، فأمر اللّه أن يمسك عشرا أخرى، فصارت أربعين ليلة. و لهذا ثبت فى الحديث: (أن خلوف فم الصائم أطيب عند اللّه من ريح المسك). فلما عزم على الذهاب استخلف على شعب بنى إسرائيل أخاه هارون المحبب المبجل الجليل، و هو ابن أمه و أبيه، و وزيره فى الدعوة إلى مصطفيه، فوصاه و أمره، و ليس فى هذا لعلو منزلته فى نبوته منافاة، قال اللّه تعالى: وَ لَمَّا جاءَ مُوسى لِمِيقاتِنا أى فى الوقت الذى أمر بالمجىء فيه وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ أى كلمه اللّه من وراء حجاب إلا أنه أسمعه الخطاب فناداه و ناجاه و قربه و أدناه، و هذا مقام رفيع و معقل منيع و منصب شريف و منزل منيف، فصلوات اللّه عليه تترى و سلامه عليه فى الدنيا و الأخرى، و لما أعطى هذه المنزلة العلية، و المرتبة السنية، و سمع الخطاب سأل رفع الحجاب، فقال للعظيم الذى لا تدركه الأبصار القوى البرهان: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قالَ لَنْ تَرانِي ثم بين تعالى أنه لا يستطيع أن يثبت عند تجليه تبارك و تعالى، لأن الجبل الذى هو أقوى و أكبر ذاتا و أشد ثباتا من الإنسان لا يثبت عند التجلى من الرحمن، و لهذا قال: وَ لكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي. و فى الكتب المتقدمة أن اللّه تعالى قال له: يا موسى، إنه لا يرانى حى إلا مات، الآثار و التاريخ، ص: ۱۴۶ و لا يابس إلا تدهده. و فى الصحيحين عن أبى موسى، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أنه قال: (حجابه النور- و فى رواية: النار- لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه). و قال ابن عباس فى قوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ: ذاك نوره الذى هو نوره إذا تجلى لشىء لا يقوم له شىء، و لهذا قال تعالى: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ قال مجاهد: وَ لكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي فإنه أكبر منك و أشد خلقا، فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ، فنظر إلى الجبل لا يتمالك، و أقبل الجبل فدك على أوله، و رأى موسى ما يصنع الجبل، فخر صعقا. و قد ذكرنا فى التفسير ما رواه الإمام أحمد و الترمذى و صححه ابن جرير و الحاكم من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، زاد ابن جرير و ليث، عن أنس أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قرأ: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا و قال صلّى اللّه عليه و سلم: (هكذا، بإصبعه، و وضع النبى صلّى اللّه عليه و سلم الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر، فساخ الجبل). لفظ ابن جرير. و قال السدى عن عكرمة و عن ابن عباس: ما تجلى، يعنى من العظمة، إلا قدر الخنصر، فجعل الجبل دكّا قال: ترابا وَ خَرَّ مُوسى صَعِقاً أى مغشيا عليه، و قال قتادة: ميتا، و الصحيح الأول، لقوله: فَلَمَّا أَفاقَ فإن الإفاقة إنما تكون عن غشى، قال: سُبْحانَكَ تنزيه و تعظيم و إجلال أن يراه بعظمته أحد تُبْتُ إِلَيْكَ أى فلست أسأل بعد هذا الرؤية وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ أنه لا يراك حى إلا مات، و لا يابس إلا تدهده. و قد ثبت فى الصحيحين من طريق عمرو بن يحيى بن عمارة بن أبى حسن المازنى الأنصارى، عن أبيه، عن أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: (لا تخيرونى من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدرى أفاق قبلى؟ أو جوزى بصعقة الطور؟) لفظ البخارى. و فى أوله: قصة اليهودى الذى لطم وجهه الأنصارى، حين قال: لا و الذى اصطفى موسى على البشر، فقال

رسول اللّه: (لا تخيرونى من بين الأنبياء). و فى الآثار و التاريخ، ص: ۱۴۷ الصحيحين من طريق الزهرى عن أبى سلمة و عبد الرحمن الأعرج، عن أبى هريرة، عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم بنحوه، و فيه: (لا تخيرونى على موسى)، و ذكر تمامه. و هذا من باب الهضم و التواضع أو نهى عن التفضيل بين الأنبياء على وجه الغضب و العصبية، أو ليس هذا إليكم، بل اللّه هو الذى رفع بعضهم فوق بعض درجات، و ليس ينال هذا بمجرد الرأى بل بالتوقيف. و من قال: إن هذا قاله قبل أن يعلم أنه أفضل، ثم نسخ باطلاعه على أفضليته عليهم كلهم، ففى قوله نظر لأن هذا من رواية أبى سعيد و أبى هريرة، و ما هاجر أبو هريرة إلا عام حنين متأخرا، فيبعد أنه لم يعلم بهذا إلا بعد هذا، و اللّه أعلم، و لا شك أنه صلوات اللّه و سلامه عليه، أفضل البشر بل الخليقة، قال اللّه تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ و ما كملوا إلا بشرف نبيهم، و ثبت بالتواتر عنه صلوات اللّه و سلامه عليه، أنه قال: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، و لا فخر)، ثم ذكر اختصاصه بالمقام المحمود الذى يغبطه به الأولون و الآخرون، الذى تحيد عنه الأنبياء و المرسلون، حتى أولو العزم الأكملون: نوح و إبراهيم و موسى و عيسى ابن مريم. و قوله صلّى اللّه عليه و سلم: (فأكون أول من يفيق، فأجد موسى باطشا بقائمة العرش، أى آخذا بها، فلا أدرى أفاق قبلى. جوزى بصعقة الطور؟). دليل على أن هذا الصعق الذى يحصل للخلائق فى عرصات القيامة حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين عباده، فيصعقون من شدة الهيبة و العظمة و الجلال، فيكون أولهم إفاقة محمد خاتم الأنبياء، و مصطفى رب الأرض و السماء على سائر الأنبياء، فيجد موسى باطشا بقائمة العرش، قال الصادق المصدوق: (لا أدرى أصعق فأفاق قبلى؟) أى كانت صعقته خفيفة، لأنه قد ناله بهذا السبب فى الدنيا صعق، (أو جوزى بصعقة الطور؟) يعنى فلم يصعق بالكلية، و هذا شرف كبير لموسى عليه السلام من هذه الحيثية، و لا يلزم تفضيله بها مطلقا من كل وجه، و لهذا نبه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم على شرفه و فضيلته بهذه الصفة، لأن المسلم لما ضرب وجه اليهودى حين قال: لا و الذى اصطفى موسى على البشر، قد يحصل فى نفوس المشاهدين لذلك هضم بجناب موسى عليه السلام، فبين النبى صلّى اللّه عليه و سلم فضيلته و شرفه، و قوله تعالى: قالَ يا مُوسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسالاتِي وَ بِكَلامِي أى فى ذلك الآثار و التاريخ، ص: ۱۴۸ الزمان، لا ما قبله لأن إبراهيم الخليل أفضل منه، كما تقدم بيان ذلك فى قصة إبراهيم، و لا ما بعده لأن محمدا صلّى اللّه عليه و سلم أفضل منهما، كما ظهر شرفه ليلة الإسراء على جميع المرسلين و الأنبياء، و كما ثبت أنه قال: (سأقوم مقاما يرغب إلى الخلق حتى إبراهيم). و قوله تعالى: فَخُذْ ما آتَيْتُكَ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ أى فخذ ما أعطيتك من الرسالة و الكلام، و لا تسأل زيادة عليه، و كن من الشاكرين على ذلك قال اللّه تعالى: وَ كَتَبْنا لَهُ فِي الْأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ و كانت الألواح من جوهر نفيس ففى الصحيح: أن اللّه كتب له التوراة بيده، و فيها مواعظ عن الآثام و تفصيل لكل ما يحتاجون إليه من الحلال و الحرام فَخُذْها بِقُوَّةٍ أى بعزم و نية صادقة قوية وَ أْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها أى يضعوها على أحسن وجوهها و أجمل محاملها سَأُرِيكُمْ دارَ الْفاسِقِينَ أى سترون عاقبة الخارجين عن طاعتى المخالفين لأمرى المكذبين لرسلى سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ عن فهمها و تدبرها، و تعقل معناها الذى أريد منها، و دل عليه مقتضاها: الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها أى و لو شاهدوا مهما شاهدوا من الخوارق و المعجزات لا ينقادون لاتباعها وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا أى لا يسلكوه و لا يتبعوه وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا أى صرفناهم عن ذلك لتكذيبهم بآياتنا، و تغافلهم عنها و إعراضهم عن التصديق بها، و التفكر فى معناها، و ترك العمل بمقتضاها وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ لِقاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ.

قصة عبادتهم العجل فى غيبة موسى

قصة عبادتهم العجل فى غيبة موسى قال اللّه تعالى فى سورة الأعراف: وَ اتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَ لَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَ لا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَ كانُوا ظالِمِينَ (۱۴۸) وَ لَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَ رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا رَبُّنا وَ يَغْفِرْ لَنا الآثار و التاريخ، ص: ۱۴۹ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ (۱۴۹) وَ لَمَّا رَجَعَ مُوسى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً قالَ بِئْسَما خَلَفْتُمُونِي

مِنْ بَعْدِی أَ عَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّکُمْ وَ أَلْقَی الْأَلْواحَ وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِیهِ یَجُرُّهُ إِلَیْهِ قالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِی وَ کادُوا یَقْتُلُونَنِی فَلا تُشْمِتْ بِیَ الْأَعْداءَ وَ لا تَجْعَلْنِی مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِینَ (۱۵۰) قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ لِأَخِی وَ أَدْخِلْنا فِی رَحْمَتِکَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِینَ (۱۵۱) إِنَّ الَّذِینَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَیَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذِلَّةٌ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُفْتَرِینَ (۱۵۲) وَ الَّذِینَ عَمِلُوا السَّیِّئاتِ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِها وَ آمَنُوا إِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۵۳) وَ لَمَّا سَکَتَ عَنْ مُوسَی الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْواحَ وَ فِی نُسْخَتِها هُدیً وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِینَ هُمْ لِرَبِّهِمْ یَرْهَبُونَ (۱۵۴) .. و قال تعالی فی سورة طه:* وَ ما أَعْجَلَکَ عَنْ قَوْمِکَ یا مُوسی (۸۳) قالَ هُمْ أُولاءِ عَلی أَثَری وَ عَجِلْتُ إِلَیْکَ رَبِّ لِتَرْضی (۸۴) قالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَکَ مِنْ بَعْدِکَ وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِیُّ (۸۵) فَرَجَعَ مُوسی إِلی قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً قالَ یا قَوْمِ أَ لَمْ یَعِدْکُمْ رَبُّکُمْ وَعْداً حَسَناً أَ فَطالَ عَلَیْکُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ یَحِلَّ عَلَیْکُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّکُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِی (۸۶) قالُوا ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَکَ بِمَلْکِنا وَ لکِنَّا حُمِّلْنا أَوْزاراً مِنْ زِینَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْناها فَکَذلِکَ أَلْقَی السَّامِرِیُّ (۸۷) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقالُوا هذا إِلهُکُمْ وَ إِلهُ مُوسی فَنَسِیَ (۸۸) أَ فَلا یَرَوْنَ أَلَّا یَرْجِعُ إِلَیْهِمْ قَوْلًا وَ لا یَمْلِکُ لَهُمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً (۸۹) وَ لَقَدْ قالَ لَهُمْ هارُونُ مِنْ قَبْلُ یا قَوْمِ إِنَّما فُتِنْتُمْ بِهِ وَ إِنَّ رَبَّکُمُ الرَّحْمنُ فَاتَّبِعُونِی وَ أَطِیعُوا أَمْرِی (۹۰) قالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَیْهِ عاکِفِینَ حَتَّی یَرْجِعَ إِلَیْنا مُوسی (۹۱) قالَ یا هارُونُ ما مَنَعَکَ إِذْ رَأَیْتَهُمْ ضَلُّوا (۹۲) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَ فَعَصَیْتَ أَمْرِی (۹۳) قالَ یَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْیَتِی وَ لا بِرَأْسِی إِنِّی خَشِیتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَیْنَ بَنِی إِسْرائِیلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِی (۹۴) قالَ فَما خَطْبُکَ یا سامِرِیُّ (۹۵) قالَ بَصُرْتُ بِما لَمْ یَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها وَ کَذلِکَ سَوَّلَتْ لِی نَفْسِی (۹۶) قالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَکَ فِی الْحَیاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِساسَ وَ إِنَّ لَکَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَ انْظُرْ إِلی إِلهِکَ الَّذِی ظَلْتَ عَلَیْهِ عاکِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِی الْیَمِّ نَسْفاً (۹۷) إِنَّما إِلهُکُمُ اللَّهُ الَّذِی لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ کُلَّ شَیْءٍ عِلْماً (۹۸).

الآثار و التاريخ، ص: ۱۵۰ يذكر تعالى ما كان من أمر بنى إسرائيل حين ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه، فمكث على الطور يناجيه ربه، و يسأله موسى عليه السلام عن أشياء كثيرة، و هو تعالى يجيبه عنها، فعمد رجل منهم يقال له: هارون السامرى، فأخذ ما كان استعاره من الحلى فصاغ منه عجلا، و ألقى فيه قبضة من التراب كان أخذها من أثر فرس جبريل حين رآه يوم أغرق اللّه فرعون على يديه، فلما ألقاها فيه خار كما يخور العجل الحقيقى، و يقال: إنه استحال عِجْلًا جَسَداً أى لحما و دما حيا يخور، قاله قتادة و غيره. و قيل: بل كانت الريح إذا دخلت من دبره خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة، فيرقصون حوله و يفرحون فَقالُوا هذا إِلهُکُمْ وَ إِلهُ مُوسی فَنَسِیَ أى فنسى موسى ربه عندنا و ذهب يتطلبه، و هو هاهنا تعالى اللّه عما يقولون علوا كبيرا، و تقدست أسماؤه و صفاته و تضاعفت آلاؤه و عداته، قال اللّه تعالى مبينا بطلان ما ذهبوا إليه و ما عولوا عليه من إلهية هذا الذى قصاراه أن يكون حيوانا بهيما أو شيطانا رجيما: أَ فَلا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَ لا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً، و قال: أَ لَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَ لا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَ كانُوا ظالِمِينَ فذكر أن هذا الحيوان لا يتكلم، و لا يرد جوابا، و لا يملك ضرا و لا نفعا، و لا يهدى إلى رشد، اتخذوه و هم ظالمون لأنفسهم عالمون فى أنفسهم بطلان ما هم عليه من الجهل و الضلال وَ لَمَّا سُقِطَ فِی أَيْدِيهِمْ أى ندموا على ما صنعوا وَ رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا رَبُّنا وَ يَغْفِرْ لَنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ و لما رجع موسى عليه السلام إليهم، و رأى ما هم عليه من عبادة العجل، و معه الألواح المتضمنة التوراة ألقاها، فيقال: إنه كسرها، و هكذا هو عند أهل الكتاب و إن اللّه أبدله غيرها، و ليس فى اللفظ القرآنى ما يدل على ذلك، إلا- أنه ألقاها حين عاين ما عاين. و عند أهل الكتاب: أنهما كانا لوحين، و ظاهر القرآن أنها ألواح متعددة، و لم يتأثر بمجرد الخبر من اللّه تعالى عن عبادة العجل، فأمره بمعاينة ذلك، و لهذا جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد و ابن حبان عن ابن عباس، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: الآثار و التاريخ، ص: ۱۵۱ (ليس الخبر كالمعاينة)، ثم أقبل عليهم فعنفهم و وبخهم و هجنهم فى صنيعهم هذا القبيح، فاعتذروا إليه بما ليس بصحيح قالوا إنا حُمِّلْنا أَوْزاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْناها فَكَذلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ تحرجوا من تملك حلى آل فرعون، و هم أهل حرب، و قد أمرهم اللّه بأخذه و أباحه لهم، و لم يتحرجوا بجهلهم، و قلة علمهم و عقلهم من عبادة العجل الجسد الذى له خوار، مع الواحد الأحد الفرد الصمد القهار، ثم أقبل على أخيه هارون عليهما السلام، قائلا له: يا هارُونُ ما مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (۹۲) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أى هلا- لما رأيت ما صنعوا اتبعتنى فأعلمتنى بما فعلوا؟

فقال: إِنِّی خَشِیتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَیْنَ بَنِی إِسْرائِیلَ أی ترکتهم و جئتنی و أنت قد استخلفتنی فیهم قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ لِأَخِی وَ أَدْخِلْنا فِی رَحْمَتِکَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِینَ (۱۵۱) و قد کان هارون علیه السلام نهاهم عن هذا الصنیع الفظیع أشد النهی و زجرهم عنه أتم الزجر. قال اللّه تعالی: وَ لَقَدْ قالَ لَهُمْ هارُونُ مِنْ قَبْلُ یا قَوْمِ إِنَّما فُتِنْتُمْ بِهِ أی إنما قدر اللّه أمر هذا العجل، و جعله یخور فتنهٔ و اختبارا لکم وَ إِنَّ رَبَّکُمُ الرَّحْمنُ أی لا هذا فَاتَّبِعُونِی أی فیما أقول لکم وَ أَطِیعُوا أَمْرِی (۹۰) قالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَیْهِ عاکِفِینَ حَتَّی یَرْجِعَ إِلَیْنا مُوسی (۹۱) یشهد اللّه لهارون علیه السلام وَ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً أنه نهاهم و زجرهم عن ذلک، فلم یطیعوه و لم یتبعوه، ثم أقبل موسی علی السامری قالَ فَما خَطْبُکَ یا سامِرِیُّ (۹۵) أی ما حملک علی ما صنعت قالَ بَصُرْتُ بِما لَمْ یَبْصُرُوا بِهِ أی رأیت جبرائیل و هو راکب فرسا فَقَبَضْتُ قَبْضَهً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ أی من أثر فرس جبریل، و قد ذکر بعضهم: أنه رآه و کلما وطئت بحوافرها علی موضع اخضرّ و أعشب، فأخذ من أثر حافرها، فلما ألقاه فی هذا العجل المصنوع من الذهب کان من أمره ما کان و لهذا قال: قالَ بَصُرْتُ بِما لَمْ یَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَهً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها وَ کَذلِکَ سَوَّلَتْ لِی نَفْسِی (۹۶) قالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَکَ فِی الْحَیاهِ أَنْ تَقُولَ لا مِساسَ و هذا دعاء علیه بأن لا یمس أحدا معاقبهٔ له علی مسه ما لم یکن له مسه هذا الآثار و التاریخ، ص: ۱۵۲ معاقبهٔ له فی الدنیا، ثم توعده فی الأخری، فقال: وَ إِنَّ لَکَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ و قرئ: لن نخلفه وَ انْظُرْ إِلی إِلهِکَ الَّذِی ظَلْتَ عَلَیْهِ عاکِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِی الْیَمِّ نَسْفاً قال: فعمد موسی علیه السلام إلی هذا العجل فحرقه بالنار، کما قاله قتادهٔ و غیره. و قیل: بالمبارد، کما قاله علی و ابن عباس و غیرهما. و هو نص أهل الکتاب، ثم ذراه فی البحر و أمر بنی إسرائیل فشربوا، فمن کان من عابدیه علق علی شفاههم من ذلک الرماد منه ما یدل علیه، و قیل: بل اصفرت ألوانهم، ثم قال تعالی إخبارا عن موسی أنه قال لهم: إِنَّما إِلهُکُمُ اللَّهُ الَّذِی لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ کُلَّ شَیْءٍ عِلْماً (۹۸). و قال تعالی: إِنَّ الَّذِینَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَیَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذِلَّهٌ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُفْتَرِینَ (۱۵۲) و هکذا وقع و قد قال بعض السلف: وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُفْتَرِینَ مسجلهٔ لکل صاحب بدعهٔ إلی یوم القیامهٔ، ثم أخبر تعالی عن حلمه و رحمته بخلقه و إحسانه علی عبیده فی قبوله توبهٔ من تاب إلیه بتوبته علیه فقال: وَ الَّذِینَ عَمِلُوا السَّیِّئاتِ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِها وَ آمَنُوا إِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۵۳) لکن لم یقبل اللّه توبهٔ عابدی العجل، إلا بالقتل، کما قال تعالی: وَ إِذْ قالَ مُوسی لِقَوْمِهِ یا قَوْمِ إِنَّکُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَکُمْ بِاتِّخاذِکُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلی بارِئِکُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَکُمْ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ عِنْدَ بارِئِکُمْ فَتابَ عَلَیْکُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِیمُ (۵۴) فیقال: إنهم أصبحوا یوما و قد أخذ من لم یعبد العجل فی أیدیهم السیوف، و ألقی اللّه علیهم ضبابا حتی لا یعرف القریب قریبه، و لا النسیب نسیبه، ثم مالوا علی عابدیه، فقتلوهم و حصدوهم، فیقال: إنهم قتلوا فی صبیحهٔ واحدهٔ سبعین ألفا، ثم قال تعالی: وَ لَمَّا سَکَتَ عَنْ مُوسَی الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْواحَ وَ فِی نُسْخَتِها هُدیً وَ رَحْمَهٌ لِلَّذِینَ هُمْ لِرَبِّهِمْ یَرْهَبُونَ (۱۵۴) استدل بعضهم بقوله: وَ فِی نُسْخَتِها علی إنها تکسرت، و فی هذا الاستدلال نظر، و لیس فی اللفظ ما یدل علی أنها تکسرت، و اللّه أعلم. الآثار و التاریخ، ص: ۱۵۳ و قد ذکر ابن عباس فی حدیث الفتون کما سیأتی أن عبادتهم العجل کانت علی أثر خروجهم من البحر، و ما هو ببعید، لأنهم حین خرجوا قالُوا یا مُوسَی اجْعَلْ لَنا إِلهاً کَما لَهُمْ آلِهَهٌ. و هکذا عند أهل الکتاب فإن عبادتهم العجل کانت قبل مجیئهم بلاد بیت المقدس، و ذلک أنهم لما أمروا بقتل من عبد العجل قتلوا فی أول یوم ثلاثهٔ آلاف، ثم ذهب موسی یستغفر لهم فغفر لهم، بشرط أن یدخلوا الأرض المقدسهٔ وَ اخْتارَ مُوسی قَوْمَهُ سَبْعِینَ رَجُلًا لِمِیقاتِنا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَهُ قالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَکْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِیَّایَ أَ تُهْلِکُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا إِنْ هِیَ إِلَّا فِتْنَتُکَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَ تَهْدِی مَنْ تَشاءُ أَنْتَ وَلِیُّنا فَاغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا وَ أَنْتَ خَیْرُ الْغافِرِینَ (۱۵۵)* وَ اکْتُبْ لَنا فِی هذِهِ الدُّنْیا حَسَنَهً وَ فِی الْآخِرَهِ إِنَّا هُدْنا إِلَیْکَ قالَ عَذابِی أُصِیبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ وَ رَحْمَتِی وَسِعَتْ کُلَّ شَیْءٍ فَسَأَکْتُبُها لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکاهَ وَ الَّذِینَ هُمْ بِآیاتِنا یُؤْمِنُونَ (۱۵۶) الَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الْأُمِّیَّ الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْراهِ وَ الْإِنْجِیلِ یَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ یُحِلُّ لَهُمُ الطَّیِّباتِ وَ یُحَرِّمُ عَلَیْهِمُ الْخَبائِثَ وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِی کانَتْ عَلَیْهِمْ فَالَّذِینَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِی أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۱۵۷)، (الأعراف). ذکر السدی و ابن عباس و غیرهما: أن هؤلاء السبعین کانوا علماء بنی إسرائیل، و معهم موسی و هارون و یوشع و ناداب و أبیهو ذهبوا

مع موسى عليه السلام، ليعتذروا عن بنى إسرائيل فى عبادة من عبد منهم العجل، و كانوا قد أمروا أن يتطيبوا و يتطهروا و يغتسلوا، فلما ذهبوا معه و اقتربوا من الجبل و عليه الغمام و عمود النور ساطع و صعد موسى الجبل، فذكر بنو إسرائيل أنهم سمعوا كلام اللّه، و هذا قد وافقهم عليه طائفة من المفسرين و حملوا عليه، قوله تعالى: وَ قَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (۷۵) و ليس هذا بلازم لقوله تعالى: فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ أى مبلغا و هكذا هؤلاء سمعوه مبلغا عن موسى عليه السلام، الآثار و التاريخ، ص: ۱۵۴ و زعموا أيضا أن السبعين رأوا اللّه، و هذا غلط منهم، لأنهم لما سألوا الرؤية أخذتهم الرجفة، كما قال تعالى: وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (۵۵) ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۵۶) و قال هاهنا: فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِيَّاىَ الآية. قال محمد بن إسحاق: اختار موسى من بنى إسرائيل سبعين رجلا، الخير فالخير، و قال: انطلقوا إلى اللّه فتوبوا إليه مما صنعتم، و سلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا و تطهروا و طهروا ثيابكم، فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه، و كان لا يأتيه إلا بإذن منه و علم، فطلب منه السبعون أن يسمعوا كلام اللّه، فقال: أفعل فلما دنا موسى من الجبل، وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله و دنا موسى، فدخل فى الغمام، و قال للقوم: ادنوا، و كان موسى إذا كلمه اللّه وقع على جبهته نور ساطع، لا يستطيع أحد من بنى آدم أن ينظر إليه، فضرب دونه بالحجاب، و دنا القوم حتى إذا دخلوا فى الغمام وقعوا سجودا فسمعوه و هو يكلم موسى يأمره و ينهاه: افعل و لا تفعل. فلما فرغ اللّه من أمره و انكشف عن موسى الغمام أقبل إليهم قالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً، فأخذتهم الرجفة، و هى الصاعقة، فالتقت أرواحهم فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه و يدعوه و يرغب إليه و يقول: رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِيَّاىَ أَ تُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا أى لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء الذين عبدوا العجل منا، فإنا برآء مما عملوا، و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و ابن جريج: إنما أخذتهم الرجفة، لأنهم لم ينهوا قومهم عن عبادة العجل، و قوله: إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ أى اختبارك و ابتلاؤك و امتحانك، قاله ابن عباس و سعيد بن جبير و أبو العالية و الربيع بن أنس و غير واحد من علماء السلف و الخلف، يعنى أنت الذى قدرت هذا و خلقت ما كان من أمر العجل، اختبارا تختبرهم به كما قالَ لَهُمْ هارُونُ مِنْ قَبْلُ يا قَوْمِ إِنَّما فُتِنْتُمْ بِهِ أى اختبرتم، و لهذا قال: تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَ تَهْدِى مَنْ الآثار و التاريخ، ص: ۱۵۵ تَشاءُ أى من شئت أضللته باختبارك إياه، و من شئت هديته، لك الحكم و المشيئة، و لا مانع و لا راد لما حكمت و قضيت أَنْتَ وَلِيُّنا فَاغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْغافِرِينَ (۱۵۵)* وَ اكْتُبْ لَنا فِى هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً وَ فِى الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنا إِلَيْكَ أى تبنا إليك و رجعنا و أنبنا، قاله ابن عباس و مجاهد و سعيد بن جبير و أبو العالية و إبراهيم التيمى و الضحاك و السدى و قتادة و غير واحد و هو كذلك فى اللغة قالَ عَذابِى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ وَ رَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أى أنا أعذب من شئت بما أشاء من الأمور التى أخلقها و أقدرها وَ رَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ كما ثبت فى الصحيحين عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أنه قال: (إن اللّه لما فرغ من خلق السماوات و الأرض، كتب كتابا فهو موضوع عنده فوق العرش، إن رحمتى تغلب غضبى). فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ الَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ أى فسأوحيها حتما لمن يتصف بهذه الصفات الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الآية، و هذا فيه تنويه بذكر محمد صلّى اللّه عليه و سلم و أمته من اللّه لموسى عليه السلام فى جملة ما ناجاه به و أعلمه و أطلعه عليه، و قد تكلمنا على هذه الآية و ما بعدها فى التفسير بما فيه كفاية و مقنع، و للّه الحمد و المنة. و قال قتادة: قال موسى: يا رب، إنى أجد فى الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، رب اجعلهم أمتى، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إنى أجد فى الألواح أمة هم الآخرون فى الخلق السابقون فى دخول الجنة، رب اجعلهم أمتى، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إنى أجد فى الألواح أمة أناجيلهم فى صدورهم يقرءونها، و كان من قبلهم يقرءون كتابهم نظرا حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئا، و لم يعرفوه و إن اللّه أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئا لم يعطه أحدا من الأمم، قال: رب اجعلهم أمتى، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إنى أجد فى الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول و بالكتاب الآخر، و يقاتلون فصول الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتى، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إنى أجد فى الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها فى بطونهم، و يؤجرون

عليها، و كان من قبلهم إذا تصدق بصدقة، الآثار و التاريخ، ص: ۱۵۶ فقبلت منه بعث اللّه عليها نارا فأكلتها، و إن ردت عليه تركت فتأكلها السباع و الطير، و إن اللّه أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم، قال: رب فاجعلهم أمتى، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب فإنى أجد فى الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة، ثم لم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها، كتبت له عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، قال: رب اجعلهم أمتى، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إنى أجد فى الألواح أمة هم المشفعون المشفوع لهم، فاجعلهم أمتى، قال: تلك أمة أحمد. قال قتادة: فذكر لنا أن موسى عليه السلام نبذ الألواح، و قال: اللهم اجعلنى من أمة أحمد. و قد ذكر كثير من الناس ما كان من مناجاة موسى عليه السلام، و أوردوا أشياء كثيرة لا أصل لها، و نحن نذكر ما تيسر ذكره من الأحاديث و الآثار بعون اللّه و توفيقه و حسن هدايته و معونته و تأييده.

قصة بقرة بنى إسرائيل

قصة بقرة بنى إسرائيل قال اللّه تعالى فى سورة البقرة: وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قالُوا أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً قالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ (۶۷) قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا فارِضٌ وَ لا بِكْرٌ عَوانٌ بَيْنَ ذلِكَ فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ (۶۸) قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما لَوْنُها قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (۶۹) قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا وَ إِنَّا إِنْ شاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (۷۰) قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَ لا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيها قالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوها وَ ما كادُوا يَفْعَلُونَ (۷۱) وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيها وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (۷۲) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتى وَ يُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (۷۳)، قال ابن عباس و عبيدة السلمانى و أبو العالية و مجاهد و السدى و غير واحد من السلف: كان رجل فى بنى إسرائيل كثير المال، و كان شيخا كبيرا و له بنو أخ، و كانوا يتمنون موته ليرثوه، فعمد أحدهم فقتله فى الليل، و طرحه فى مجمع الطرق، و يقال: على باب رجل منهم، فلما أصبح الناس اختصموا فيه، و جاء ابن أخيه فجعل يصرخ و يتظلم، فقالوا: ما لكم الآثار و التاريخ، ص: ۱۵۷ تختصمون و لا تأتون نبى اللّه؟ فجاء ابن أخيه، فشكى أمر عمه إلى رسول اللّه موسى عليه السلام، فقال موسى عليه السلام: أنشد اللّه رجلا عنده علم من أمر هذا القتيل إلا أعلمنا به، فلم يكن عند أحد منهم علم منه، و سألوه أن يسأل فى هذه القضية ربه عز و جل، فسأل ربه عز و جل فى ذلك، فأمره اللّه أن يأمرهم بذبح بقرة فقال: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قالُوا أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً يعنون نحن نسألك عن أمر هذا القتيل و أنت تقول هذا؟ قالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ أى أعوذ باللّه أن أقول عنه غير ما أوحى إلىّ، و هذا هو الذى أجابنى حين سألته عما سألتمونى عنه أن أسأله فيه. قال ابن عباس و عبيدة و مجاهد و عكرمة و السدى و أبو العالية و غير واحد: فلو أنهم عمدوا إلى أى بقرة فذبحوها لحصل المقصود منها، و لكنهم شددوا فشدد عليهم. و قد ورد فيه حديث مرفوع و فى إسناده ضعف، فسألوا عن صفتها ثم عن لونها ثم عن سنها؟ فأجيبوا بما عز وجوده عليهم. و المقصود: أنهم أمروا بذبح بقرة (عوان)، و هى الوسط النصف بين، (الفارض) و هى الكبيرة، (و البكر) و هى الصغيرة، قاله ابن عباس و مجاهد و أبو العالية و عكرمة و الحسن و قتادة و جماعة. ثم شددوا و ضيقوا على أنفسهم، فسألوا عن لونها؟ فأمروا ب صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها أى مشرب بحمرة تَسُرُّ النَّاظِرِينَ، و هذا اللون عزيز، ثم شددوا أيضا قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا وَ إِنَّا إِنْ شاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ففى الحديث المرفوع الذى رواه ابن أبى حاتم و ابن مردويه: (لو لا أن بنى إسرائيل استثنوا لما أعطوا) و فى صحته نظر، و اللّه أعلم قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَ لا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيها قالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوها وَ ما كادُوا يَفْعَلُونَ و هذه الصفات أضيق مما تقدم، حيث أمروا بذبح بقرة (ليست بالذلول)، و هى المذللة بالحراثة، و سقى الأرض بالسانية، مسلمة و هى الصحيحة التى لا عيب فيها، قاله أبو العالية و قتادة. و قوله: لا شِيَةَ فِيها أى ليس فيها لون يخالف لونها بل هى مسلمة من العيوب و من مخالطة سائر الألوان غير الآثار و التاريخ، ص: ۱۵۸ لونها، فلما حددها بهذه الصفات و حصرها بهذه النعوت و الأوصاف قالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ و يقال: إنهم لم يجدوا هذه البقرة بهذه الصفة إلا عند رجل منهم كان بارا

بأبيه، فطلبوها منه فأبى عليهم، فرغّبوه فى ثمنها حتى أعطوه، فيما ذكر السدى، بوزنها ذهبا، فأبى عليهم، حتى أعطوه بوزنها عشر مرات، فباعها منهم، فأمرهم نبى اللّه موسى بذبحها فَذَبَحُوها وَ ما كادُوا يَفْعَلُونَ أى و هم يترددون فى أمرها، ثم أمرهم عن اللّه أن يضربوا ذلك القتيل ببعضها، قيل: بلحم فخذها، و قيل: بالعظم الذى يلى الغضروف، و قيل: بالبضعة التى بين الكتفين، فلما ضربوه ببعضها أحياه اللّه تعالى فقام و هو يشخب أوداجه، فسأله نبى اللّه من قتلك؟ قال: قتلنى ابن أخى، ثم عاد ميتا كما كان، قال اللّه تعالى: كَذلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتى وَ يُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ أى كما شاهدتم إحياء هذا القتيل عن أمر اللّه له كذلك أمره فى سائر الموتى، إذا شاء إحياءهم أحياهم فى ساعة واحدة، كما قال: ما خَلْقُكُمْ وَ لا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ الآية.

قصة موسى و الخضر عليهما السلام

قصة موسى و الخضر عليهما السلام قال اللّه تعالى فى سورة الكهف: وَ إِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً (۶۰) فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً (۶۱) فَلَمَّا جاوَزا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً (۶۲) قالَ أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَ ما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً (۶۳) قالَ ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً (۶۴) فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً (۶۵) قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً (۶۶) قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (۶۷) وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً (۶۸) قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً وَ لا أَعْصِي لَكَ أَمْراً (۶۹) قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً (۷۰) فَانْطَلَقا حَتَّى إذا الآثار و التاريخ، ص: ۱۵۹ رَكِبا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها قالَ أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً (۷۱) قالَ أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (۷۲) قالَ لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ وَ لا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً (۷۳) فَانْطَلَقا حَتَّى إذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ قالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً (۷۴) قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (۷۵) قالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً (۷۶) فَانْطَلَقا حَتَّى إذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ قالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً (۷۷) قالَ هذا فِراقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً (۷۸) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً (۷۹) وَ أَمَّا الْغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَ كُفْراً (۸۰) فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وَ أَقْرَبَ رُحْماً (۸۱) وَ أَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَ كانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَ كانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَ يَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَ ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً (۸۲). قال بعض أهل الكتاب: إن موسى هذا الذى رحل إلى الخضر، هو موسى بن ميشا ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، و تابعهم على ذلك بعض من يأخذ من صحفهم و ينقل عن كتبهم، منهم نوف بن فضالة الحميرى الشامى البكالى، و يقال: إنه دمشقى و كانت أمه زوجة كعب الأحبار، و الصحيح الذى دل عليه ظاهر سياق القرآن و نص الحديث الصحيح الصريح المتفق عليه، أنه موسى بن عمران صاحب بنى إسرائيل. قال البخارى: حدثنا الحميدى، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار، أخبرنى سعيد ابن جبير، قال: قلت لابن عباس: إن نوفا البكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى إسرائيل، قال ابن عباس: كذب عدو اللّه، حدثنا أبى بن كعب أنه سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يقول: (إن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل، الآثار و التاريخ، ص: ۱۶۰ فسئل: أى الناس أعلم؟ فقال: أنا فعتب اللّه عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى اللّه إليه: إن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب، و كيف لى به؟ قال: تأخذ معك حوتا فتجعله بمكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم، فأخذ حوتا فجعله بمكتل، ثم انطلق و انطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما، و اضطرب الحوت فى المكتل، فخرج منه فسقط فى البحر، فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً، و أمسك اللّه عن الحوت جرية الماء، فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما و ليلتهما، حتى إذا كان من

الغد قال موسى لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً و لم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمره اللّه به قالَ له فتاه أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَ ما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً قال فكان للحوت سربا، و لموسى و لفتاه عجبا قالَ ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً قال: فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوب، فسلم عليه موسى، فقال الخضر: و أنى بأرضك السلام، قال: أنا موسى، قال: موسى بنى إسرائيل، قال: نعم، أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا، قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً يا موسى إنى على علم من علم اللّه، علمنيه اللّه، لا تعلمه أنت و أنت على علم من علم اللّه، علمكه اللّه لا أعلمه، فقال: .. سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً وَ لا أَعْصِي لَكَ أَمْراً قال له الخضر: فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً (۷۰) فَانْطَلَقا ... يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة فكلمهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، فلما ركبا فى السفينة لم يفاجأ إلّا و الخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها ... لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً (۷۱) قالَ أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (۷۲) قالَ لا تُؤاخِذْنِي بِما الآثار و التاريخ، ص: ۱۶۱ نَسِيتُ وَ لا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً (۷۳)، قال: و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: (و كانت الأولى من موسى نسيانا، قال: و جاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر فى البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمى و علمك فى علم اللّه إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ بصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده، فاقتلعه بيده، فقتله، فقال له موسى: أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً قال: أَ لَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً قال و هذه أشد من الأولى: قالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً (۷۶) فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ، قال: مائل، فقال: الخضر بيده فَأَقامَهُ فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا و لم يضيفونا لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً (۷۷) قالَ هذا فِراقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً)، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: (وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص اللّه علينا من خبرهما). قال سعيد بن جبير: فكان ابن عباس يقرأ: (و كان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) و كان يقرأ: (و أما الغلام فكان كافرا و كان أبواه مؤمنين). ثم رواه البخارى أيضا عن قتيبة، عن سفيان بن عيينة، بإسناده نحوه. و فيه: (فخرج موسى و معه فتاه يوشع بن نون و معهما الحوت، حتى انتهيا إلى الصخرة، فنزلا عندها، قال: فوضع موسى رأسه فنام). قال سفيان: و فى حديث غير عمرو قال: (و فى أصل الصخرة عين يقال لها: الحياة، لا يصيب من مائها شىء إلا حيى، فأصاب الحوت من ماء تلك العين، قال: فتحرك و انسل من المكتل، و دخل البحر، فلما استيقظ قالَ موسى لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا ... و ساق الحديث). و قال: (و وقع عصفور على حرف السفينة، فغمس منقاره فى البحر، فقال الخضر لموسى: ما علمى و علمك و علم الخلائق فى علم اللّه إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره)، و ذكر تمام الحديث. و قال البخارى: حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج الآثار و التاريخ، ص: ۱۶۲ أخبرهم، قال: أخبرنى يعلى بن مسلم و عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، يزيد أحدهما على صاحبه، و غيرهما قد سمعته يحدثه عن سعيد بن جبير، قال: إنا لعند ابن عباس فى بيته إذ قال: سلونى، فقلت: أى أبا عباس، جعلنى اللّه فداك، بالكوفة رجل قاص يقال له: نوف، يزعم أنه ليس بموسى بنى إسرائيل، أما عمرو فقال لى: قال: قد كذب عدو اللّه، و أما يعلى فقال لى: قال ابن عباس: حدثنى أبى بن كعب، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: (موسى رسول اللّه، قال: ذكر الناس يوما، حتى إذا فاضت العيون، و رقت القلوب ولى، فأدركه رجل، فقال: أى رسول اللّه، هل فى الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا، فعتب اللّه عليه إذ لم يرد العلم إلى اللّه، قيل: بلى، قال: أى رب، فأين؟ قال: بمجمع البحرين، قال: أى رب اجعل لى علما أعلم ذلك به. قال لى عمرو: قال: حيث يفارقك الحوت، و قال لى يعلى: قال خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح، فأخذ حوتا فجعله فى مكتل، فقال لفتاه: لا أكلفك إلا أن تخبرنى بحيث يفارقك الحوت، قال: ما كلفت كبيرا فذلك قوله: وَ إِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ يوشع بن نون، ليست عن سعيد ابن جبير، قال: فبينما هو فى ظل صخرة فى مكان ثريان، إذ اضطرب الحوت و موسى نائم، فقال فتاه: لا أوقظه، حتى إذا استيقظ نسى أن يخبره، و اضطرب

الحوت حتى دخل البحر، فأمسك اللّه عنه جرية البحر، حتى كأن أثره فى حجر، قال لى عمرو: هكذا كأن أثره فى حجر، و حلق بين إبهاميه، و اللتين تليانهما لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً (۶۲) قال: و قد قطع اللّه عنك النصب، ليست هذه عن سعيد، أخبره فرجعا، فوجدا خضرا. قال لى عثمان بن أبى سليمان: على طنفسة خضراء على كبد البحر، قال سعيد: مسجى بثوبه، قد جعل طرفه تحت رجليه، و طرفه تحت رأسه، فسلم عليه موسى، فكشف عن وجهه، و قال: هل بأرض من سلام؟ من أنت؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بنى إسرائيل، قال: نعم، قال: فما شأنك؟ قال: جئتك لتعلمنى مما علمت رشدا، قال: أما يكفيك أن التوراة بيديك، و أن الوحى يأتيك يا موسى، إن لى علما لا ينبغى لك أن تعلمه، الآثار و التاريخ، ص: ۱۶۳ و إن لك علما لا ينبغى لى أن أعلمه، فأخذ طائر بمنقاره من البحر، فقال: و اللّه، ما علمى و علمك فى جنب علم اللّه إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر حَتَّى إِذا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ وجدا معابر صغارا تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل هذا الساحل الآخر، عرفوه، فقالوا: عبد اللّه الصالح، قال: فقلنا لسعيد: خضر؟ قال: نعم، لا نحمله بأجر ف خَرَقَها و وتد فيها وتدا قالَ موسى أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً قال مجاهد: منكرا قالَ أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً كانت الأولى نسيانا، و الوسطى شرطا، و الثالثة عمدا قالَ لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ وَ لا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً (۷۳) فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ، قال يعلى: قال سعيد: وجد غلمانا يلعبون، فأخذ غلاما كافرا ظريفا فأضجعه، ثم ذبحه بالسكين قالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً لم تعمل بالخبث، ابن عباس قرأها: (زكية زاكية مسلمة). كقولك: غلاما زكيا، فانطلقا فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ قال: بيده هكذا، و رفع يده فاستقام، قال يعلى: حسبت أن سعيدا قال: فمسحه بيده فاستقام قالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً قال سعيد: أجرا نأكله وَ كانَ وَراءَهُمْ و كان أمامهم، قرأها ابن عباس: (أمامهم)، ملك يزعمون، عن غير سعيد، أنه هدد بن بدد، و الغلام المقتول: يزعمون جيسور مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً فإذا هى مرت به يدعها بعيبها، فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها، منهم من يقول: سدوها بقارورة، و منهم من يقول: بالقار فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ و كان كافرا فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَ كُفْراً أى يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً لقوله أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً وَ أَقْرَبَ رُحْماً هما به أرحم منهما بالأول الذى قتل خضر، و زعم سعيد بن جبير: أنه ابن لا جارية، و أما داود بن أبى عاصم، فقال عن غير واحد: إنها جارية. و قد رواه عبد الرزاق عن معمر، عن أبى إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: خطب موسى بنى إسرائيل، فقال: ما أحد أعلم باللّه و بأمره منى، فأمر الآثار و التاريخ، ص: ۱۶۴ أن يلقى هذا الرجل، فذكر نحو ما تقدم. و هكذا رواه محمد بن إسحاق عن الحسن بن عمارة، عن الحكم بن عيينة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبى بن كعب، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم كنحو ما تقدم أيضا. و رواه العوفى عنه موقوفا. و قال الزهرى عن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة، عن ابن عباس، أنه تمارى هو و الحر بن قيس بن حصن الفزارى فى صاحب موسى، فقال ابن عباس: هو خضر، فمر بهما أبى بن كعب، فدعاه ابن عباس، فقال: إنى تماريت أنا و صاحبى هذا فى صاحب موسى الذى سأل السبيل إلى لقيه، فهل سمعت من رسول اللّه فيه شيئا؟ قال: نعم، و ذكر الحديث. و قد تقصينا طرق هذا الحديث و ألفاظه، فى تفسير سورة الكهف و للّه الحمد. و قوله: وَ أَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ قال السهيلى: و هما أصرم و صريم ابنا كاشح وَ كانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما قيل: كان ذهبا، قاله عكرمة. و قيل: علما، قاله ابن عباس. و الأشبه أنه كان لوحا من ذهب، مكتوبا فيه علم. قال البزار: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى، حدثنا بشر بن المنذر، حدثنا الحرث بن عبد اللّه اليحصبى، عن عياش بن عباس الغسانى، عن ابن حجيرة، عن أبى ذر رفعه، قال: إن الكنز الذى ذكر اللّه فى كتابه لوح من الذهب مصمت: عجبت لمن أيقن بالقدر كيف نصب؟ و عجبت لمن ذكر النار لم ضحك؟ و عجبت لمن ذكر الموت كيف غفل؟ لا- إله إلا اللّه. و هكذا روى عن الحسن البصرى و عمر مولى عفرة و جعفر الصادق نحو هذا. و قوله: وَ كانَ أَبُوهُما صالِحاً و قد قيل: إنه كان الأب السابع، و قيل: العاشر، و على كل تقدير فيه دلالة على أن الرجل الصالح يحفظ فى ذريته، فاللّه المستعان. و قوله: رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ دليل على أنه كان نبيا، و أنه ما فعل شيئا من تلقاء نفسه، بل بأمر ربه، فهو نبى، و قيل: رسول، و قيل: ولى، و أغرب من هذا من قال: كان ملكا، قلت: و قد أغرب جدا من قال: هو ابن فرعون، و قيل: إنه ابن الضحاك الذى ملك الدنيا ألف سنة، قال ابن جرير: و الذى عليه جمهور أهل

الكتاب: أنه كان فى زمن أفريدون، و يقال: إنه كان على مقدمة ذى القرنين، الذى قيل إنه كان أفريدون، و ذو الفرس هو الذى كان فى زمن الخليل، و زعموا: أنه شرب من ماء الحياة فخلد، و هو الآثار و التاريخ، ص: ۱۶۵ باق إلى الآن، و قيل: إنه من ولد بعض من آمن بإبراهيم و هاجر معه من أرض بابل، و قيل: اسمه ملكان، و قيل: أرميا بن خلقيا، و قيل: كان نبيّا فى زمن سباسب بن لهراسب، قال ابن جرير: و قد كان بين أفريدون و بين سباسب دهور طويلة لا يجهلها أحد من أهل العلم بالأنساب، قال ابن جرير: و الصحيح أنه كان فى زمن أفريدون، و استمر حيا إلى أن أدركه موسى عليه السلام، و كانت نبوة موسى فى زمن منوشهر، الذى هو من ولد أبرج بن أفريدون، أحد ملوك الفرس، و كان إليه الملك بعد جده أفريدون لعهده، و كان عادلا و هو أول من خندق الخنادق، و أول من جعل فى كل قرية دهقانا، و كانت مدة ملكه قريبا من مائة و خمسين سنة، و يقال: إنه كان من سلالة إسحاق بن إبراهيم، و قد ذكر عنه من الخطب الحسان، و الكلم البليغ النافع الفصيح، ما يبهر العقل و يحير السامع، و هذا يدل على أنه من سلالة الخليل، و اللّه أعلم. و قد قال اللّه تعالى: وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ الآية. فأخذ اللّه ميثاق كل نبى على أن يؤمن بمن يجىء بعده من الأنبياء و ينصره، و استلزم ذلك الإيمان و أخذ الميثاق لمحمد صلّى اللّه عليه و سلم لأنه خاتم الأنبياء فحق على كل نبى أدركه أن يؤمن به و ينصره فلو كان الخضر حيا فى زمانه لما وسعه إلا اتباعه و الاجتماع به و القيام بنصره، و لكان من جملة من تحت لوائه يوم بدر كما كان تحتها جبريل و سادات من الملائكة، و قصارى الخضر عليه السلام أن يكون نبيا، و هو الحق، أو رسولا، كما قيل، أو ملكا، فيما ذكر، و أيا ما كان: فجبريل رئيس الملائكة، و موسى أشرف من الخضر، و لو كان حيا لوجب عليه الإيمان بمحمد و نصرته، فكيف إن كان الخضر وليا كما يقوله طوائف كثيرون، فأولى أن يدخل فى عموم البعثة و أحرى، و لم ينقل فى حديث حسن، بل و لا ضعيف، يعتمد أنه جاء يوما واحدا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و لا اجتمع به، و ما ذكر من حديث التغرية فيه، و إن كان الحاكم قد رواه فإسناده ضعيف، و اللّه أعلم.

حديث الفتون المتضمن قصة موسى من أولها إلى آخرها

حديث الفتون المتضمن قصة موسى من أولها إلى آخرها قال الإمام أبو عبد الرحمن النسائى، فى كتاب التفسير من سننه، عند قوله تعالى فى سورة طه: وَ قَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْناكَ مِنَ الْغَمِّ وَ فَتَنَّاكَ فُتُوناً: حديث الفتون حدثنا عبد اللّه بن محمد، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا أصبغ بن زيد، حدثنا القاسم بن أبى أيوب، أخبرنى سعيد بن جبير، قال: سألت عبد اللّه بن عباس عن قول اللّه تعالى: وَ فَتَنَّاكَ فُتُوناً فسأله عن الفتون ما هو؟ فقال: استأنف النهار يا ابن جبير، فإن لها حديثا طويلا، فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس لأنتجز منه ما وعدنى من حديث الفتون، فقال: تذكّر فرعون و جلساؤه ما كان اللّه وعد إبراهيم عليه السلام أن يجعل فى ذريته أنبياء و ملوكا، فقال بعضهم: إن بنى إسرائيل ينتظرون ذلك، ما يشكون فيه، و كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب، فلما هلك قالوا: ليس هكذا كان وعد إبراهيم، فقال فرعون: فكيف ترون؟ فأتمروا، و أجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفار يطوفون فى بنى إسرائيل، فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه، ففعلوا ذلك، فلما رأوا أن الكبار من بنى إسرائيل، يموتون بآجالهم، و الصغار يذبحون، قالوا: توشكون أن تفنوا بنى إسرائيل، فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال و الخدمة الذى كانوا يكفونكم، فاقتلوا عاما كل مولود ذكر فتقل أبناؤهم، و دعوا عاما فلا تقتلوا منهم أحدا، فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار، فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم، فتخافوا مكاثرتهم إياكم، و لن تفتنوا بمن تقتلون، و تحتاجون إليهم، فأجمعوا أمرهم على ذلك، فحملت أم موسى بهارون فى العام الذى لا تقتل فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة، فلما كان من قابل، حملت بموسى عليه السلام، فوقع فى قلبها الهم و الحزن، و ذلك من الفتون يا ابن جبير، ما دخل عليه فى بطن أمه مما يراد، فأوحى اللّه إليها أن لا تخافى، و لا تحزنى إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فأمرها إذا ولدت أن تجعله فى تابوت و تلقيه فى اليم، فلما ولدت فعلت ذلك، فلما توارى عنها ابنها أتاها الشيطان، فقالت فى نفسها: ما فعلت بابنى لو ذبح عندى فواريته و كفنته، كان أحب إلىّ من أن ألقيه إلى الآثار و التاريخ، ص: ۱۶۷ دواب البحر و حيتانه، فانتهى الماء به

حتى أوفى عند فرضة تستقى منها جوارى امرأة فرعون، فلما رأينه أخذنه، فهممن أن يفتحن التابوت، فقال بعضهن: إن فى هذا مالا، و إنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه، فحملنه كهيئته لم يخرجن منه شيئا، حتى دفعنه إليها، فلما فتحته رأت فيه غلاما، فألقى عليه منها محبة لم تلق منها على أحد قط، وَ أَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً: من ذكر كل شىء إلا من ذكر موسى، فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه، و ذلك من الفتون يا ابن جبير، فقالت لهم: أقروه، فإن هذا الواحد لا يزيد فى بنى إسرائيل، حتى آتى فرعون فأستوهبه منه، فإن وهبه منى كنتم قد أحسنتم و أجملتم، و إن أمر بذبحه لم ألمكم، فأتت فرعون فقالت: قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ فقال فرعون: يكون لك، فأما لى فلا حاجة لى فيه: فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: (و الذى يحلف به، لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت امرأته لهداه اللّه كما هداها، و لكن حرمه ذلك) فأرسلت إلى من حولها، إلى كل امرأة لها لأن تختار ظئرا، فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل على ثديها، حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك، فأمرت به فأخرج إلى السوق و مجمع الناس، ترجو أن تجد له ظئرا يأخذه منها، فلم يقبل، و أصبحت أم موسى والها، فقالت لأخته: قصى أثره و اطلبيه، هل تسمعين له ذكرا؟ أ حى ابنى أم قد أكلته الدواب؟ و نسيت ما كان اللّه وعدها فيه، فَبَصُرَتْ بِهِ أخته عَنْ جُنُبٍ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ، و الجنب أن يسمو بصر الإنسان إلى شىء بعيد و هو إلى جنبه لا يشعر به، فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤرات: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ ناصِحُونَ (۱۲)، فقالوا: ما يدريك ما نصحهم؟ هل يعرفونه، حتى شكوا فى ذلك، و ذلك من الفتون يا ابن جبير، فقالت: نصحهم له، و شفقتهم عليه، و رغبتهم فى صهو الملك، و رجاء منفعة الملك، فأرسلوها، فانطلقت إلى أمها، فأخبرتها الخبر، فجاءت أمه، فلما وضعته فى حجرها نزا إلى ثديها فمصه، حتى امتلأ جنباه ريا، و انطلق البشير إلى امرأة فرعون يبشرها أن قد وجدنا لابنك ظئرا، فأرسلت إليها، فأتت بها و به، فلما رأت ما يصنع بها، قالت: امكثى ترضعى ابنى الآثار و التاريخ، ص: ۱۶۸ هذا، فإنى لم أحب شيئا حبه قط، قالت أم موسى: لا أستطيع أن أترك بيتى و ولدى فيضيع، فإن طابت نفسك أن تعطينيه، فأذهب به إلى بيتى، فيكون معى، لا آلوه خيرا، فعلت، فإنى غير تاركة بيتى و ولدى، و ذكرت أم موسى ما كان اللّه وعدها، فتعاسرت على امرأة فرعون، و أيقنت أن اللّه منجز موعوده، فرجعت إلى بيتها من يومها، و أنبته اللّه نباتا حسنا، و حفظ لما قد قضى فيه، فلم يزل بنو إسرائيل و هم فى ناحية القرية ممتنعين من السخرة و الظلم ما كان فيهم، فلما ترعرع، قالت امرأة فرعون لأم موسى: أرينى ابنى، فوعدتها يوما تريها إياه فيه، و قالت امرأة فرعون لخازنها و ظئورها و قهارمتها: لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابنى اليوم بهدية و كرامة، لأرى ذلك فيه، و أنا باعثة أمينا يحصى كل ما يصنع كل إنسان منكم، فلم تزل الهدايا و الكرامة و النحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون، فلما دخل عليها نحلته و أكرمته، فرحت به، و نحلت أمه بحسن أثرها عليه، ثم قالت: لآتين به فرعون فلينحلنه و ليكرمنه، فلما دخلت به عليه، جعله فى حجره، فتناول موسى لحية فرعون فمدها إلى الأرض، فقال الغواة من أعداء اللّه لفرعون: أ لا ترى ما وعد اللّه إبراهيم نبيه أنه زعم أنه يرثك و يعلوك و يصرعك؟ فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه، و ذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلى به و أريد به، فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون، فقالت: ما بدا لك فى هذا الغلام الذى و هبته لى؟ فقال: أ لا ترينه يزعم أنه يصرعنى و يعلونى؟ فقالت: اجعل بينى و بينك أمرا تعرف فيه الحق، ائت بجمرتين و لؤلؤتين فقربهن إليه، فإن بطش باللؤلؤتين و اجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، و إن تناول الجمرتين و لم يرد اللؤلؤتين، علمت أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين و هو يعقل، فقرب إليه، فتناول الجمرتين، فانتزعهما منه مخافة أن يحرقا يده، فقالت المرأة: أ لا ترى؟ فصرفه اللّه عنه بعد ما كان هم به، و كان اللّه بالغا فيه أمره، فلما بلغ أشده و كان من الرجال، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بنى إسرائيل معه بظلم و لا سخرة، حتى امتنعوا كل الامتناع، فبينما موسى عليه السلام يمشى فى ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان، أحدهما فرعونى، و الآخر إسرائيلى، الآثار و التاريخ، ص: ۱۶۹ فاستغاثه الإسرائيلى على الفرعونى، فغضب موسى غضبا شديدا لأنه تناوله و هو يعلم منزلته من بنى إسرائيل، و حفظه لهم ما لم يطلع عليه غيره، فوكز موسى الفرعونى فقتله، و ليس يراهما أحد إلا اللّه عز و جل و الإسرائيلى، فقال موسى حين قتل الرجل: هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ

إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ثم قال: قالَ رَبِّ إِنِّی ظَلَمْتُ نَفْسِی فَاغْفِرْ لِی فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِیمُ (۱۶) قالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَیَّ فَلَنْ أَکُونَ ظَهِیراً لِلْمُجْرِمِینَ (۱۷) فَأَصْبَحَ فِی الْمَدِینَةِ خائِفاً یَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِی اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ یَسْتَصْرِخُهُ قالَ لَهُ مُوسی إِنَّکَ لَغَوِیٌّ مُبِینٌ (۱۸)، (القصص) ... الأخبار، فأتی فرعون، فقیل له: إن بنی إسرائیل قتلوا رجلا من آل فرعون، فخذ لنا بحقنا، و لا ترخص لهم، فقال: ابغونی قاتله من یشهد علیه، فإن الملک و إن کان صفوة مع قومه لا ینبغی له أن یقتل بغیر بینة و لا ثبت، فاطلبوا لی علم ذلک آخذ لکم بحقکم، فبینما هم یطوفون لا یجدون بینة، إذا موسی من الغد قد رأی ذلک الإسرائیلی یقاتل رجلا من آل فرعون آخر، فاستغاثه الإسرائیلی علی الفرعونی، فصادف موسی قد ندم علی ما کان منه، و کره الذی رأی، فغضب الإسرائیلی و هو یرید أن یبطش بالفرعونی، فقال للإسرائیلی لما فعل بالأمس و الیوم: إِنَّکَ لَغَوِیٌّ مُبِینٌ فنظر الإسرائیلی إلی موسی بعد ما قال له ما قال، فإذا هو غضبان کغضبه بالأمس الذی قتل فیه الفرعونی، فخاف أن یکون بعد ما قال له: إِنَّکَ لَغَوِیٌّ مُبِینٌ أن یکون إیاه أراده، و لم یکن أراده إنما أراد الفرعونی، فخاف الإسرائیلی، و قال لموسی: أَ تُرِیدُ أَنْ تَقْتُلَنِی کَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ، و إنما قال له مخافة أن یکون إیاه أراد موسی لیقتله فتارکا، و انطلق الفرعونی فأخبرهم بما سمع من الإسرائیلی من الخبر حین یقول: أَ تُرِیدُ أَنْ تَقْتُلَنِی کَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ، فأرسل فرعون الذباحین لیقتلوا موسی، فأخذ رسل فرعون الطریق الأعظم یمشون علی هینتهم یطلبون موسی و هم لا یخافون أن یفوتهم، فجاء رجل من شیعة موسی من أقصی المدینة فاختصر طریقا حتی سبقهم إلی موسی فأخبره، و ذلک من الفتون یا ابن جبیر، فخرج موسی متوجها نحو مدین لم یلق بلاء قبل ذلک، الآثار و التاریخ، ص: ۱۷۰ و لیس له بالطریق علم إلا حسن ظنه بربه عز و جل، فإنه قال: عَسی رَبِّی أَنْ یَهْدِیَنِی سَواءَ السَّبِیلِ (۲۲) وَ لَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْیَنَ وَجَدَ عَلَیْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ یَسْقُونَ وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَیْنِ تَذُودانِ یعنی بذلک حابستین غنمهما، فقال لهما: ما خَطْبُکُما معتزلتین لا تسقیان مع الناس؟ قالتا: لیس لنا قوة تزاحم القوم، و إنما ننتظر فضول حیاضهم، فسقی لهما، فجعل یغرف من الدلو ماء کثیرا حتی کان أول الرعاء، و انصرفتا بغنمهما إلی أبیهما، و انصرف موسی فاستظل بشجرة فَقالَ رَبِّ إِنِّی لِما أَنْزَلْتَ إِلَیَّ مِنْ خَیْرٍ فَقِیرٌ (۲۴)، و استنکر أبوهما سرعة صدورهما بغنمهما حفلا بطانا، فقال: إن لکما الیوم لشأنا، فأخبرتاه بما صنع موسی، فأمر إحداهما أن تدعوه، فأتت موسی فدعته فلما کلمه قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِینَ (۲۵)، لیس لفرعون و لا قومه علینا من سلطان، و لسنا فی مملکته ف قالَتْ إِحْداهُما یا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَیْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِیُّ الْأَمِینُ (۲۶) فاحتملته الغیرة علی أن قال لها: ما یدریک ما قوته؟ و ما أمانته؟ فقالت: أما قوته: فما رأیت منه فی الدلو حین سقی لنا، لم أر رجلا قط أقوی فی ذلک السقی منه، و أما الأمانة: فإنه نظر إلی حین أقبلت إلیه و شخصت له، فلما علم إنی امرأة صوب رأسه فلم یرفعه حتی بلغته رسالتک، ثم قال لی: امشی خلفی، و انعتی لی الطریق، فلم یفعل هذا إلا و هو أمین، فسری عن أبیها، و صدقها، و ظن به الذی قالت، فقال له: هل لک إِنِّی أُرِیدُ أَنْ أُنْکِحَکَ إِحْدَی ابْنَتَیَّ هاتَیْنِ عَلی أَنْ تَأْجُرَنِی ثَمانِیَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِکَ وَ ما أُرِیدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَیْکَ سَتَجِدُنِی إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِینَ (۲۷) ففعل، فکانت علی نبی اللّه موسی ثمان سنین واجبة، و کانت السنتان عدة منه، فقضی اللّه عنه عدته فأتمها عشرا- قال سعید، هو ابن جبیر فلقینی: رجل من أهل النصرانیة من علمائهم، قال: هل تدری أی الأجلین قضی موسی؟ قلت: لا، و أنا یومئذ لا أدری، فلقیت ابن عباس، فذکرت ذلک له، فقال: أما علمت أن ثمانیة کانت علی نبی اللّه واجبة لم یکن نبی اللّه لینقص منها شیئا، و تعلم أن اللّه کان قاضیا عن موسی عدته الآثار و التاریخ، ص: ۱۷۱ التی وعده، فإنه قضی عشر سنین، فلقیت النصرانی، فأخبرته ذلک، فقال: الذی سألته فأخبرک أعلم منک بذلک؟ قلت: أجل، و أولی- فلما سار موسی بأهله کان من أمر النار و العصی و یده ما قص اللّه علیک فی القرآن، فشکا إلی اللّه تعالی ما یتخوف من آل فرعون فی القتیل و عقدة لسانه، فإنه کان فی لسانه عقدة تمنعه من کثیر من الکلام، و سأل ربه أن یعینه بأخیه هارون و یکون له ردءا و یتکلم عنه بکثیر مما لا یفصح به لسانه، فآتاه اللّه عز و جل و حل عقدة من لسانه، و أوحی اللّه إلی هارون فأمره أن یلقاه، فاندفع موسی بعصاه حتی لقی هارون، فانطلقا جمیعا إلی فرعون، فأقاما علی بابه حینا لا یؤذن لهما، ثم أذن لهما بعد حجاب شدید، فقالا: إِنَّا رَسُولا رَبِّکَ، فقال: فَمَنْ رَبُّکُما؟ فأخبره بالذی قص اللّه علیک فی القرآن، قال: فما تریدان؟ و ذکره القتیل، فاعتذر

بما قد سمعت، قال: أريد أن تؤمن باللّه، و ترسل معى بنى إسرائيل، فأبى عليه، و قال ":ائت بآية إن كنت من الصادقين، "فألقى عصاه، فإذا هى ثعبان عظيمة فاغرة فاها، مسرعة إلى فرعون، فلما رآها فرعون قاصدة إليه خافها، و اقتحم عن سريره، و استغاث بموسى أن يكفها عنه، ففعل ثم أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء، يعنى من غير برص ثم ردها فعادت إلى لونها الأول فاستشار الملأ حوله فيما رأى فقالوا له: هذانِ لَساحِرانِ يُرِيدانِ أَنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما وَ يَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلى (۶۳) يعنى ملكهم الذى هم فيه و العيش، و أبوا على موسى أن يعطوه شيئا مما طلب، و قالوا له: اجمع السحرة فإنهم بأرضك كثير، حتى تغلب بسحرك سحرهما، فأرسل إلى المدائن، فحشر له كل ساحر متعالم، فلما أتوا فرعون قالوا بم يعمل السحر؟ قالوا: يعمل بالحيات، قالوا: فلا- و اللّه ما أحد من الأرض يعمل السحر بالحيات، و الحبال و العصى الذى نعمل، و ما أجرنا إن نحن غلبنا؟ قال لهم: أنتم أقاربى و خاصتى، و أنا صانع إليكم كل شىء أحببتم، فتواعدوا يَوْمُ الزِّينَةِ وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (۵۹) قال سعيد: فحدثنى ابن عباس: أن يوم الزينة: اليوم الذى أظهر اللّه فيه موسى على فرعون و السحرة، هو يوم عاشوراء، فلما اجتمعوا فى صعيد، قال الناس بعضهم لبعض: انطلقوا فلنحضر هذا الأمر، لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كانُوا هُمُ الآثار و التاريخ، ص: ۱۷۲ الْغالِبِينَ (۴۰)، يعنون موسى و هارون استهزاء بهما، فقالوا: يا موسى، بعد تريثهم بسحرهم: إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (۱۱۵) قال: بل ألقوا، فألقوا حبالهم و عصيهم، و قالوا: بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون، فرأى موسى من سحرهم ما أوجس فى نفسه، خيفة فأوحى اللّه إليه: أَنْ أَلْقِ عَصاكَ، فلما ألقاها صارت ثعبانا عظيمة فاغرة فاها، فجعلت العصى تلتبس بالحبال حتى صارت جرزا على الثعبان أن تدخل فيه، حتى ما أبقت عصا و لا حبلا إلا ابتلعته، فلما عرف السحرة ذلك، قالوا: لو كان هذا سحرا لم تبلغ من سحرنا كل هذا، و لكنه أمر من اللّه تعالى آمنا باللّه و بما جاء به موسى، و نتوب إلى اللّه مما كنا عليه، فكسر اللّه ظهر فرعون فى ذلك الموطن و أشياعه، و ظهر الحق وَ بَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۱۸) فَغُلِبُوا هُنالِكَ وَ انْقَلَبُوا صاغِرِينَ (۱۱۹)، و امرأة فرعون بارزة مبتذلة تدعوا للّه بالنصر لموسى على فرعون و أشياعه، فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتذلت للشفقة على فرعون و أشياعه، و إنما كان حزنها و همها لموسى، فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة، كلما جاء بآية وعده عندها أن يرسل معه بنى إسرائيل، فإذا مضت أخلف من غده، و قال: هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا؟ فأرسل اللّه على قومه الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم آيات مفصلات، كل ذلك يشكو إلى موسى، و يطلب إليه أن يكفها عنه، و يوافقه على أن يرسل معه بنى إسرائيل، فإذا كف ذلك عنه أخلف بوعده و نكث عهده، حتى أمر موسى بالخروج بقومه، فخرج بهم ليلا، فلما أصبح فرعون و رأى أنهم قد مضوا، أرسل فى المدائن حاشرين، فتبعه بجنود عظيمة كثيرة، و أوحى اللّه إلى البحر: إذا ضربك موسى عبدى بعصاه فانفلق اثنتى عشرة فرقة، حتى يجوز موسى و من معه، ثم التقى على من بقى بعد من فرعون و أشياعه، فنسى موسى أن يضرب البحر بالعصى، و انتهى إلى البحر و له قصيف، مخافة أن يضربه موسى بعصاه و هو غافل، فيصير عاصيا للّه عز و جل فَلَمَّا تَراءَا الْجَمْعانِ و تقاربا قالَ أَصْحابُ مُوسى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (۶۱) افعل ما أمرك به ربك، فإنه لم يكذب، و لم تكذب، قال: وعدنى ربى إذا أتيت البحر انفرق اثنتى عشرة فرقة حتى أجاوزه، ثم ذكر بعد ذلك العصى، فضرب الآثار و التاريخ، ص: ۱۷۳ البحر بعصاه حين دنا اوائل جند فرعون من أواخر جند موسى، فانفرق البحر كما أمره ربه، و كما وعد موسى، فلما جاوز موسى و أصحابه كلهم البحر، و دخل فرعون و أصحابه التقى عليهم البحر كما أمر، فلما جاوز موسى قال أصحابه: إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق، و لا نؤمن بهلاكه، فدعا ربه، فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا بهلاكه، ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم قالُوا يا مُوسَى اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (۱۳۸) إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۳۹) قد رأيتم من العبر و سمعتم ما يكفيكم، و مضى فأنزلهم موسى منزلا، و قال: أطيعوا هارون فإن اللّه قد استخلفه عليكم، فإنى ذاهب إلى ربى، و أجلهم ثلاثين يوما أن يرجع إليهم فيها، فلما أتى ربه عز و جل و أراد أن يكلمه فى ثلاثين يوما، و قد صامهن ليلهن و نهارهن و كره أن يكلم ربه و ريح فيه ريح فم الصائم، فتناول موسى شيئا من نبات الأرض فمضغه، فقال له ربه حين أتاه: لم أفطرت، و هو أعلم بالذى كان، قال: يا رب، إنى كرهت أن أكلمك إلا و فمى طيب الريح، قال: أ و ما علمت يا

موسى أن ريح فم الصائم أطيب من ريح المسك، ارجع فصم عشرا ثم ائتنى، ففعل موسى ما أمره به ربه، فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع إليهم فى الأجل ساءهم ذلك، و كان هارون قد خطبهم، فقال: إنكم خرجتم من مصر و لقوم فرعون عندكم عوارى و ودائع، و لكم فيها مثل ذلك، و أنا أرى أن تحتسبوا مالكم عندهم، و لا أحل لكم وديعة استودعتموها و لا عارية، و لسنا برادين إليهم شيئا من ذلك و لا ممسكيه لأنفسنا، فحفر حفيرا، و أمر كل قوم عندهم من ذلك متاع أو حلية أن يقذفوه فى ذلك الحفير، ثم أوقد عليه النار فأحرقه، فقال: لا يكون لنا و لا لهم، و كان السامرى من قوم يعبدون البقر جيران لبنى إسرائيل، و لم يكن من بنى إسرائيل، فاحتمل مع موسى و بنى إسرائيل حين احتملوا، فقضى له أن رأى أثرا، فقبض منه قبضة، فمر بهارون، فقال له هارون: يا سامرى، إلا تلقى ما فى يديك، و هو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك، فقال: هذه قبضة من أثر الرسول الذى جاوز بكم البحر، و لا ألقيها لشىء إلا أن تدعو اللّه إذا ألقيتها أن يكون ما أريد، فألقاها، و دعا له هارون، فقال: أريد أن تكون عجلا، الآثار و التاريخ، ص: ۱۷۴ فاجتمع ما كان فى الحفرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلا أجوف، ليس فيه روح، له خوار. قال ابن عباس: لا و اللّه ما كان فيه صوت قط، إنما كانت الريح تدخل من دبره و تخرج من فيه، فكان ذلك الصوت من ذلك، فتفرق بنو إسرائيل فرقا، فقالت فرقة: يا سامرى، ما هذا و أنت أعلم به؟ قال: هذا ربكم، و لكن موسى أضل الطريق، و قالت فرقة: لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى، فإن كان ربنا لم نكن ضيعناه و عجزنا فيه حتى رأيناه، و إن لم يكن ربنا فإنا نتبع قول موسى، و قالت فرقة: هذا من عمل الشيطان، و ليس بربنا، و لا نؤمن به و لا نصدق، و أشرب فرقة فى قلوبهم الصدق بما قال السامرى فى العجل، و أعلنوا التكذيب به، فقال لهم هارون عليه السلام: يا قوم، إنما فتنتم به، و إن ربكم الرحمن، ليس هذا، قالوا: فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوما ثم أخلفنا، هذه أربعون يوما قد مضت؟ قال سفهاؤهم: أخطأ ربه فهو يطلبه و يبتغيه، فلما كلم اللّه موسى، و قال له ما قال، أخبره بما لقى قومه من بعده، فرجع إلى قومه غضبان أسفا، فقال لهم ما سمعتم ما فى القرآن وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ و ألقى الألواح من الغضب، ثم إنه عذر أخاه بعذره، و استغفر له، فانصرف إلى السامرى فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: قبضت قبضة من أثر الرسول، و فطنت لها و عميت عليكم فقذفتها قالَ بَصُرْتُ بِما لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها وَ كَذلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (۹۶) قالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَياةِ أَنْ تَقُولَ لا مِساسَ وَ إِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَ انْظُرْ إِلى إِلهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً (۹۷)، (طه). و لو كان إلها لم يخلص إلى ذلك منه، فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة، و اغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأى هارون، فقالوا لجماعتهم: يا موسى، سل لنا أن يفتح لنا باب توبة نصنعها فتكفر عنا ما عملنا، فاختار موسى قومه سبعين رجلا لذلك، لا يألوا الخير، خيار بنى إسرائيل، و من لم يشرك فى الحق، فانطلق بهم يسأل لهم التوبة، فرجفت بهم الأرض، فاستحيا نبى اللّه عليه السلام من قومه و من وفده حين فعل بهم ما فعل، فقال: لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ الآثار و التاريخ، ص: ۱۷۵ قَبْلُ وَ إِيَّايَ أَ تُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا و فيهم من كان اللّه اطلع منه على ما أشرب قلبه من حب العجل و إيمان به، فلذلك رجفت بهم الأرض، فقال:* وَ اكْتُبْ لَنا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنا إِلَيْكَ قالَ عَذابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ الَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ (۱۵۶) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۱۵۷)، (الأعراف). فقال: يا رب، سألتك التوبة لقومى، فقلت: إن رحمتى كتبتها لقوم غير قومى، فليتك أخرتنى حتى تخرجنى فى أمة ذلك الرجل المرحوم، فقال له: إن توبتهم أن يقتل كل رجل من لقى من والد و ولد، فيقتله بالسيف لا يبالى من قتل فى ذلك الموطن، و تاب أولئك الذين كان خفى على موسى و هارون، و اطلع اللّه من ذنوبهم فاعترفوا بها، و فعلوا ما أمروا، و غفر اللّه للقاتل و المقتول، ثم سار بهم موسى عليه السلام متوجها نحو الأرض المقدسة، و أخذ الألواح بعد ما سكت عنه الغضب، فأمرهم بالذى أمر به من الوظائف، فثقل ذلك عليهم، و أبوا أن يقروا بها و نتق اللّه عليهم الجبل كأنه ظلة، و دنا منهم، حتى خافوا أن يقع عليهم، و أخذوا الكتاب بأيمانهم و هم مصغون ينظرون إلى الجبل و

الكتاب بأيديهم، و هم من وراء الجبل مخافة أن يقع عليهم، ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقدسة، فوجدوا مدينة فيها قوم جبارون، خلقهم خلق منكر، و ذكر من ثمارهم أمرا عجبا من عظمها، فقالوا: يا موسى، إن فيها قوما جبارين لا طاقة لنا بهم، و لا ندخلها ما داموا فيها، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون، قال رجلان من الذين يخافون- قيل ليزيد: هكذا قرأه؟ قال: نعم من الجبارين- آمنا بموسى و خرجنا إليه، فقالوا: نحن أعلم بقومنا إن كنتم إنما تخافون ما رأيتم من أجسامهم و عددهم فإنهم لا قلوب لهم و لا منعة عندهم، فادخلوا عليهم الباب، فإذا الآثار و التاريخ، ص: ۱۷۶ دخلتموه فإنكم غالبون، و يقول أناس: إنهم من قوم موسى، فقال الذين يخافون من بنى إسرائيل قالُوا يا مُوسى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ (۲۴) فأغضبوا موسى، فدعا عليهم، و سماهم: فاسقين، و لم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية و إساءتهم، حتى كان يومئذ فاستجاب اللّه له، و سماهم كما سماهم: فاسقين، فحرمها عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض، يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار، ثم ظلل عليهم الغمام فى التيه، و أنزل عليهم المن و السلوى، و جعل لهم ثيابا لا- تبلى و لا تتسخ، و جعل بين ظهرانيهم حجرا مربعا، و أمر موسى فضربه بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، فى كل ناحية ثلاثة أعين، و أعلم كل سبط عينهم التى يشربون منها، فلا يرتحلون من محلة إلا وجدوا ذلك الحجر بالمكان الذى كان فيه بالأمس. رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلم، و صدق ذلك عندى: أن معاوية سمع من ابن عباس هذا الحديث، فأنكر عليه أن يكون الفرعونى الذى أفشى على موسى أمر القتيل الذى قتل، فقال: كيف يفشى عليه و لم يكن علم به، و لا ظهر عليه إلا الإسرائيلى الذى حضر ذلك، فغضب ابن عباس، فأخذ بيد معاوية، فانطلق به إلى سعد بن مالك الزهرى، فقال له: يا أبا إسحاق، هل تذكر يوم حدثنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم عن قتيل موسى الذى قتل من آل فرعون، الإسرائيلى الذى أفشى عليه أم الفرعونى؟ قال: إنما أفشى عليه الفرعونى بما سمع الإسرائيلى الذى شهد ذلك و حضره. هكذا ساق هذا الحديث الإمام النسائى، و أخرجه ابن جرير و ابن أبى حاتم فى تفسيرهما من حديث يزيد بن هارون، و الأشبه، و اللّه أعلم، أنه موقوف، و كونه مرفوعا فيه نظر، و غالبه متلقى من الإسرائيليات، و فيه شىء يسير مصرح برفعه فى أثناء الكلام، و فى بعض ما فيه نظر و نكارة، و الأغلب أنه كلام كعب الأحبار، و قد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزى يقول ذلك، و اللّه أعلم.

بناء قبة الزمان

بناء قبة الزمان قال أهل الكتاب: و قد أمر اللّه موسى عليه السلام بعمل قبة من خشب الشمشاذ و جلود الانعام و شعر الأغنام، و أمر بزينتها بالحرير المصبغ و الذهب و الفضة، على كيفيات مفصلة عند أهل الكتاب، و لها عشر سرادقات، طول كل واحد ثمانية و عشرون ذراعا، و عرضه أربعة أذرع، و لها أربعة أبواب، و أطناب من حرير و دمقس مصبغ، و فيها رفوف و صفائح من ذهب و فضة، و لكل زاوية بابان، و أبواب أخر كبيرة، و ستور من حرير مصبغ، و غير ذلك مما يطول ذكره. و بعمل تابوت من خشب الشمشار يكون طوله ذراعين و نصفا، و عرضه ذراعين، و ارتفاعه ذراعا و نصفا، و يكون مضببا بذهب خالص من داخله و خارجه، و له أربع حلق فى أربع زواياه، و يكون على حافتيه كروبيان من ذهب- يعنون صفة ملكين بأجنحة، و هما متقابلان، صفة رجل اسمه بصليال- و أمراه أن يعمل مائدة من خشب الشمشار، طولها ذراعا، و عرضها ذراع و نصف، لها ضباب ذهب، و إكليل ذهب بشفة مرتفعة بإكليل من ذهب، و أربع حلق من نواحيها من ذهب، معذرة فى مثل الرمان، من خشب ملبس ذهبا و اعمل صحافا، و مصافى و قصاعا على المائدة، و اصنع منارة من الذهب، دلى فيها ست قصبات من ذهب من كل جانب ثلاثة، على كل قصبة ثلاث سرج، و ليكن فى المنارة أربع قناديل، و لتكن هى و جميع هذه الآنية من قنطار من ذهب، صنع ذلك بصليال أيضا، و هو الذى عمل المذبح أيضا، و نصب هذه القبة أول يوم من سنتهم، و هو أول يوم من الربيع، و نصب تابوت الشهادة و هو، و اللّه أعلم، المذكور فى قوله تعالى: إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَ آلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۲۴۸) و قد بسط هذا الفصل فى كتابهم مطولا جدا، و فيه شرائع لهم و أحكام، و صفة قربانهم و كيفيته، و فيه: أن قبة الزمان كانت موجودة قبل عبادتهم العجل، الذى هو متقدم على مجيء بيت المقدس، و أنها كانت لهم كالكعبة يصلون فيها و إليها و يتقربون عندها، و أن موسى عليه السلام كان إذا دخلها يقفون عندها، و ينزل عمود الغمام على بابها، فيخرون عند ذلك سجدا للّه عز و جل، و يكلم الآثار و التاريخ، ص: ۱۷۸ اللّه موسى عليه السلام من ذلك العمود الغمام الذى هو نور، و يخاطبه و يناجيه و يأمره و ينهاه، و هو واقف عند التابوت صامد إلى ما بين الكروبيين، فإذا فصل الخطاب يخبر بنى إسرائيل بما أوحاه اللّه عز و جل إليه من الأوامر و النواهى، و إذا تحاكموا إليه فى شىء ليس عنده من اللّه فيه شىء يجىء إلى قبة الزمان و يقف عند التابوت و يصمد لما بين ذينك الكروبيين، فيأتيه الخطاب بما فيه فصل تلك الحكومة، و قد كان هذا مشروعا لهم فى زمانهم، أعنى استعمال الذهب و الحرير المصبغ و اللئالئ فى معبدهم و عند مصلاهم، فأما فى شريعتنا فلا، بل قد نهينا عن زخرفة المساجد و تزيينها لئلا تشغل المصلين، كما قال عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه لما وسع فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم للذى و كله على عمارته: ابن للناس ما يكنهم، و إياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس. و قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود و النصارى كنائسهم. و هذا من باب التشريف و التكريم و التنزيه، فهذه الأمة غير مشابهة من كان قبلهم من الأمم، إذ جمع اللّه همهم فى صلاتهم على التوجه إليه و الإقبال عليه، و صان أبصارهم و خواطرهم عن الاشتغال و التفكر فى غير ما هم بصدده من العبادة العظيمة، فللّه الحمد و المنة. و قد كانت قبة الزمان هذه مع بنى إسرائيل فى التيه يصلون إليها، و هى قبلتهم و كعبتهم، و إمامهم كليم اللّه موسى عليه السلام، و مقدم القربان أخوه هارون عليه السلام، فلما مات هارون ثم موسى عليهما السلام استمرت بنو هارون فى الذى كان يليه أبوهم من أمر القربان، و هو فيهم إلى الآن، و قام بأعباء النبوة بعد موسى و تدبير الأمر بعده، فتاه يوشع بن نون عليه السلام، و هو الذى دخل بهم بيت المقدس، كما سيأتى بيانه، و المقصود هنا: أنه لما استقرت يده على البيت المقدس نصب هذه القبة على صخرة بيت المقدس، فكانوا يصلون إليها، فلما بادت صلوا إلى محلتها و هى الصخرة، فلهذا كانت قبلة الأنبياء بعده إلى زمان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و قد صلى إليها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قبل الهجرة، و كان يجعل الكعبة بين يديه، فلما هاجر أمر بالصلاة إلى بيت المقدس، فصلى إليها ستة عشر، و قيل: سبعة عشر شهرا، ثم حولت القبلة إلى الكعبة، و هى قبلة إبراهيم فى شعبان سنة ثنتين فى وقت صلاة العصر، و قيل: الظهر، كما بسطنا ذلك فى التفسير عند قوله تعالى:* سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ ما وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي الآثار و التاريخ، ص: ۱۷۹ كانُوا عَلَيْها إلى قوله: قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ الآيات.

قصة قارون مع موسى عليه السلام

قصة قارون مع موسى عليه السلام قال اللّه تعالى فى سورة القصص:* إِنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسى فَبَغى عَلَيْهِمْ وَ آتَيْناهُ مِنَ الْكُنُوزِ ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (۷۶) وَ ابْتَغِ فِيما آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَ أَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَ لا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (۷۷) قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (۷۸) فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (۷۹) وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ لا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ (۸۰) فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ ما كانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (۸۱) وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَوْ لا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ (۸۲) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (۸۳). قال الأعمش عن المنهال بن عمرو بن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان قارون ابن عم موسى، و كذا قال إبراهيم النخعى و عبد اللّه بن الحرث بن نوفل و سماك ابن حرب و قتادة و مالك بن دينار و ابن جريج، و زاد فقال: هو قارون

بن يصهر بن قاهث. و موسى بن عمران بن هافث، قال ابن جريح: و هذا قول أكثر أهل العلم أنه كان ابن عم موسى، ورد قول ابن إسحاق: إنه كان عم موسى. قال قتادة: و كان يسمى النور، لحسن صوته بالتوراة، و لكن عدو اللّه نافق كما نافق السامرى، فأهلكه البغى لكثرة ماله. و قال شهر الآثار و التاريخ، ص: ۱۸۰ ابن حوشب: زاد فى ثيابه شبرا طولا ترفعا على قومه. و قد ذكر اللّه تعالى كثرة كنوزه، حتى أن مفاتيحه كان يثقل حملها على المئات من الرجال الشداد، و قد قيل: إنها كانت من الجلود، و إنها كانت تحمل على ستين بغلا- فاللّه أعلم. و قد وعظه النصحاء من قومه قائلين: لا- تَفْرَحْ أى لا- تبطر، بما أعطيت و تفخر على غيرك إِنَّ اللَّهَ لا- يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (۷۶) وَ ابْتَغِ فِيما آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ يقولون: لتكن همتك مصروفة لتحصيل ثواب اللّه فى الدار الآخرة، فإنه خير و أبقى، و مع هذا: وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا أى و تناول منها بمالك ما أحل اللّه لك، فتمتع لنفسك بالملاذ الطيبة الحلال وَ أَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ أى و أحسن إلى خلق اللّه كما أحسن اللّه خالقهم و بارئهم إليك وَ لا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الْأَرْضِ أى و لا تسىء إليهم، و لا- تفسد فيهم، فتقابلهم ضد ما أمرت فيهم، فيعاقبك و يسلبك ما وهبك إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ فما كان جواب قومه لهذه النصيحة الصحيحة الفصيحة إلا أن قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي يعنى أنا لا أحتاج إلى استعمال ما ذكرتم، و لا إلى ما إليه أشرتم، فإن اللّه إنما أعطانى هذا لعلمه أنى أستحقه، و أنى أهل له، و لو لا أنى حبيب إليه و حظى عنده لما أعطانى ما أعطانى، قال اللّه تعالى ردا عليه و ما ذهب إليه: أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً وَ لا- يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ أى قد أهلكنا من الأمم الماضين بذنوبهم و خطاياهم من هو أشد من قارون قوة و أكثر أموالا و أولادا، فلو كان ما قال صحيحا، لم نعاقب أحدا ممن كان أكثر مالا- منه، و لم يكن ماله دليلا على محبتنا له و اعتنائنا به، كما قال تعالى: وَ ما أَمْوالُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً، و قال تعالى: أَ يَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِينَ (۵۵) نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ (۵۶) و هذا الرد عليه يدل على صحة ما ذهبنا إليه من معنى قوله: إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي و أما من زعم أن المراد من ذلك أنه كان يعرف صنعة الكيمياء، أو أنه كان يحفظ الاسم الأعظم فاستعمله فى جمع الآثار و التاريخ، ص: ۱۸۱ الأموال فليس بصحيح، لأن الكيمياء تخييل و صبغة لا تحيل الحقائق و لا تشابه صنعة الخالق، و الاسم الأعظم لا يصعد الدعاء به من كافر به، و قارون كان كافرا فى الباطن منافقا فى الظاهر، ثم لا يصح جوابه لهم بهذا على هذا التقدير، و لا يبقى بين الكلامين تلازم، و قد وضحنا هذا فى كتابنا التفسير، و للّه الحمد. قال اللّه تعالى: فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ذكر كثير من المفسرين أنه خرج فى تجمل عظيم من ملابس و مراكب و خدم و حشم، فلما رآه من يعظم زهرة الحياة الدنيا تمنوا أن لو كانوا مثله، و غبطوه بما عليه و له، فلما سمع مقالتهم العلماء ذوو الفهم الصحيح الزهاد الألباء، قالوا لهم: وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً أى ثواب اللّه فى الدار الآخرة خير و أبقى و أجل و أعلى، قال اللّه تعالى: وَ لا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ أى و ما يلقى هذه النصيحة و هذه المقالة و هذه الهمة السامية إلى الدار الآخرة العلية عند النظر إلى زهرة هذه الدنيا الدنية إلا من هدى اللّه قلبه، و ثبت فؤاده و أيد لبه و حقق مراده، و ما أحسن ما قال بعض السلف: إن اللّه يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، و العقل الكامل عند حلول الشهوات، قال اللّه تعالى: فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ ما كانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (۸۱) لما ذكر تعالى خروجه فى زينته و اختياله فيها و فخره على قومه بها قال: فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ كما روى البخارى من حديث الزهرى عن سالم، عن أبيه، عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم قال: (بينا رجل يجر إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامة). ثم رواه البخارى من حديث جرير بن زيد عن سالم، عن أبى هريرة، عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم نحوه. و قد ذكر ابن عباس و السدى: أن قارون أعطى امرأة بغيا مالا على أن تقول لموسى عليه السلام و هو فى ملأ من الناس إنك فعلت بى كذا و كذا، فيقال: إنها قالت له ذلك، فأرعد من الفرق، و صلى ركعتين، ثم أقبل عليها فاستحلفها من ذلك على ذلك، و ما حملك عليه؟ فذكرت أن قارون هو الذى حملها على ذلك، و استغفرت اللّه و تابت إليه، فعند ذلك خر موسى للّه ساجدا، و دعا اللّه على قارون، فأوحى اللّه الآثار و التاريخ، ص: ۱۸۲ إليه أنى قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه، فأمر موسى الأرض أن تبتلعه و داره، فكان ذلك، فاللّه أعلم، و قد قيل: إن قارون لما خرج

على قومه فى زينته مر بجحفله و بغاله و ملابسه على مجلس موسى عليه السلام، و هو يذكر قومه بأيام اللّه، فلما رآه الناس انصرفت وجوه كثير من الناس ينظرون إليه، فدعاه موسى عليه السلام، فقال له: ما حملك على هذا؟ فقال: يا موسى، أما لئن كنت فضلت علىّ بالنبوة فلقد فضلت عليك بالمال، و لئن شئت لتخرجن، فلتدعون على و لأدعون عليك، فخرج، و خرج قارون فى قومه، فقال له موسى: تدعو أو أدعو؟ قال: أدعو أنا، فدعى قارون، فلم يجب فى موسى، فقال موسى: أدعو؟ قال: نعم، فقال موسى: اللهم مر الأرض فلتطعنى اليوم، فأوحى اللّه إليه: إنى قد فعلت، فقال موسى: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى أقدامهم، ثم قال: خذيهم، فأخذتهم إلى ركبهم، ثم إلى مناكبهم، ثم قال: أقبلى بكنوزهم و أموالهم، فأقبلت بها حتى نظروا إليها، ثم أشار موسى بيده فقال: اذهبوا بنى لاوى، فاستوت بهم الأرض. و قد روى عن قتادة أنه قال: يخسف بهم كل يوم قامة إلى يوم القيامة. و عن ابن عباس أنه قال: خسف بهم إلى الأرض السابعة. و قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا إسرائيليات كثيرة، أضربنا عنها صفحا، و تركناها قصدا. و قوله تعالى: فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ ما كانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ لم يكن له ناصر من نفسه و لا من غيره، كما قال: فَما لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لا ناصِرٍ (۱۰) و لما حل به ما حل من الخسف، و ذهاب الأموال، و خراب الدار، و إهلاك النفس و الأهل و العقار، ندم من كان تمنى مثل ما أوتى، و شكروا اللّه تعالى الذى يدبر عباده بما يشاء من حسن التدبير المخزون، و لهذا قالوا: لَوْ لا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ (۸۲). و قد تكلم أهل العلم عن لفظ: (ويك) فى تفاسيرهم. و قد قال قتادة: ويكأن بمعنى: أ لم تر أن. و هذا قول حسن من حيث المعنى، و اللّه أعلم، ثم أخبر تعالى أن الدَّارُ الْآخِرَةُ و هى دار القرار، و هى الدار التى يغبط من أعطيها، و يعزى من حرمها، إنما هى معدة للذين لا يريدون علوا فى الأرض و لا فسادا، فالعلو هو: التكبر و الفخر و الأشر و البطر، و الفساد هو: عمل المعاصى اللازمة و المتعدية من أخذ أموال الآثار و التاريخ، ص: ۱۸۳ الناس و إفساد معايشهم و الإساءة إليهم، و عدم النصح لهم، ثم قال تعالى: وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (۸۳) و قصة قارون هذه قد تكون قبل خروجهم من مصر، لقوله: فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ فإن الدار ظاهرة فى البنيان، و قد تكون بعد ذلك فى التيه، و تكون الدار عبارة عن المحلة التى تضرب فيها الخيام، كما قال عنترة: يا دارا عبلة بالجواء تكلمى و عمى صباحا دار عبلة و اسلمى و اللّه أعلم. و قد ذكر اللّه تعالى مذمة قارون فى غير ما آية من القرآن قال اللّه: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ (۲۳) إِلى فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ قارُونَ فَقالُوا ساحِرٌ كَذَّابٌ (۲۴)، و قال تعالى فى سورة العنكبوت، بعد ذكر عاد و ثمود و قارون و فرعون و هامان: وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ما كانُوا سابِقِينَ (۳۹) فَكُلًّا أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا وَ ما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۴۰)، فالذى خسف به الأرض قارون، كما تقدم، و الذى أغرق فرعون و هامان و جنودهما إنهم كانوا خاطئين. و قد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا سعيد، حدثنا كعب بن علقمة، عن عيسى بن هلال الصدفى، عن عبد اللّه بن عمرو، عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال: (من حافظ عليها كانت له نورا و برهانا و نجاة يوم القيامة، و من لم يحافظ عليها لم يكن له نور و لا برهان و لا نجاة، و كان يوم القيامة مع قارون و فرعون و هامان و أبى بن خلف). انفرد به أحمد رحمه اللّه.

باب فضائل موسى عليه السلام و شمائله و صفاته و وفائه

باب فضائل موسى عليه السلام و شمائله و صفاته و وفائه قال اللّه تعالى فى سورة مريم: وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ مُوسى إِنَّهُ كانَ مُخْلَصاً وَ كانَ رَسُولًا نَبِيًّا (۵۱) وَ نادَيْناهُ مِنْ جانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَ قَرَّبْناهُ نَجِيًّا (۵۲) وَ وَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أَخاهُ هارُونَ نَبِيًّا (۵۳) .. و قال تعالى: قالَ يا مُوسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسالاتِي وَ بِكَلامِي فَخُذْ ما آتَيْتُكَ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (۱۴۴)، (الأعراف: ۱۴۴). الآثار و التاريخ، ص: ۱۸۴ و تقدم فى الصحيحين عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أنه قال: (لا تفضلونى على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فأجد موسى باطشا بقائمة العرش، فلا أدرى أصعق فأفاق قبلى؟ أم جوزى بصعقة الطور؟). و قدمنا

أنه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم من باب الهضم و التواضع، و إلا فهو صلوات اللّه و سلامه عليه خاتم الأنبياء، و سيد ولد آدم فى الدنيا و الآخرة، قطعا جزما لا يحتمل النقيض، و قال تعالى:* إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ إلى أن قال: وَ رُسُلًا قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً (۱۶۴)، و قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا وَ كانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً (۶۹). قال الإمام أبو عبد اللّه البخارى: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن روح بن عبادة، عن عوف، عن الحسن و محمد و خلاس، عن أبى هريرة قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: (إن موسى كان رجلا حييا ستيرا، لا يرى جلده شىء استحياء منه، فأذاه من أذاه من بنى إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص أو أدرة، و إما آفة، و أن اللّه عز و جل أراد أن يبرأه مما قالوا لموسى، فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها و أن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه و طلب الحجر، فجعل يقول: ثوبى حجر، ثوبى حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل، فرأوه عريانا أحسن ما خلق اللّه، و برأه مما يقولون، و قام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، و طفق بالحجر ضربا بعصاه، فو اللّه إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا، قال فذلك قوله عز و جل: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا وَ كانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً (۶۹) ... و قد رواه الإمام أحمد من حديث عبد اللّه ابن شقيق و همام بن منبه، عن أبى هريرة به. و هو فى الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر، عن همام عنه به. و رواه مسلم من حديث عبد اللّه بن شقيق العقيلى عنه. الآثار و التاريخ، ص: ۱۸۵ قال بعض السلف: كان من وجاهته أنه شفع فى أخيه عند اللّه و طلب منه أن يكون معه وزيرا فأجابه اللّه إلى سؤاله، و أعطاه طلبته، و جعله نبيا، كما قال: وَ وَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أَخاهُ هارُونَ نَبِيًّا (۵۳)، ثم قال البخارى: حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، حدثنا الأعمش سألت أبا وائل، قال: سمعت عبد اللّه، قال: قسم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قسما، فقال رجل: إن هذه قسمة ما أريد بها وجه اللّه، فأتيت النبى صلّى اللّه عليه و سلم فغضب، حتى رأيت الغضب فى وجهه، ثم قال: (يرحم اللّه موسى، قد أوذى بأكثر من هذا فصبر). و كذا رواه مسلم من غير وجه عن سليمان بن مهران الأعمش به. و قال الإمام أحمد: حدثنا أحمد ابن حجاج سمعت إسرائيل بن يونس، عن الوليد بن أبى هاشم، مولى لهمدان، عن زيد ابن أبى زائد، عن عبد اللّه بن مسعود، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لأصحابه: (لا يبلغنى أحد عن أحد شيئا، فإنى أحب أن أخرج إليكم و أنا سليم الصدر). قال: و أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مال، فقسمه، قال: فمررت برجلين، و أحدهما يقول لصاحبه: و اللّه ما أراد محمد بقسمته وجه اللّه، و لا الدار الآخرة، فثبت حتى سمعت ما قالا، ثم أتيت رسول اللّه، فقلت: يا رسول اللّه، إنك قلت: لنا لا يبلغنى أحد عن أحد من أصحابى شيئا، و إنى مررت بفلان و فلان و هما يقولان كذا و كذا، فاحمر وجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و شق عليه، ثم قال: (دعنا منك، فقد أوذى موسى أكثر من ذلك فصبر). و هكذا رواه أبو داود و الترمذى من حديث إسرائيل عن الوليد بن أبى هاشم به. و فى رواية للترمذى و لأبى داود من طريق ابن عبد، عن إسرائيل، عن السدى، عن الوليد به. و قال الترمذى: غريب من هذا الوجه. و قد ثبت فى الصحيحين فى أحاديث الإسراء: (أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مر بموسى و هو قائم يصلى فى قبره). و رواه مسلم عن أنس. و فى الصحيحين من رواية قتادة، عن أنس، عن مالك بن صعصعة، عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم: (أنه مر ليلة أسرى به بموسى فى السماء السادسة، فقال له جبريل: هذا موسى، فسلم عليه، قال: فسلمت عليه، فقال: مرحبا بالنبى الصالح، و الأخ الصالح، فلما تجاوزت بكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكى لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى)، و ذكر إبراهيم فى السماء السابعة، و هذا هو المحفوظ. و ما وقع فى الآثار و التاريخ، ص: ۱۸۶ حديث شريك بن أبى نمر عن أنس: من أن إبراهيم فى السادسة، و موسى فى السابعة بتفضيل كلام اللّه، فقد ذكر غير واحد من الحفاظ: أن الذى عليه الجادة: أن موسى فى السادسة، و إبراهيم فى السابعة، و أنه مسند ظهره إلى البيت المعمور، الذى يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة، ثم لا يعودون إليه، آخر ما عليهم. و اتفقت الروايات كلها على أن اللّه تعالى لما فرض على محمد صلّى اللّه عليه و سلم و أمته خمسين صلاة فى اليوم و الليلة، فمر بموسى، قال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف

لأمتك، فإنى قد عالجت بنى إسرائيل قبلك أشد المعالجة، و أن أمتك أضعف أسماعا و أبصارا و أفئدة، فلم يزل يتردد بين موسى و بين اللّه عز و جل، و يخفف عنه فى كل مرة، حتى صارت إلى خمس صلوات فى اليوم و الليلة. و قال اللّه تعالى: هى خمس و هى خمسون، أى بالمضاعفة، فجزى اللّه عنا محمدا صلّى اللّه عليه و سلم خيرا، و جزى اللّه عنا موسى عليه السلام خيرا. و قال البخارى: حدثنا مسدد، حدثنا حصين بن نمير، عن حصين بن عبد الرحمن، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: خرج علينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يوما، فقال: (عرضت على الأمم، و رأيت سوادا كثيرا سد الأفق، فقيل: هذا موسى فى قومه). هكذا روى البخارى هذا الحديث هاهنا مختصرا، و قد رواه الإمام أحمد مطولا، فقال: حدثنا شريح، حدثنا هشام، حدثنا حصين بن عبد الرحمن، قال: كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أيكم رأى الكوكب الذى انقض البارحة؟ قلت: أنا، ثم قلت: إنى لم أكن فى صلاة، و لكن لدغت، قال: و كيف فعلت؟ قلت: استرقيت، قال: و ما حملك على ذلك؟ قال: قلت: حديث حدثناه الشعبى عن بريدة الأسلمى، أنه قال: (لا رقية إلا من عين أو حمة). فقال سعيد، يعنى ابن جبير: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ثم قال: حدثنا ابن عباس عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم قال: (عرضت على الأمم، فرأيت النبى و معه الرهط، و النبى معه الرجل و الرجلان، و النبى و ليس معه أحد، إذ رفع لى سواد عظيم، فقلت: هذه أمتى، فقيل: هذا موسى و قومه، و لكن انظر إلى الأفق فإذا سواد عظيم، ثم قيل: انظر إلى هذا الجانب، فإذا سواد عظيم، فقيل: هذه أمتك، و معهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب و لا عذاب)، ثم نهض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم الآثار و التاريخ، ص: ۱۸۷ فدخل، فخاض القوم فى ذلك، فقالوا: من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب و لا عذاب؟ فقال: بعضهم لعلهم الذين صحبوا النبى صلّى اللّه عليه و سلم، و قال بعضهم: لعلهم الذين ولدوا فى الإسلام و لم يشركوا باللّه شيئا قط، و ذكروا أشياء، فخرج إليهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فقال: (ما هذا الذى كنتم تخوضون فيه؟) فأخبروه بمقالتهم، فقال: (هم الذين لا يكتوون، و لا- يسترقون، و لا- يتطيرون، و على ربهم يتوكلون)، فقام عكاشة بن محيصن الأسدى، فقال: أنا منهم يا رسول اللّه؟ قال: (أنت منهم)، ثم قام آخر، فقال: أنا منهم يا رسول اللّه؟ فقال: (سبقك بها عكاشة). و هذا الحديث له طرق كثيرة جدا و هو فى الصحاح و الحسان و غيرها. و قد ذكر اللّه تعالى موسى عليه السلام فى القرآن كثيرا و أثنى عليه، و أورد قصته فى كتابه العزيز مرارا، و كررها كثيرا، مطولة و مبسوطة و مختصرة، و أثنى عليه بليغا، و كثيرا ما يقرنه اللّه و يذكره، و يذكر كتابه مع محمد صلّى اللّه عليه و سلم و كتابه، كما قال فى سورة البقرة: وَ لَمَّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ كِتابَ اللَّهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۱۰۱)، و قال تعالى: الم (۱) اللَّهُ لا- إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (۲) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ (۳) مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ أَنْزَلَ الْفُرْقانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ (۴)، و قال تعالى فى سورة الأنعام: وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قالُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسى نُوراً وَ هُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ تُبْدُونَها وَ تُخْفُونَ كَثِيراً وَ عُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَ لا آباؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (۹۱) وَ هذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَ مَنْ حَوْلَها وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ (۹۲) .. فأثنى تعالى على التوراة، ثم مدح القرآن العظيم مدحا عظيما، و قال تعالى فى آخرها: ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ تَماماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ الآثار و التاريخ، ص: ۱۸۸ (۱۵۴) وَ هذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَ اتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۱۵۵)، (الأنعام). و قال تعالى فى سورة المائدة: إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَ الرَّبَّانِيُّونَ وَ الْأَحْبارُ بِما اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ وَ كانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ فَلا- تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اخْشَوْنِ وَ لا- تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلًا وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ (۴۴)، إلى أن قال تعالى: وَ لْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ (۴۷) وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما

كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (۴۸) .. فجعل القرآن حاكما على سائر الكتب غيره، و جعله مصدقا لها، و مبينا ما وقع فيها من التحريف و التبديل، فإن أهل الكتاب استحفظوا على ما بأيديهم من الكتب، فلم يقدروا على حفظها، و لا على ضبطها و صونها، فلهذا دخلها ما دخلها من تغييرهم و تبديلهم، لسوء فهومهم، و قصورهم فى علومهم، و رداءة قصودهم، و خيانتهم لمعبودهم، عليهم لعائن اللّه المتتابعة إلى يوم القيامة، و لهذا يوجد فى كتبهم من الخطأ البين على اللّه و على رسوله ما لا يحد و لا يوصف، و ما لا يوجد مثله و لا يعرف. و قال تعالى فى سورة الأنبياء: وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسى وَ هارُونَ الْفُرْقانَ وَ ضِياءً وَ ذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ (۴۸) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (۴۹) وَ هذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ أَ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (۵۰) .. و قال اللّه تعالى فى سورة القصص: فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا لَوْ لا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسى أَ وَ لَمْ يَكْفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسى مِنْ قَبْلُ قالُوا سِحْرانِ تَظاهَرا وَ قالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كافِرُونَ (۴۸) قُلْ فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدى مِنْهُما أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۴۹)، فأثنى اللّه على الكتابين، و على الآثار و التاريخ، ص: ۱۸۹ الرسولين، عليهما السلام، و قالت الجن لقومهم: إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى، و قال ورقة بن نوفل، لما قص عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم خبر ما رأى من أول الوحى، و تلا عليه: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (۱) خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (۲) اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ (۳) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (۴) عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ (۵)، قال: سبوح سبوح هذا الناموس الذى أنزل على موسى بن عمران. و بالجملة: فشريعة موسى عليه السلام كانت عظيمة، و أمته كانت أمة كثيرة، و وجد فيها أنبياء و علماء، و عباد و زهاد و ألباء، و ملوك و أمراء و سادات و كبراء، لكنهم كانوا فبادوا و تبدلوا كما بدلت شريعتهم، و مسخوا قردة و خنازير، ثم نسخت بعد كل حساب ملتهم، و جرت عليهم خطوب و أمور يطول ذكرها، و لكن سنورد ما فيه مقنع لمن أراد أن يبلغه خبرها، إن شاء اللّه و به الثقة و عليه التكلان.

حجته عليه السلام إلى البيت العتيق

حجته عليه السلام إلى البيت العتيق قال الإمام أحمد: حدثنا هشام، حدثنا داود بن أبى هند، عن أبى العالية، عن ابن عباس، أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مر بوادى الأزرق، فقال: (أى واد هذا؟) قالوا: وادى الأزرق، قال: (كأنى أنظر إلى موسى و هو هابط من الثنية، و له جؤار إلى اللّه عز و جل بالتلبية)، حتى أنى على ثنية هرشاء، فقال: (أى ثنية هذه؟) قالوا: هذه ثنية هرشاء، قال: (كأنى انظر إلى يونس بن متى، على ناقة حمراء، عليه جبة من صوف، خطام ناقته خلبة- قال هشيم: يعنى ليفا- و هو يلبى). أخرجه مسلم من حديث داود بن أبى هند به. و روى الطبرانى عن ابن عباس مرفوعا: (إن موسى حج على ثور أحمر) و هذا غريب جدا. و قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبى عدى، عن ابن عون، عن مجاهد، قال: كنا عند ابن عباس، فذكروا الدجال، فقال: إنه مكتوب بين عينيه: (ك ف ر)، قال: ما يقولون؟ قال: يقولون مكتوب بين عينيه ك ف ر، فقال ابن عباس: لم أسمعه قال ذلك، و لكن قال: (أمّا إبراهيم: فانظروا إلى صاحبكم، و أما موسى: فرجل آدم، جعد الآثار و التاريخ، ص: ۱۹۰ الشعر، على جمل أحمر، مخطوم بخلبة، كأنى أنظر إليه و قد انحدر من الوادى يلبى)، قال هشيم: الخلبة الليف، ثم رواه الإمام أحمد عن أسود، عن إسرائيل، عن عثمان بن المغيرة، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم (رأيت عيسى ابن مريم و موسى و إبراهيم، فأما عيسى فأبيض جعد عريض الصدر، و أما موسى: فآدم جسيم)، قالوا: فإبراهيم؟ قال: (انظروا إلى صاحبكم). و قال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا شيبان، قال: حدث قتادة عن أبى العالية، حدثنا ابن عم نبيكم ابن عباس، قال: قال نبى اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: (رأيت ليلة أسرى بى: موسى بن عمران رجلا طوالا جعدا، كأنه من رجال شنوءة، و رأيت عيسى ابن مريم مربوع الخلق إلى الحمرة و البياض، سبط الرأس)، و أخرجاه من حديث قتادة به. و قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، قال الزهرى: و أخبرنى سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم (حين أسرى بى لقيت موسى، فنعته، فقال رجل قال: حسبته قال: مضطرب، رجل الرأس، كأنه من رجال شنوءة- و لقيت عيسى فنعته رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فقال: ربعة، أحمر، كأنما خرج من ديماس- يعنى حماما- قال: و رأيت إبراهيم، و أنا أشبه ولده به). الحديث و قد تقدم غالب هذه الأحاديث فى ترجمة الخليل.

ذكر وفاته عليه السلام

ذكر وفاته عليه السلام قال البخارى فى صحيحه: (وفاة موسى عليه السلام) حدثنا يحيى بن موسى، حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن أبى هريرة، قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه عز و جل، فقال: أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت، قال: ارجع إليه، فقل له: يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أى رب، ثم ما ذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، قال: فسأل اللّه عز و جل أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال أبو هريرة: فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: (فلو كنت ثمّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الآثار و التاريخ، ص: ۱۹۱ الكثيب الأحمر). قال: و أنبأنا معمر، عن همام، عن أبى هريرة، عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم نحوه. و قد روى مسلم الطريق الأول من حديث عبد الرزاق به. و رواه الإمام أحمد من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن أبى هريرة مرفوعا. و قال الإمام أحمد: حدثنا الحسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو يونس، يعنى سليم بن جبير، عن أبى هريرة، قال الإمام أحمد: لم يرفعه، قال: جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فقال: أجب ربك، فلطم موسى عين ملك الموت، ففقأها، فرجع الملك إلى اللّه، فقال: إنك بعثتنى إلى عبد لك لا يريد الموت، قال: و قد فقأ عينى، قال: فرد اللّه عينه، و قال: ارجع إلى عبدى، فقل له: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما وارت يدك من شعره فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن يا رب من قريب. تفرد به أحمد، و هو موقوف بهذا اللفظ. و قد رواه ابن حبان فى صحيحه من طريق معمر عن ابن طاوس، عن أبيه، عن أبى هريرة، قال معمر: و أخبرنى من سمع الحسن، عن رسول اللّه فذكره. ثم استشكله ابن حبان، و أجاب عنه بما حاصله: أن ملك الموت لما قال له هذا لم يعرفه، لمجيئه له على غير صورة يعرفها موسى عليه السلام، كما جاء جبريل فى صورة أعرابى، و كما وردت الملائكة على إبراهيم و لوط فى صورة شباب، فلم يعرفهم إبراهيم و لا لوط أولا، و كذلك موسى لعله لم يعرفه لذلك، و لطمه ففقأ عينه لأنه دخل داره بغير إذنه، و هذا موافق لشريعتنا فى جواز فقء عين من نظر إليك فى دارك بغير إذن، ثم أورد الحديث من طريق عبد الرزاق عن معمر، عن همام، عن أبى هريرة، قال، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم (جاء ملك الموت إلى موسى ليقبض روحه، قال له: أجب ربك، فلطم موسى عين ملك الموت، ففقأ عينه). و ذكر تمام الحديث، كما أشار إليه البخارى، ثم تأوله على أنه لما رفع يده ليلطمه قال له: أجب ربك. و هذا التأويل لا يتمشى على ما ورد به اللفظ من تعقيب قوله: أجب ربك، بلطمه، و لو استمر على الجواب الأول لتمشى له، و كأنه لم يعرفه فى تلك الصورة، و لم يحمل قوله هذا على أنه مطابق، إذا لم يتحقق فى الساعة الراهنة أنه ملك كريم، لأنه كان يرجو أمورا كثيرة، كان يحب وقوعها فى حياته، من الآثار و التاريخ، ص: ۱۹۲ خروجه من التيه و دخولهم الأرض المقدسة، و كان قد سبق فى قدرة اللّه أنه عليه السلام يموت فى التيه بعد هارون أخيه، كما سنبينه إن شاء اللّه تعالى. و قد زعم بعضهم أن موسى عليه السلام هو الذى خرج بهم من التيه، و دخل بهم الأرض المقدسة، و هذا خلاف ما عليه أهل الكتاب و جمهور المسلمين، و مما يدل على ذلك قوله لما اختار الموت: (رب أدننى إلى الأرض المقدسة رمية حجر)، و لو كان قد دخلها لم يسأل ذلك، و لكن لما كان مع قومه بالتيه و حانت وفاته عليه السلام، أحب أن يتقرب إلى الأرض التى هاجر إليها و حث قومه عليها، و لكن حال بينهم و بينها القدر رمية بحجر، و لهذا قال سيد البشر، و رسول اللّه إلى أهل الوبر و المدر: (فلو كنت ثم لأريتكم قبره عند الكثيب الأحمر). و قال الإمام: حدثنا عفان، حدثنا حماد، حدثنا ثابت و سليمان التيمى، عن أنس بن مالك، أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: (لما أسرى بى مررت بموسى و هو قائم يصلى فى قبره عند الكثيب الأحمر). و رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به. و قال السدى عن أبى مالك و أبى صالح، عن ابن عباس و عن مرة، عن ابن مسعود و عن ناس من الصحابة، قالوا: ثم إن اللّه تعالى أوحى إلى موسى: إنى متوف هارون، فائت به جبل كذا و كذا، فانطلق موسى و هارون نحو ذلك الجبل، فإذا هم بشجرة لم تر شجرة مثلها، و إذا هم ببيت مبنى، و إذا هم بسرير عليه فرش، و إذا فيه ريح طيبة، فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل، و البيت و ما فيه، أعجبه، قال: يا موسى، إنى أحب أن أنام على هذا

السرير، قال له موسى: فنم عليه، قال: إنى أخاف أن يأتى رب هذا البيت فيغضب علىّ، قال له: لا ترهب، أنا أكفيك رب هذا البيت، فنم، قال: يا موسى، نم معى، فإن جاء رب هذا البيت غضب علىّ و عليك جميعا، فلما ناما، أخذ هارون الموت، فلما وجد حسه قال: يا موسى، خدعتنى، فلما قبض، رفع ذلك البيت، و ذهبت تلك الشجرة، و رفع السرير به إلى السماء، فلما رجع موسى إلى قومه و ليس معه هارون، قالوا: فإن موسى قتل هارون، و حسده حب بنى إسرائيل له، و كان هارون أكف عنهم و ألين لهم من موسى، و كان فى موسى بعض الغلظة عليهم، فلما بلغه ذلك قال لهم: ويحكم، كان أخى، أ فترونى أقتله؟ فلما أكثروا عليه، قام الآثار و التاريخ، ص: ۱۹۳ فصلى ركعتين، ثم دعا اللّه، فنزل السرير، حتى نظروا إليه بين السماء و الأرض، ثم إن موسى عليه السلام بينما هو يمشى و يوشع فتاه، إذ أقبلت ريح سوداء، فلما نظر إليها يوشع ظن أنها الساعة، فالتزم موسى، و قال: تقوم الساعة و أنا ملتزم موسى نبى اللّه، فاستل موسى عليه السلام من تحت القميص، و ترك القميص فى يدى يوشع، فلما جاء يوشع بالقميص آخذته بنو إسرائيل، و قالوا: قتلت نبى اللّه، فقال: لا، و اللّه ما قتلته، و لكنه استل منى، فلم يصدقوه و أرادوا قتله، قال: فإذا لم تصدقونى فأخرونى ثلاثة أيام، فدعا اللّه، فأتى كل رجل ممن كان يحرسه فى المنام، فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى، و إنا قد رفعناه إلينا فتركوه، و لم يبق أحد ممن أبى أن يدخل قرية الجبارين مع موسى إلا مات، و لم يشهد الفتح، و فى بعض هذا السياق نكارة و غرابة، و اللّه أعلم. و قد قدمنا: أنه لم يخرج أحد من التيه ممن كان مع موسى، سوى يوشع بن نون، و كالب بن يوقنا، و هو زوج مريم أخت موسى و هارون، و هما الرجلان المذكوران فيما تقدم، اللذان أشارا على ملأ بنى إسرائيل بالدخول عليهم. و ذكر وهب بن منبه: أن موسى عليه السلام مر بملإ من الملائكة يحفرون قبرا فلم ير أحسن منه و لا أنضر و لا أبهج، فقال: يا ملائكة اللّه، لمن تحفرون هذا القبر؟ فقالوا: لعبد من عباد اللّه كريم، فإن كنت تحب أن تكون هذا العبد، فادخل هذا القبر، و تمدّد فيه، و توجه إلى ربك، و تنفّس أسهل تنفّس، ففعل ذلك، فمات صلوات اللّه و سلامه عليه، فصلت عليه الملائكة، و دفنوه. و ذكر أهل الكتاب و غيرهم: أنه مات و عمره مائة و عشرون سنة. و قد قال الإمام أحمد: حدثنا أمية بن خالد و يونس، قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن عمار بن أبى عمار، عن أبى هريرة، عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم- قال يونس: رفع هذا الحديث إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلم- قال: (كان ملك الموت يأتى الناس عيانا، قال: فأتى موسى عليه السلام فلطمه، ففقأ عينه، فأتى ربه، فقال: يا رب عبدك موسى فقأ عينى، و لو لا كرامته عليك لعتبت عليه- و قال يونس لشققت عليه- قال له: اذهب إلى عبدى، فقل له: فليضع يده على جلد، أو مسك، ثور، فله بكل شعرة وارت يده سنة، فأتاه، فقال له، فقال: ما بعد هذا؟ قال: الموت، قال: فالآن. قال: فشمه شمة، فقبض روحه.) قال يونس: فرد الآثار و التاريخ، ص: ۱۹۴ اللّه عليه عينه، و كان يأتى الناس خفية. و كذا رواه ابن جرير عن أبى كريب عن مصعب بن المقدام عن حماد بن سلمة به، فرفعه أيضا.

نبوة يوشع و قيامه بأعباء بنى إسرائيل بعد موسى و هارون

نبوة يوشع و قيامه بأعباء بنى إسرائيل بعد موسى و هارون هو: يوشع بن نون بن أفراثيم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام، و أهل الكتاب يقولون: يوشع بن عم هود، و قد ذكره اللّه تعالى فى القرآن غير مصرح باسمه فى قصة الخضر، كما تقدم من قوله: وَ إِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ فَلَمَّا جاوَزا قالَ لِفَتاهُ و قدمنا ما ثبت فى الصحيح من رواية أبى بن كعب رضى اللّه عنه عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم: (من أنه يوشع بن نون). و هو متفق على نبوته عند أهل الكتاب، فإن طائفة منهم، و هم السامرة، لا يقرون بنبوة أحد بعد موسى إلا يوشع بن نون، لأنه مصرح به فى التوراة، و يكفرون بما وراءه، و هو الحق من ربهم، فعليهم لعائن اللّه المتتابعة إلى يوم القيامة. و أما ما حكاه ابن جرير و غيره من المفسرين، عن محمد بن إسحاق: من أن النبوة حولت من موسى إلى يوشع فى آخر عمر موسى، فكان موسى يلقى يوشع فيسأله ما أحدث اللّه من الأوامر و النواهى؟ حتى قال له: يا كليم اللّه، إنى كنت لا أسألك عما يوحى اللّه إليك حتى تخبرنى أنت ابتداء من تلقاء نفسك، فعند ذلك كره موسى الحياة و أحب الموت. ففى هذا نظر لأن موسى عليه السلام لم يزل الأمر و الوحى و التشريع و الكلام من اللّه إليه من جميع أحواله حتى توفاه اللّه عز و جل، و لم يزل

معززا مكرما مدللا وجيها عند اللّه كما قدمنا فى الصحيح من قصة فقئه عين ملك الموت، ثم بعثه اللّه إليه إن كان يريد الحياة، فليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة يعيشها، قال: ثم ما ذا؟ قال: الموت، قال: فالآن يا رب، و سأل اللّه أن يدنيه إلى بيت المقدس رمية بحجر. و قد أجيب إلى ذلك صلوات اللّه و سلامه عليه، فهذا الذى ذكره محمد بن إسحاق إن كان إنما يقوله من كتب أهل الكتاب، ففى كتابهم الذى يسمونه التوراة: أن الوحى لم يزل ينزل على موسى فى كل حين يحتاجون إليه إلى آخر مدة موسى، كما هو المعلوم من سياق كتابهم، عند تابوت الشهادة فى قبة الزمان، و قد ذكروا الآثار و التاريخ، ص: ۱۹۵ فى السفر الثالث: أن اللّه أمر موسى و هارون أن يعدا بنى إسرائيل على أسباطهم، و أن يجعلا على كل سبط من الاثنى عشر أميرا، و هو النقيب، و ما ذاك إلا ليتأهبوا للقتال قتال الجبارين عند الخروج من التيه، و كان هذا عند اقتراب انقضاء الأربعين سنة. و لهذا قال بعضهم: إنما فقأ موسى عليه السلام عين ملك الموت لأنه لم يعرفه فى صورته تلك، و لأنه كان قد أمر بأمر كان يرتجى وقوعه فى زمانه، و لم يكن فى قدر اللّه أن يقع ذلك فى زمانه، بل فى زمان فتاه يوشع بن نون عليه السلام. كما أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم كان قد أراد غزو الروم بالشام فوصل إلى تبوك، ثم رجع عامه ذلك فى سنة تسع ثم حج فى سنة عشر، ثم رجع فجهز جيش أسامة إلى الشام طليعة بين يديه، ثم كان على عزم الخروج إليهم امتثالا لقوله تعالى: قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ لا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ (۲۹)، (التوبة: ۲۹). و لما جهز رسول اللّه جيش أسامة توفى عليه الصلاة و السلام، و أسامة مخيم بالجرف فنفذه صديقه و خليفته أبو بكر الصديق رضى اللّه عنه، ثم لما لم شعث جزيرة العرب و ما كان دهى من أمر أهلها و عاد الحق إلى نصابه، جهز الجيوش يمنة و يسرة إلى العراق أصحاب كسرى ملك الفرس، و إلى الشام أصحاب قيصر ملك الروم، ففتح اللّه لهم و مكن لهم و بهم و ملكهم نواصى أعدائهم. و هكذا موسى عليه السلام كان اللّه قد أمره أن يجند بنى إسرائيل و أن يجعل عليهم نقباء كما قال تعالى:* وَ لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَ قالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَ آتَيْتُمُ الزَّكاةَ وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَ عَزَّرْتُمُوهُمْ وَ أَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ لَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ (۱۲)، (المائدة: ۱۲) .. يقول لهم: لئن قمتم بما أوجبت عليكم، و لم تنكلوا عن القتال كما نكلتم أول مرة، لأجعلن ثواب هذه مكفرا لما وقع عليكم من عقاب تلك، كما قال تعالى لمن الآثار و التاريخ، ص: ۱۹۶ تخلف من الأعراب عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى غزوة الحديبية: قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرابِ سَتُدْعَوْنَ إِلى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا كَما تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً (۱۶)، و هكذا قال تعالى لبنى إسرائيل: فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ (۱۲) ثم ذمهم تعالى على سوء صنيعهم و نقضهم مواثيقهم، كما ذم من بعدهم من النصارى على اختلافهم فى دينهم و أديانهم. و المقصود: أن اللّه تعالى أمر موسى عليه السلام أن يكتب أسماء المقاتلة من بنى إسرائيل ممن يحمل السلاح، و يقاتل ممن بلغ عشرين سنة فصاعدا، و أن يجعل على كل سبط نقيبا منهم (السبط الأول): سبط روبيل، لأنه بكر يعقوب كان عدة المقاتلة منهم ستة و أربعين ألفا و خمسمائة، و نقيبهم منهم و هو: اليصور بن شديئورا، (السبط الثانى): سبط شمعون، و كانوا تسعة و خمسين ألفا و ثلاثمائة، و نقيبهم شلوميئيل بن هوريشداى، (السبط الثالث): سبط يهوذا، و كانوا أربعة و سبعين ألفا و ستمائة، و نقيبهم نحشون بن عمينا داب، (السبط الرابع): سبط إيساخر، و كانوا أربعة و خمسين ألفا و أربعمائة، و نقيبهم نشائيل بن صوغر، (السبط الخامس): سبط يوسف عليه السلام، و كانوا أربعين ألفا و خمسمائة، و نقيبهم: يوشع بن نون، (السبط السادس): سبط ميشا، و كانوا أحدا و ثلاثين ألفا و مائتين، و نقيبهم جمليئيل بن فدهصور، (السبط السابع): سبط بنيامين، و كانوا خمسة و ثلاثين ألفا و أربعمائة، و نقيبهم أبيدن بن جدعون، (السبط الثامن): سبط حاد، و كانوا خمسة و أربعين ألفا و ستمائة و خمسين رجلا، و نقيبهم إلياساف بن رعوئيل، (السبط التاسع): سبط أشير، و كانوا أحدا و أربعين ألفا و خمسمائة، و نقيبهم فجعيئيل بن عكرن، (السبط العاشر): سبط دان، و كانوا اثنين و ستين ألفا و سبعمائة، و نقيبهم أخيعزر ابن عمشداى، (السبط الحادى عشر): سبط نفتالى، و كانوا ثلاثة و خمسين ألفا و أربعمائة، و نقيبهم أخيرع

بن عين، (السبط الثانى عشر): سبط زبولون، و كانوا سبعة و خمسين ألفا و أربعمائة، و نقيبهم الباب بن حيلون. هذا نص كتابهم الذى بأيديهم، و اللّه أعلم. و ليس منهم بنو لاوى، فأمر اللّه موسى أن لا يعدهم معهم، لأنهم موكلون بحمل قبة الآثار و التاريخ، ص: ۱۹۷ الشهادة و ضربها و نصبها و حملها إذا ارتحلوا، و هم سبط موسى و هارون عليهما السلام، و كانوا اثنين و عشرين ألفا من ابن شهر فما فوق ذلك. و هم فى أنفسهم قبائل إلى كل قبيلة طائفة من قبة الزمان يحرسونها و يحفظونها و يقومون بمصالحها و نصبها و حملها و هم كلهم حولها ينزلون و يرتحلون أمامها و يمنتها و شمالها و وراءها. و جملة ما ذكر من المقاتلة غير بنى لاوى: خمسمائة ألف و أحد و سبعون ألفا و ستمائة و ستة و خمسون، لكن قالوا: فكان عدد بنى إسرائيل ممن عمره عشرون سنة فما فوق ذلك ممن حمل السلاح ستمائة ألف و ثلاثة آلاف و خمسمائة و خمسة و خمسين رجلا، سوى بنى لاوى، و فى هذا نظر، فإن جميع الجمل المتقدمة إن كانت كما وجدنا فى كتابهم لا تطابق الجملة التى ذكروها، و اللّه أعلم، فكان بنو لاوى الموكلون بحفظ قبة الزمان يسيرون فى وسط بنى إسرائيل و هم القلب، و رأس الميمنة بنو روبيل، و رأس الميسرة بنو ران، و بنو نفتالى يكونون ساقه، و قرر موسى عليه السلام بأمر اللّه تعالى له الكهانة فى بنى هارون كما كانت لأبيهم من قبلهم، و هم ناداب و هو بكره، و أبيهو و العازر و يثمر. و المقصود: أن بنى إسرائيل لم يبق منهم أحد ممن كان نكل عن دخول مدينة الجبارين الذين قالوا: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ (۲۴) قاله الثورى عن أبى سعيد عن عكرمة عن ابن عباس، و قاله قتادة و عكرمة، و رواه السدى عن ابن عباس و ابن مسعود و ناس من الصحابة حتى قال ابن عباس و غيره من علماء السلف و الخلف: و مات موسى و هارون قبله كلاهما فى التيه جميعا. و قد زعم ابن إسحاق: أن الذى فتح بيت المقدس هو موسى، و إنما كان يوشع على مقدمته و ذكر فى مروره إليها قصة بلعام بن باعوراء الذى قال تعالى فيه: وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ (۱۷۵) وَ لَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَ لكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (۱۷۶) ساءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ أَنْفُسَهُمْ كانُوا يَظْلِمُونَ (۱۷۷)، (الأعراف) .. و قد ذكرت الآثار و التاريخ، ص: ۱۹۸ قصته فى التفسير، و أنه كان فيما قاله ابن عباس و غيره يعلم الاسم الأعظم، و أن قومه سألوه أن يدعو على موسى و قومه، فامتنع عليهم و لما ألحوا عليه ركب حمارة له ثم سار نحو معسكر بنى إسرائيل، فلما أشرف عليهم ربضت به حمارته، فضربها حتى قامت فسارت غير بعيد و ربضت، فضربها ضربا أشد من الأول، فقامت ثم ربضت، فضربها فقالت له: يا بلعام، أين تذهب؟ أما ترى الملائكة أمامى تردنى عن وجهى هذا؟ أ تذهب إلى نبى اللّه و المؤمنين تدعو عليهم، فلم ينزع عنها فضربها حتى سارت به حتى أشرف عليهم من رأس جبل حسبان، و نظر إلى معسكر موسى و بنى إسرائيل، فأخذ يدعو عليهم فجعل لسانه لا يطيعه إلا أن يدعو لموسى و قومه و يدعو على قوم نفسه فلاموه على ذلك، فاعتذر إليهم بأنه لا يجرى على لسانه إلا هذا، و اندلع لسانه حتى وقع على صدره، و قال لقومه: ذهبت منى الآن الدنيا و الآخرة و لم يبق إلا المكر و الحيلة، ثم أمر قومه أن يزينوا النساء و يبعثوهن بالأمتعة يبعن عليهم و يتعرضن لهم حتى لعلهم يقعون فى الزنا، فإنه متى زنى رجل منهم كفيتموهم، ففعلوا و زينوا نساءهم و بعثوهن إلى المعسكر فمرت امرأة منهم اسمها كستى برجل من عظماء بنى إسرائيل، و هو زمرى بن شلوم، يقال إنه: كان رأس سبط بنى شمعون بن يعقوب، فدخل بها قبته، فلما خلا بها أرسل اللّه الطاعون على بنى إسرائيل، فجعل يجوس فيهم، فلما بلغ الخبر إلى فنحاص بن العزار بن هارون أخذ حربته و كانت من حديد، فدخل عليهما القبة فطعنهما جميعا فيها، ثم خرج بهما على الناس و الحربة فى يده و قد اعتمد على خاصرته و أسندها إلى لحيته و رفعهما نحو السماء، و جعل يقول: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك، و رفع الطاعون، فكان جملة من مات فى تلك الساعة سبعين ألفا، و المقلل يقول: عشرين ألفا، و كان فنحاص بكر أبيه العزار بن هارون فلهذا يجعل بنو إسرائيل لولد فنحاص من الذبيحة الليّة و الذراع و اللحى، و لهم البكر من كل أموالهم و أنفسهم. و هذا الذى ذكره ابن إسحاق من قصة بلعام صحيح قد ذكره غير واحد من علماء السلف، لكن لعله لما أراد موسى دخول بيت المقدس أول مقدمه من الديار المصرية، و لعله مراد ابن إسحاق، و لكنه ما فهمه بعض الناقلين عنه. و قد قدمنا عن نص التوراة الآثار و التاريخ، ص: ۱۹۹ ما

يشهد لبعض هذا، و اللّه أعلم. و لعل هذه قصة أخرى كانت فى خلال سيرهم فى التيه فإن فى هذا السياق ذكر حسبان و هى بعيدة عن أرض بيت المقدس، أو لعله كان هذا لجيش موسى الذين عليهم يوشع بن نون حين خرج بهم من التيه قاصدا بيت المقدس كما صرح به السدى، و اللّه أعلم. و على كل تقدير فالذى عليه الجمهور: أن هارون توفى بالتيه قبل موسى أخيه بنحو من سنتين، و بعده موسى فى التيه أيضا، كما قدمنا، و أنه سأل ربه أن يقرب إلى بيت المقدس فأجيب إلى ذلك، فكان الذى خرج بهم من التيه و قصد بهم بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام، فذكر أهل الكتاب و غيرهم من أهل التاريخ: أنه قطع بنى إسرائيل نهر الأردن، و انتهى إلى أريحا، و كانت من أحصن المدائن سورا و أعلاها قصورا و أكثرها أهلا فحاصرها ستة أشهر، ثم إنهم أحاطوا بها يوما و ضربوا بالقرون، يعنى الأبواق، و كبروا تكبيرة رجل واحد فتفسخ سورها و سقط وجبة واحدة، فدخلوها و أخذوا ما وجدوا فيها من الغنائم و قتلوا اثنى عشر ألفا من الرجال و النساء، و حاربوا ملوكا كثيرة، و يقال: إن يوشع ظهر على أحد و ثلاثين ملكا من ملوك الشام، و ذكروا أنه انتهى محاصرته لها إلى يوم جمعة بعد العصر، فلما غربت الشمس أو كادت تغرب و يدخل عليهم السبت الذى جعل عليهم و شرع لهم ذلك الزمان، قال لها: إنك مأمورة و أنا مأمور، اللهم احبسها علىّ، فحبسها اللّه عليه، حتى تمكن من فتح البلد، و أمر القمر فوقف عن الطلوع. و هذا يقتضى أن هذه الليلة كانت الليلة الرابعة عشرة من الشهر، و الأول و هو قصة الشمس المذكورة فى الحديث الذى سأذكره، و أما قصة القمر فمن عند أهل الكتاب، و لا ينافى الحديث بل فيه زيادة تستفاد فلا تصدق و لا تكذب، و لكن ذكرهم أن هذا فى فتح أريحا فيه نظر، و الأشبه و اللّه أعلم، أن هذا كان فى فتح بيت المقدس الذى هو المقصود الأعظم، و فتح أريحا كان وسيلة إليه، و اللّه أعلم. قال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا أبو بكر، عن هشام، عن ابن سيرين، عن أبى هريرة، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: (إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالى سار إلى بيت المقدس). انفرد به أحمد من هذا الوجه، و هو على شرط الآثار و التاريخ، ص: ۲۰۰ البخارى، و فيه دلالة على أن الذى فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام لا موسى، و أن حبس الشمس كان فى فتح بيت المقدس لا أريحا، كما قلنا، و فيه: أن هذا كان من خصائص يوشع عليه السلام، فيدل على ضعف الحديث الذى رويناه أن الشمس رجعت حتى صلى على بن أبى طالب صلاة العصر بعد ما فاتته بسبب نوم النبى صلّى اللّه عليه و سلم على ركبته، فسأل رسول اللّه أن يردها عليه حتى يصلى العصر، فرجعت. و قد صححه على ابن صالح المصرى، و لكنه منكر ليس فى شىء من الصحاح و لا الحسان، و هو مما تتوفر الدواعى على نقله، و تفردت بنقله امرأة من أهل البيت مجهولة لا يعرف حالها، و اللّه أعلم. و قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام، عن أبى هريرة، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: (غزا نبى من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعنى رجل قد ملك بضع امرأة، و هو يريد أن يبنى بها و لما يبن، و لا آخر قد بنى بنيانا و لم يرفع سقفها، و لا آخر قد اشترى غنما أو خلفات و هو ينتظر أولادها، فغزا فدنا من القرية حين صلى العصر، أو قريبا من ذلك، فقال الشمس: أنت مأمورة و أنا مأمور، اللهم احبسها علىّ شيئا، فحبست عليه، حتى فتح اللّه عليه، فجمعوا ما غنموا فأتت النار لتأكله، فأبت أن تطعمه، فقال: فيكم غلول، يعنى من كل قبيلة رجل فبايعوه، فلصقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، و لتبايعنى قبيلتك فبايعته قبيلته، فلصق بيد رجلين أو ثلاثة، فقال: فيكم الغلول، أنتم غللتم فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب، قال: فوضعوه بالمال و هو بالصعيد، فأقبلت النار فأكلته، فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا، ذلك بأن اللّه رأى ضعفنا و عجزنا فطيبها لنا). انفرد به مسلم من هذا الوجه. و قد روى البزار من طريق مبارك بن فضالة، عن عبيد اللّه، عن سعيد المقبرى، عن أبى هريرة، عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم نحوه. قال: و رواه محمد بن عجلان عن سعيد المقبرى، قال: و رواه قتادة عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة، عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم. و المقصود: أنه لما دخل بهم باب المدينة أمروا أن يدخلوها سجدا، أى ركعا متواضعين شاكرين للّه عز و جل، على ما من به عليهم من الفتح العظيم، الذى كان اللّه الآثار و التاريخ، ص: ۲۰۱ وعدهم إياه، و أن يقولوا حال دخولهم حطة، أى حط عنا خطايانا التى سلفت من نكولنا الذى تقدم منا، و لهذا لما دخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مكة يوم فتحها دخلها و هو راكب ناقته و هو متواضع حامد شاكر، حتى أن عثنونه، و هو طرف لحيته، ليمس مورك رحله مما يطأطئ رأسه خضعانا للّه عز و

جل، و معه الجنود و الجيوش ممن لا يرى منه إلا الحدق و لا سيما الكتيبة الخضراء التى فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، ثم لما دخلها اغتسل، و صلى ثمانى ركعات، و هى صلاة الشكر على النصر على المنصور من قولى العلماء، و قيل: إنها صلاة الضحى، و ما حمل هذا القائل على قوله هذا إلا لأنها وقعت وقت الضحى، و أما بنو إسرائيل فإنهم خالفوا ما أمروا به قولا و فعلا دخلوا الباب يزحفون على استاههم، يقولون: حبة فى شعرة، و فى رواية: حنطة فى شعرة، و حاصله: أنهم بدلوا ما أمروا به و استهزءوا به كما قال تعالى حاكيا عنهم فى سورة الأعراف و هى مكية: وَ إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ وَ كُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ وَ قُولُوا حِطَّةٌ وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (۱۶۱) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَظْلِمُونَ (۱۶۲)، و قال فى سورة البقرة و هى مدنية مخاطبا لهم: وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَ قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (۵۸) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (۵۹)، و قال الثورى عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً قال: ركعا من باب صغير. رواه الحاكم و ابن جرير و ابن أبى حاتم، و كذا روى العوفى عن ابن عباس، و كذا روى الثورى عن ابن إسحاق، عن البراء، قال مجاهد و السدى و الضحاك: و الباب هو باب حطة من بيت إيلياء بيت المقدس. قال ابن مسعود: فدخلوا مقنعى رءوسهم ضد ما أمروا به، و هذا لا ينافى قول ابن عباس: أنهم دخلوا يزحفون على استاههم. و هكذا فى الحديث الذى سنورده بعد، فإنهم دخلوا يزحفون و هم مقنعو رءوسهم و قوله: وَ قُولُوا الآثار و التاريخ، ص: ۲۰۲ حِطَّةٌ الواو هنا حالية لا عاطفة، أى ادخلوا سجدا فى حال قولكم: حطة. قال ابن عباس و عطاء و الحسن و قتادة و الربيع: أمروا أن يستغفروا. قال البخارى: حدثنا محمد، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى، عن ابن المبارك، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبى هريرة، عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم قال: (قيل لبنى إسرائيل: ادخلوا الباب سجدا، و قولوا: حطة، فدخلوا يزحفون على استاههم، فبدلوا، و قالوا: حطة حبة فى شعرة). و كذا رواه النسائى من حديث ابن المبارك ببعضه. و رواه عن محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم عن ابن مهدى به، موقوفا. و قد قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر، عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: (قال اللّه لبنى إسرائيل: ادخلوا الباب سجدا، و قولوا حطة، نغفر لكم خطاياكم، فبدلوا، فدخلوا الباب يزحفون على استاههم، فقالوا: حبة فى شعرة). و رواه البخارى و مسلم و الترمذى من حديث عبد الرزاق، و قال الترمذى: حسن صحيح. و قال محمد بن إسحاق: كان تبديلهم كما حدثنى صالح بن كيسان، عن صالح، مولى التوأمة، عن أبى هريرة، و عمن لا أتهم عن ابن عباس أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: (دخلوا الباب الذى أمروا أن يدخلوا فيه سجدا يزحفون على استاههم، و هم يقولون: حنطة فى شعيرة). و قال أسباط عن السدى، عن مرة، عن ابن مسعود، قال فى قوله: فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ قال: قالوا: (هطى سقاثا أزمة مزبا)، فهى فى العربية: (حبة حنطة، حمراء، مثقوبة، فيها شعرة سوداء). و قد ذكر اللّه تعالى أنه عاقبهم على هذه المخالفة، بإرسال الرجز الذى أنزله عليهم، و هو الطاعون. كما ثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى عن عامر بن سعد، و من حديث مالك عن محمد بن المنكدر، و سالم أبى النضر عن عامر بن سعد، عن أسامة بن زيد، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أنه قال: (إن هذا الوجع، أو السقم، رجز عذب به بعض الأمم قبلكم). و روى النسائى و ابن أبى حاتم و هذا لفظه من حديث الثورى، عن حبيب بن أبى ثابت، عن إبراهيم بن سعد بن أبى وقاص، عن أبيه و أسامة بن زيد و خزيمة بن الآثار و التاريخ، ص: ۲۰۳ ثابت، قالوا: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: (الطاعون رجز، عذاب عذّب به من كان قبلكم). و قال الضحاك عن ابن عباس: الرجز العذاب. و كذا قال مجاهد و أبو مالك و السدى و الحسن و قتادة. و قال أبو العالية: هو الغضب. و قال الشعبى: الرجز إما الطاعون، و إما البرد. و قال سعيد بن جبير: هو الطاعون، و لما استقرت يد بنى إسرائيل على بيت المقدس استمروا فيه و بين أظهرهم نبى اللّه يوشع، يحكم بينهم بكتاب اللّه التوراة، حتى قبضه اللّه إليه و هو ابن مائة و سبع و عشرين سنة، فكان مدة حياته بعد موسى سبعا و عشرين سنة. الآثار و التاريخ، ص: ۲۰۴

أعمال المؤلف

أعمال المؤلف ۱. كتاب (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، دار المسيرة، عمان- الأردن، ط/ ۱، ۱۴۲۲ ه- ۲۰۰۱ م. ۲. كتاب (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، دار المسيرة، عمان- الأردن، ط/ ۲، ۱۴۲۵ ه- ۲۰۰۴ م. ۳. كتاب (أنت و الأنترنت- جلّ ما تحتاجه من خدمات الشبكة العالمية-)، دار الرشد، ط/ ۱، ۱۴۲۲ ه- ۲۰۰۱ م. ۴. كتاب (القرآن منهل العلوم)، طبع الجامعة الإسلامية، بغداد، ط/ ۱، ۱۴۲۳ ه- ۲۰۰۲ م. ۵. كراس (مواصفات الفحوص المختبرية لأعمال الهندسة المدنية)، مع مجموعة من المختصين، ۱۴۲۳ ه- ۲۰۰۲ م. ۶. كتاب (القوانين القرآنية للحضارات- النسخة المختصرة، ۱۲۵ صفحة من القطع الصغير-)، طبع ببغداد عام ۱۴۲۴ ه- ۲۰۰۳ م. ۷. سلسلة كتب (ومضات إعجازية من القرآن و السنة النبوية- ۱۵ جزءا-)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. أ. التأريخ و الآثار. ب. المادة و الطاقة. ت. الفلك. ث. الأرض. ج. الرياح و السحب. ح. المياه و البحار. خ. النبات و الإنبات. د. الحيوانات و الحشرات. الآثار و التاريخ، ص: ۲۰۵ ذ. الطب. ر. الصيدلة و الأمراض. ز. الوراثة و الاستنساخ. س. الجملة العصبية و الطب النفسي. ش. الأحلام و الباراسايكولوجي. ص. الاقتصاد و الاجتماع. ض. آخر الزمان. ۸. كتاب (القوانين القرآنية للحضارات- النسخة المفصلة، ۳۶۵ صفحة من القطع الكبير)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان .. ۹. كتاب (تفصيل النحاس و الحديد في الكتاب المجيد)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. ۱۰. عدة بحوث في مجال الهندسة المدنية منشورة في مجلات و مؤتمرات هندسية مرموقة داخل العراق و خارجه. ۱۱. عدة بحوث و مقالات في مجال الإعجاز القرآني منشورة في صحف و مجلات و مؤتمرات مرموقة داخل العراق. ۱۲. عدة أعمال مرئية تلفازية و حاسوبية في محطات محلية و أخرى فضائية عربية.

مشاريع كتب للمؤلف

مشاريع كتب للمؤلف كتاب (استنباط الحلول من أسباب النزول)، قيد التأليف. كتاب جامعي عن المواد الهندسية، قيد التأليف. تصاميم شبكات الخدمات المائية و الصحية، قيد الإعداد.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات مقدمة السلسلة/ ۵ مقدمة كتاب الآثار و التاريخ/ ۹ الفصل الأول: سفينة نوح (عليه السلام)/ ۱۱ الفصل الثاني: قوم لوط (عليه السلام)/ ۲۰ الفصل الثالث: جثة فرعون مصر/ ۲۲ الفصل الرابع: قصة أصحاب الكهف/ ۲۷ الفصل الخامس: دلائل تأريخية أخرى/ ۳۳ الملحق (۱): قصة نوح عليه السلام/ ۵۱ الملحق (۲): قصة لوط عليه السلام/ ۶۹ الملحق (۳): قصة موسى الكليم عليه السلام/ ۸۱ هلاك فرعون و جنوده/ ۱۲۸ أمر بني إسرائيل بعد هلاك فرعون/ ۱۳۶ سؤال الرؤية/ ۱۴۴ قصة عبادتهم العجل في غيبة موسى/ ۱۴۸ قصة بقرة بني إسرائيل/ ۱۵۶ قصة موسى و الخضر عليهما السلام/ ۱۵۸ حديث الفتون المتضمن قصة موسى من أولها إلى آخرها/ ۱۶۶ بناء قبة الزمان/ ۱۷۷ الآثار و التاريخ، ص: ۲۰۸ قصة قارون مع موسى عليه السلام/ ۱۷۹ حجته عليه السلام إلى البيت العتيق/ ۱۸۹ ذكر وفاته عليه السلام/ ۱۹۰ نبوة يوشع و قيامه بأعباء بني إسرائيل بعد موسى و هارون/ ۱۹۴ أعمال للمؤلف/ ۲۰۴ مشاريع كتب للمؤلف/ ۲۰۵ فهرس المحتويات/ ۲۰۷

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ في سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ عليّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – في تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس

مُجتمَع "القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله" الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام عليّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يومٍ. مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة –فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت– عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَى. – من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتى" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة "تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة) رقم التسجيل: ۲۳۷۳ الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والدراسات الکمبیوتریة
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹